مركز جيل البحث العلمي

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية محكمة تصدر دوريا عن مركز جيل البحث العلمي
jilrc-magazines.com --- social@jilrc-magazines.com

العدد الثالث : تشرين أول / أكتوبر 2014

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية - العدد الثالث – تشرين أول / أكتوبر 2014

جميع الحقوق محفوظة

لمركز جيل البحث العلمي © 2014

ISSN 2311-5181

بسم الله الرحمن الرحيم

المشرفة العامة: د.سرور طالبي

المؤسس ورئيس التحرير: أ.جمال بلبكاي

jilrc-magazines.com - social@jilrc-magazines.com ISSN 2311-5181

التعريف بالمجلة:

مجلة علمية دولية محكمة تصدر دوريًا عن مركز جيل البحث العلمي تعنى بالدراسات الإنسانية والاجتماعية، بإشراف هيئة تحرير مشكلة من أساتذة وباحثين وهيئة علمية تتألف من نخبة من الباحثين وهيئة تحكيم تتشكل دوريا في كل عدد.

اهتمامات المجلة و أبعادها:

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية عبارة عن مجلة متعددة التخصصات، تستهدف نشر المقالات ذات القيمة العلمية العالية في مختلف مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية. تعرض المجلة جميع مقالاتها للعموم عبر موقعها وكذا مركز جيل البحث العلمي ، مع إضافتها لفهارس أغلب محركات البحث الجامعية، بهدف المساهمة في إثراء موضوعات البحث العلمي.

مجالات النشر بالمجلة:

تنشر المجلة الأبحاث في المجالات التالية:

علم النفس وعلوم ال تربية والأرطوفونيا، علم الاجتماع، الفلسفة التاريخ، علم المكتبات والتوثيق، علوم الإعلام والاتصال، علم الآثار.

تنشر مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية البحوث العلمية الأصيلة للباحثين في هذه التخصصات كافة من داخل الجامعات الجزائرية ومن خارج الجزائر مكتوبة باللغة العربية أو الفرنسية أو الإنجليزية.

الهيئة العلمية الاستشارية للعدد

د. حسيب فقيه (الجامعة اللبنانية ، لبنان).

د.سامية ابريعم

(جامعة العربي بن مهيدي ، الجزائر).

د.محمد محمد سليمان محمود

(جامعة أسيوط، مصر).

د.محمد مصابيح

(المركز الجامعي تيسمسيلت، الجزائر).

د. كنزاي محمد فوزي

(جامعة ٢٠ أوت ١٩٥٥، الجزائر).

د. مرزوق محمد

(جامعة الدكتور طاهر مولاي، الجزائر).

د.وليد رفيق محمد العياصرة

(جامعة الملك سعود، السعودية).

التدقيق اللغوي:

د.ملاوي صلاح الدين

(جامعة محمد خيضر، الجزائر).

أ.فاطمة جربو

(جامعة ،حسيبة بن بوعلي ، الجزائر).

شروط النشر

ISSN 2311-5181

تقبل المجلة الأبحاث والمقالات التي تلتزم الموضوعية والمنهجية، وتتوافر فيها الأصالة العلمية والدقة والجدية وتحترم قواعد النشر التالية :

- أن يكون البحث المقدم ضمن الموضوعات التي تعنى المجلة بنشرها
- ألا يكون البحث قد نشر أو قدم للنشر لأي مجلة ، أو مؤتمر في الوقت نفسه ، ويتحمل الباحث كامل المسؤولية في حال اكتشاف بأن مساهمته منشورة أو معروضة للنشر.
- أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:

- عنوان البحث.
- اسم الباحث ودرجته العلميّة، والجامعة التي ينتمي إليها.
- البريد الإلكتروني للباحث.
- ملخَّص للدراسة في حدود ١٥٠ كلمة وبحجم خط ١٢.
- الكلمات المفتاحية بعد الملخص.

- أن تكون البحوث المقدمة بإحدى اللغات التالية: العربية، الفرنسية والإنجليزية
- أن لا يزيدَ عدد صفحات البحث على (٢٠) صفحة بما في ذلك الأشكال والرسومات والمراجع والجداول والملاحق.
- أن يكونَ البحثُ خاليًا مِنَ الأخطاءِ اللغوية والنحوية والإملائيَّة.
- أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامِها على النحو الآتي:

- اللغة العربية: نوع الخط (Traditional Arabic) وحجم الخط (١٦) في المتن ، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (١٢).
- اللغة الأجنبية: نوع الخط (Times New Roman) وحجم الخط (١٤) في المتن، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (١٠).
- تكتب العناوين الرئيسية والفرعية للفقرات بحجم 16 نقطة مثلها مثل النص الرئيسي لكن مع تضخيم الخط.

- أن تكتب الحواشي بشكل نظامي حسب شروط برنامج Microsoft Word في نهاية كل صفحة.
- أن يرفق صاحب البحث تعريفا مختصرا بنفسه ونشاطه العلمي والثقافي.
- عند إرسال الباحث لمشاركته عبر البريد الالكتروني، سيستقبل مباشرة رسالة إشعار بذلك.
- تخضع كل الأبحاث المقدمة للمجلة للقراءة والتحكيم م ن قبل لجنة مختصة ويلقى البحث القبول النهائي بعد أن يجري الباحث التعديلات التي يطلبها المحكمون.
- لا تلتزم المجلة بنشر كل ما يرسل إليها .

ترسل المساهمات بصيغة الكترونية حصراً على عنوان المجلة:

social@jilrc-magazines.com

الفهرس

ISSN 2311-5181

	الصفحة
• الافتتاحية	7
• الاضطرابات السيكوسوماتية و آليات الدفاع النفسي و العصابية وعلاقتها بالصراع النفسي : دراسة إمبريقية على بعض المرضى المترددين على المستشفيات والمصحات والمختبرات الطبية في مدينتي الخمس و زليتن / د . ليلى محمد العارف (ليبيا)	9
• المناخ التنظيمي في ظل الشراكة الأجنبية و مدى ملائمته لتطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة/ أ. لياس سارة (الجزائر)	43
• المناخ التنظيمي في ظل الشراكة الأجنبية وعلاقته بالأمن النفسي / أ.رانية هادف (الجزائر)	75
• علاقة الضغط المهني بالمساندة الاجتماعية لدى المرأة العاملة : دراسة ميدانية / د. نبيل بحري ، أ.علي (الجزائر)	91
• الشباب العربي: وضعيات اجتماعية جديدة وسلوكيات مهيمنة، قراءة في تمثلات الشباب التونسي للمواطنة والمجتمع المدني/ د.فاتن مبارك (تونس)	111
• مؤثرات التغير الاجتماعي والواقع الزواجي بالجزائر(سير نحو الفردانية) / أ. باشيخ أسماء (الجزائر)	127
• البطالة وأثرها على الفرد والمجتمع / أ. هاشمي بريقل (الجزائر)	141
• الإستخدامات والإشباعات الإعلامية لذوي الاحتياجات الخاصة بالجزائر / أ.بن سولة نورالدين (الجزائر)	161
• تاريخ تُنْبُكْتو منذ نشأتها إلى غاية القرن الحادي عشر الهجريّ دراسة ثقافية / د.الحاج بنيرد (الجزائر)	173
• مظاهر الحضارة النيوليتية بمنطقة الطاسيلي ناجر / أ. بعيطيش عبد الحميد (الجزائر)	197
• الحيوان في التفكير الأسطوري العربي / أ.مصطفى بوخال (الجزائر)	215
• مسابقة جيل إقرأ السنوية	227
• **"Physicalism: a critical approach" Dr.** Abla Hasan USA	231

الإفتتاحية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونتوكل عليه، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وعلى آله وأصحابه الطيبين.

بعد أن أصدر مركز جيل البحث العلمي مجلته " جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية " في العددين الماضيين، يعاود التواصل مع القراء الأعزاء ليضع بين أيديهم العدد الثالث من إصدارته المتواصلة.

إن من اليسير أن نقول إنني سأعمل غير أنه من الصعب جداً أن تبقى على تواصل مع ما تعمل وبنفس الحماس والحيوية التي كنت بها في بدء الأمر وهذه مجلتكم ما برحت لحظة في أن تتحمل الشاق و الأشق وأن تبرز لكم بالحلّة التي رأيتموها أول مرة وبالاندفاع الذي شاهدتموه حين رأيتموها لحظة ولادتها، فهي ولدت شامخة وما ذاك إلا بفضل إصراركم على التواصل معها ورفدها بآرائكم التي وجدت طريقها إلى قلوب القائمين على أعمالها فلاقت منا كل الاهتمام، نعدكم بالمزيد كما أنتم تعدونا بالتواصل وليكن شعارنا (العلم أولاً) حتى نحقق الأهداف المرجوة من وراء هذا الإنجاز العظيم.

وبالإضافة لاهتمام مركز جيل البحث العلمي البالغ بما يصله من اقتراحات بنّاءة، فإنه أيضاً مهتم بفتح أبوابه لجميع الباحثين والكتاب ،- والحق يقال - حريص غاية الحرص على الإثراء الاحترافي، والمضمون المميز، بالإضافة للابتكار في الطرح وفي عرض مختلف مواده لمتابعيه.

إن هذه المجلة مجلتكم وإدارتها حريصة جداً على إرضائكم بما تقدمه من أبحاث نتمنى أن يلاق هذا العدد الذي بين يديكم استحسانكم.

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ آل عمران:٨.

رئيس التحرير

تخلي أسرة تحرير المجلة مسؤوليتها عن أي انتهاك لحقوق الملكية الفكرية

لا تعبر الآراء الواردة في هذا العدد بالضرورة عن رأي إدارة المركز

جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي © 2014

الاضطرابات السيكوسوماتية و آليات الدفاع النفسي و العصابية وعلاقتها بالصراع النفسي: دراسة إمبريقية على بعض المرضى المترددين على المستشفيات والمصحات والمختبرات الطبية في مدينتي الخمس و زليتن

د . ليلى محمد العارف/ جامعة المرقب ،كلية الآداب ، ليبيا

ملخص:

أجرت الباحثة دراستها لمعرفة نوع العلاقة بين الاضطرابات السيكوسوماتية وبين الصراع النفسي و العصابية والآليات الدفاعية لدى بعض المرضى في المستشفيات والمصحات الطبية بمدينتي الخمس وزليتن .وتحددت مشكلة الدراسة في معرفة علاقة الصراع النفسي بمتغيرات الآليات الدفاعية والعصابية والاضطرابات السيكوسوماتية ومعرفة علاقة بعض متغيرات الخلفية الشخصية والأسرية والاجتماعية والثقافية ، بمتغيرات مقاييس الدراسة الأربعة. وتحددت المشكلة أيضاً في معرفة شكل العلاقة الخطية بين متغيرات الصراع النفسي والآليات الدفاعية والعصابية والاضطرابات السيكوسوماتية ومدى أسهام الصراع النفسي في ممارسة الآليات الدفاعية وحدوث العصابية والاضطرابات السيكوسوماتية ، ومعرفة الفروق بين مجموعات الدراسة على مقاييس الدراسة الأربعة، ومعرفة المجموعات الأكثر والأقل درجات على تلك المقاييس ، ومعرفة الفروق بين درجات أفراد العينة وفق متغيرات الجنس والعمر والمهنة والحالة الزواجية وعدد أفراد الأسرة ومستوى التعليم والدخل الشهري ومكان ونوع الإقامة ومدة الإصابة بالمرض ،على مقاييس الصراع النفسي والآليات الدفاعية و العصابية والاضطرابات السيكوسوماتية ، ومعرفة مدى انتشار مظاهر الصراع النفسي والآليات الدفاعية والعصابية والاضطرابات السيكوسوماتية بين أفراد عينة الدراسة .

أما أهمية هذه الدراسة فتنبع من تناولها لفئة عمرية تحتاج إلى الرعاية والعناية من كافة أفراد المجتمع لتجنب إصابتها ببعض الاضطرابات النفسية والجسمية كذلك فإن هذه الدراسة قد تسد النقص في تلك الدراسات التي لم تتناول علاقة الصراع النفسي والآليات الدفاعية و العصابية بالاضطرابات السيكوسوماتية.

وقد أجرت الباحثة دراسة استطلاعية على عينة من بعض المرضى المترددين على المستش فيات والمصحات والمختبرات، في مدينتي الخمس و زليتن، والذين كانت أعمارهم (٤٠ سنة فما فوق) . وبعد التأكد من تمتع الاستبيان الاستطلاعي بأنواع الصدق والثبات، أجرت الباحثة دراستها النهائية على عينة قوامها (٤١٠) مريضاً ومريضة ، حيث بلغ عدد الذكور (٢٠٠) مريض وعدد الإناث (٢١٠) مريضة، وقد اختيرت عينة الدراسة بأسلوب العينة المريح واتبعت الباحثة في تطبيق دراستها المنهج الوصفي.

وقد قامت الباحثة بإعداد أربعة مقاييس ، وهي : مقياس الصراع النفسي ومقياس آليات الدفاع النفسي ومقياس الاضطرابات العصابية ومقياس الاضطرابات السيكوسوماتية ، وكانت سلا لم هذه المقاييس الأربعة من النوع المغلق .

وقد وظفت الباحثة العديد من المعالجات الإحصائية للإجابة على أسئلة الدراسة منها : اختبار (ت) لحساب دلالة الفروق بين متغيرات الدراسة، واختبار (كاي) لمعرفة العلاقة بين متغير ات الدراسة، واستخدمت كذلك معامل الارتباط (بيرسون) لمعرفة مدى الارتباط بين مقاييس الدراسة الأربعة ومعرفة قوة العلاقة بين المقاييس بعضها ببعض . ولحساب قوة ارتباط العبارة الواحدة في المقياس الواحد بالدرجة الكلية لنفس المقياس .

وأظهرت نتائج الدراسة : وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين الصراع النفسي والعصابية والاضطرابات السيكوسوماتية، في حين لم توجد علاقة دالة بين الصراع النفسي وممارسة الآليات الدفاعية، وقد وجدت علاقة دالة إحصائيا بين الإصابة بالعصابية والإصابة بالاضطرابات السيكوسوماتية، و وجدت علاقة دالة إحصائيا بين ممارسة الآليات الدفاعية والإصابة بالاضطرابات السيكوسوماتية .

مقدمة :

لعبت العوامل النفسية والصراعات العاطفية، والإحباطات المتراكمة والتوترات الانفعالية المستمرة، والضغوط الاجتماعية دوراً كبيراً في وجود بعض الاضطرابات النفسية والجسمية وانتشاره ا بين الفئات العمرية المختلفة .

ولعل الاضطرابات السيكوسوماتية من أكثر هذ ه الاضطرابات تأثراً بتلك العوامل بالإضافة إلى تأثرها بعمليات التحضر والتقدم التكنولوجي السريع.

وتعبر الاضطرابات السيكوسوماتية عن الاتصال الوثيق بين الجسم والنفس أي أنها تعبر عن التفا عل المستمر بين الشخصية والصراع الانفعالي من ناحية وبين الجهاز العصبي المستقل من ناحية أخرى، وفي الاختلالات النفسية الفيزيولوجية تتأثر الأعضاء التي لا تخضع للتوجيه الإرادي أو الشعوري مثل الرئتين أو القولون "[1].

وقد يرجع السبب في نشأة هذه الاضطرابات إلى صراع الفرد بين طموحاته وأهدافه ورغباته ، ومحاولاته المستمرة في تحقيقها، " فإذا كانت شدة المثير العاطفية أقوى من مقدرة الفرد على رد الفعل ، فإنه يتصرف غالباً تصرفاً غير عادي وقد يتطور ذلك إلى سلوك غير سوي ومرضي ،إذا كانت الحالات الشعورية قوية أو كان الشخ ص غير قادر على مواجهة هذه الخبرات والمواقف المحرجة فإن ذلك يؤدي به ذلك إلى اضطرابات نفسية ، ونفسية جسمية قد تستمر لفترة طويلة ".[2]

[1] . عثمان علي أميمن ، في **الصحة النفسية** ، ط.١ ، الخمس ،الدار العالمية ٢٠٠٤ .ص ٧.

[2] . عماد عبد الرازق ، الأعراض والأمراض النفسية وعلاجها ، ب.ط ، عمان ، دار الفكر ١٩٨٧ ص٤٤

ويحدث الصراع عندما تتعارض رغبات الفرد مع قيود المجتمع ،وتتعارض حقوقه مع واجباته، أو عندما تتجاذب الفرد قوى متعارضة تحثه على الفعل أو عدم الفعل ، ويشتد الصراع عندما تتساوى القوى المتعارضة مما يسبب التوتر وسوء التوافق للفرد .

وينشأ الصراع من إثارة دافعين أو حافزين معاً لهما نفس الشدة ، حيث إن إشباع أحدهما يؤدي إلى إحباط الآخر ، مما يؤدي بالفرد إلى التوتر والاضطراب .

ويرى (**فرويد**) أن الهو هو سبب كل الصراعات التي يعانيها الفرد ،وذلك لاحتوائه على الاتجاهات البدائية الفطرية ، والتي تتضمن الغرائز الأولية التي يرثها الإنسان بالولادة .

" ويذهب (فرويد) إلى أن الاضطراب النفسي يرجع في أساسه إلى صراع بين حفزة غريزية وخوف من ألم ممكن مرتبط بالحفزة ،هذا والفرد يشيد قلاعاً تحميه من آلام محتملة من العالم الخارجي ومن عالمه الداخلي ، وأن الفرد يصبح عصابياً عندما يعجز عن إشباع دوافعه لأسباب داخلية أم خارجية ، ولكن أياً كان مصدر الصراع فإنه لا يكو ن في النهاية إلا نتاجاً للصراع بين الهو والأنا ".[٣]

ويؤدي الصراع إلى شعور الفرد بالتوتر والقلق ، فيعجز عن بلوغ أهدافه المتعارضة والمتعددة فيقع ضحية الإحباط الذي يخل بتوازن الشخصية ، فيحاول الفرد التغلب على هذا الصراع بممارسة بعض الآليات الدفاعية في محاولة منه لحل صراعه وخفض شدة توتره ... فقد يتقمص مثلاً شخصية ما ، أو يبرر فشله أو يكبت في نفسه، أو يسقط فشله على الآخرين وأحياناً قد يسمو بغرائزه ويعلو بها في مجالات الإبداع .

وذكر(فرويد) العديد من هذه الآليات ، وهي : الإعلاء أو التسامي، الإنكار الإسقاط الإزاحة، الاستدماج، التقمص، الكبت، النكوص، التبرير، الإبدال التثبيت، العزل الأحلام، التخيل، تكوين رد الفعل.

" وبما أن " أنا " الفرد لا يستطيع تغيير الواقع الخارجي فلا يبقى أمامه إلا وضع مصفاة بين الأنا وهذا الواقع، لكي يجعله مقبولاً من الأنا ، فالإنكار يمكنه من نكران الواقع كما يظهر له، والكبت يمكنه من طرد الذكريات والإدراكات المؤلمة من الوعي، والهروب يمكنه من استبدال الوقائع المؤلمة بنزوات مستحبة والإسقاط يمكنه من اتهام الآخرين، أو العالم الخارجي بالمشاعر أو الأخطاء التي يريد أن تكون صادرة عنه ،وفي الحالة العادية تستخدم كل هذه

[٣] . فيصل عباس ، **التحليل النفسي للذات الإنسانية (النظرية والممارسة)** ، ب.ط ، بيروت دار الفكر اللبناني ، ١٩٩٧ .ص٨٥.

الآليات للدفاع عن الأنا ضد القلق لكن استخدامها يبقى محدوداً في الزمن ، فما يطبع عدم التوافق هو الاستخدام المكثف والمزمن لها من قبل الأنا " [٤].

لكن هذه الآليات لا تقدم الحل الأمثل لصراعات الفرد، وقد لا تحقق له الراحة النفسية وبزيادة حدة الصراع قد يعرض الفرد للاضطرابات العصابية حيث يعاني من بعض الاضطرابات العصابية.

وتنشأ العصابية نتيجة لمواجهة الفرد لبعض المشاكل الشخصية أو الرواسب الناتجة عن صراع طفولي، أو لشعوره بالذنب أو الإحباط أو لعدم قدرته على التوافق.

"والاضطرابات العصابية لا ترجع إلى سبب عضوي، ولكنها تنشأ بسبب مواجهة الفرد لمجموعة من المشاكل النفسية الداخلية والمواقف البيئية الصعبة التي لا يستطيع مواجهتها أو السيطرة عليها ودون التعرض للصراعات النفسية والقلق والتوتر واللجوء إلى استخدام آليات الدفاع النفسي "[٥].

" وقد أرجع (**فرويد**) العصاب إلى العوامل الحيوية وليس إلى العوامل الثقافية والاجتماعية وجعل من القلق لب العصاب ومحوره ، ومن عقدة أوديب نواته ومنشأه ، ويرى أنه لا يوجد عصاب نفسي دون استعداد عصابي، أي دون عصاب طفلي ، ويرى أن العصابيين هم أولئك الذين لا يزالون يستجيبون لحالات الخطر السابقة وكأنها مازالت قائمة بالفعل ،وهكذا يرى (فرويد) أن العصاب الذي يحدث عند مرحلة البلوغ يستند إلى عصاب طفلي بسبب تثبيت اللبيدو في أحد الأطوار السابقة فيكون العرض هو إعادة متخفية لخبرة جنسية طفلية .

إن اجتماع هذا المثلث الفعال (الصراع النفسي ، الآليات ، العصابية) لا يطال صحة الفرد النفسية فحسب، ولكنه يطال أيضاً صحته الجسمية، فيتعرض من ثم للإصابة بالاضطرابات السيكوسوماتية.

فالفرد يعاني من محنة الصراع عندما يفشل في التوفيق بين دوافعه المتعارضة فيضطر إلى استخدام آليات الدفاع النفسي ،وعندما يسرف في استعمالها فإنها تفقد مفعولها ويعرضه هذا الإسراف للعصابية وقد ينتهي به إلى الاضطرابات السيكوسوماتية .

من هنا يتضح أن الاضطرابات العصابية و السيكوسوماتية وممارسة آليات الدفاع النفسي ما هي ألا مؤشرات ومظاهر تعبر عن الصراع النفسي الذي يهدد توافق الفرد،وعليه فإن هذه الدراسة تستهدف البحث في معرفة العلاقة بين مظاهر آليات الدفاع النفسي والاضطرابات العصابية و السيكوسوماتية والصراع النفسي .

---

[٤] . فؤاد شاهين ، **التحليل النفسي للولد** ، ط.٣ ، بيروت ، المؤسسة الجامعية ، ١٩٨٥ص.٢٧٣.

[٥] . محمد القذافي ، **الصحة النفسية والتوافق** ، ط.٢ ، طرابلس ، دار الرواد ١٩٩٤ .ص١١٥.

مشكلة الدراسة :

قد يؤدي الصراع بين حاجات الإنسان إلى ممارسة بعض أنواع السلوك الشاذ للخفض من شدة توتره وذلك على حساب صحته الجسمية فيقع ضحية الصراع النفسي الذي يسبب تفككاً في شخصيته وذلك لفشله في التخلص من هذا التوتر فيؤدي به إلى سوء توافقه النفسي الذي يؤثر على حياته الطبيعية ويعوقه عن أداء واجباته والاستمتاع بالحياة فيقع ضحية العصابية ، وقد تظهر عصابيته في شكل أعراض نفسية وجس مية، أو هما معاً مكونة المرض السيكوسوماتي.

ومن خلال إطلاع الباحثة للدراسات السابقة، وجدت اختلافاً في النتائج التي توصلت إليها فبعضها توصلت إلى أن الذكور أكثر تعرضاً للصراع النفسي من الإناث وأكثر ممارسة لآليات الدفاع النفسي، وبعض الدراسات أكدت على أن الإ ناث أكثر عصابية من الذكور ، وأوضحت دراسات أخرى أنهن أكثر شعوراً بالتعب والمرض الجسمي والإرهاق، وبقلة الأمن والأمان من الذكور وأكثر خوفاً من الأماكن المرتفعة والمظلمة ، لكن هذه الدراسات لم تتناول العلاقة بين الصراع النفسي وممارسة الفرد لآليات الدفاع النفسي وتعرضه للاضطرابات العصابية والسيكوسوماتية.

ولهذا فقد كان من أهداف هذه الدراسة سد النقص في تلك الدراسات التي تناولت موضوع الصراع النفسي وبعض مظاهر آليات الدفاع النفسي ولم تدرس العلاقة بينه وبين الاضطرابات العصابية و السيكوسوماتية.

وقد تقرر تطبيق **نموذج يوضح العلاقة المفترضة بين الصراع النفسي وبعض مظاهر آليات الدفاع النفسي والعصابية والاضطرابات السيكوسوماتية** . وهو كما يلي :

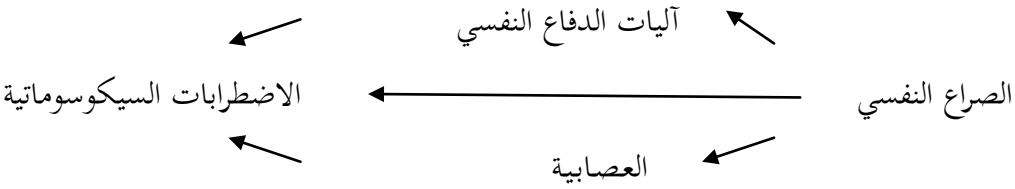

وعليه يمكن تحديد مشكلة الدراسة في معرفة ما إذا كانت هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين الصراع النفسي وممارسة آليات الدفاع النفسي والعصابية والاضطرابات السيكوسوماتية لدى عينة من المترددين على المستشفيات والعيادات والمختبرات الطبية ويعانون من بعض الأمراض العضوية كضغط الدم المرتفع والسكري ، وعلى عينة من أفراد لا يعانون من هذه الأمراض بمدينتي **الخمس** و**زليتن** .

أهمية الدراسة :

تتحدد أهمية الدراسة في الأمور الأتية :

١- تنبع أهمية الدراسة بتركيزها على أن الصراع النفسي قد يؤدي بالفرد إلى استخدام آليات الدفاع النفسي والعصابية وكيف أن اجتماعهم يؤدي بالفرد للإصابة بالاضطراب السيكوسوماتي .

٢- تناول الدراسة لبعض آليات الدفاع النفسي والعصابية والاضطرابات السيكوسوماتية وعلاقتها بالصراع النفسي لدى عينة من ا لمرضى المترددين على المستشفيات والمصحات والمختبرات الطبية ، حيث لم يسبق على حد علم الباحثة أن درست نفس المتغيرات ، وهذه الدراسة هي إسهام متواضع في هذا المجال .

٣- تكمن الأهمية النظرية للدراسة في إعادة اختبار تلك المعرفة النظرية التي توضح العلاقة بين المرض السيكوسوماتي والصراع النفسي والعصابية وممارسة آليات الدفاع النفسي .

٤- وتكمن الأهمية العملية لهذه الدراسة في تقديم توصيات وبناءً على نتائج الدراسة تفيد في التقليل من عوامل الصراع النفسي والتقليل من استخدام آليات الدفاع النفسي والعصابية والاضطرابات السيكوسوماتية .

أهداف الدراسة :

تستهدف الدراسة تحقيق الأهداف التالية :

١- التعرف على ما إذا كان الأفراد الذين ترتفع درجاتهم على مقياس الصراع النفسي أكثر ممارسة لآليات الدفاع النفسي من أولئك الأفراد الذين لا ترتفع درجاتهم على مقياس الصراع النفسي .

٢- التعرف على م ا إذا كان الأفراد الذين ترتفع درجاتهم على مقياس الصراع النفسي أكثر تعرضاً للإصابة بالاضطرابات العصابية من أولئك الأفراد الذين لا ترتفع درجاتهم على مقياس الصراع النفسي.

٣-التعرف على ما إذا كان الأفراد الذين ترتفع درجاتهم على مقياس الصراع النفسي أكثر تعرضاً للإصابة بالاضطرابات السيكوسوماتية من أولئك الأفراد الذين لا ترتفع درجاتهم على مقياس الصراع النفسي.

٤- التعرف على ما إذا كان الأفراد الذين ترتفع درجاتهم على مقياس ممارسة آليات الدفاع النفسي أكثر تعرضاً للإصابة بالاضطرابات السيكوسوماتية من أولئك الأفراد الذين لا ترتفع درجاتهم على مقياس ممارسة آليات الدفاع النفسي.

٥- التعرف على ما إذا كان الأفراد الذين ترتفع درجاتهم على مقياس العصابية أكثر تعرضاً للإصابة بالاضطرابات السيكوسوماتية من أولئك الأفراد الذين لا ترتفع درجاتهم على مقياس ممارسة آليات الدفاع النفسي.

٦- التعرف على مدى إسهام المتغيرات المستقلة وهي : الصراع النفسي والآليات الدفاعية والعصابية في الاضطرابات السيكوسوماتية .

فروض الدراسة :

ستختبر الدراسة الفروض التالية :

١-أن الأفراد الذين ترتفع درجاتهم على مقياس الصراع النفسي أكثر استخداماً لآليات الدفاع النف سي من أولئك الأفراد الذين لا ترتفع درجاتهم على مقياس الصراع النفسي.

٢- أن الأفراد الذين ترتفع درجاتهم على مقياس الصراع النفسي أكثر تعرضاً للإصابة بالعصابية من أولئك الأفراد الذين لا ترتفع درجاتهم على مقياس الصراع النفسي .

٣- أن الأفراد الذين ترتفع درجاتهم على مقياس الصراع النفسي أكثر تعرضاً للإصابة بالاضطرابات السيكوسوماتية من أولئك الأفراد الذين لا ترتفع درجاتهم على مقياس الصراع النفسي.

٤- أن الأفراد الذين ترتفع درجاتهم على مقياس ممارسة آليات الدفاع النفسي أكثر تعرضاً للإصابة بالاضطرابات السيكوسوماتية من أولئك الأفراد الذين لا ترتفع درجاتهم على مقياس ممارسة آليات الدفاع النفسي.

٥- أن الأفراد الذين ترتفع درجاتهم على مقياس العصابية أكثر تعرضاً للإصابة بالاضطرابات السيكوسوماتية من أولئك الأفراد الذين لا ترتفع درجاتهم على مقياس العصابية .

أسئلة الدراسة :

استهدفت هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية :

١- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات أفراد العينة على مقاييس : الصراع النفسي والآليات الدفاعية والعصابية والاضطرابات السيكوسوماتية وفق بعض متغيرات الخلفية ؟

٢- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين رتب درجات أفراد العينة على مقاييس : الصراع النفسي والآليات الدفاعية والعصابية والاضطرابات السيكوسوماتية وفق بعض متغيرات الخلفية ؟

٣- هل توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الصراع النفسي والآليات الدفاعية والعصابية والاضطرابات السيكوسوماتية ؟

حدود الدراسة :

- **المجال المكاني** : أجريت هذه الدراسة على بعض المستشفيات والمصحات والمختبرات الطبية بمدينتي الخمس وزليتن.

– **المجال البشري** : أجريت هذه الدراسة على عينة من المرضى المترددين على المستشفيات والمصحات والمختبرات الطبية وعلى عينة من الأفراد الأصحاء بمدينتي الخمس وزليتن .

– **المجال الزماني** : أجريت هذه الدراسة خلال العام ٢٠١٢ .

مفاهيم الدراسة :

١– **آليات الدفاع النفسي** :" هي وسائل وأساليب لاشعورية من جانب الفرد ، من وظيفتها تشويه ومسخ الحقيقة حتى يتخلص الفرد من التوتر والقلق الناتجة عن الإحباطات والصراعات التي لم تحل وال تي تهدد أمنه النفسي، وهدفها وقاية الذات والدفاع عنها والاحتفاظ بالثقة في النفس واحترام الذات وتحقيق الراحة النفسية "[٦].

٢– **الصراع النفسي** : " هو حالة انفعالية سيئة لدى الفرد تنشأ عن وجود دافعين متناقضين ومتساويي الشدة في آن واحد ، مما يسبب لصاحبه حالة من التوتر والتردد والحيرة بسبب عجزه عن الوصول لحل أو لصعوبة اتخاذه القرار بتفضيل أحد الدافعين على الآخر "[٧].

٣–**الاضطرابات العصابية** :"هي مجموعة من الاضطرابات التي لا ترجع إلى سبب عضوي وتنشأ بسبب مواجهة المريض لمجموعة من المشاكل النفسية الداخلية والمواقف البيئية الصعبة التي لا يستطيع مواجهتها أو السيطرة عليها دون التعرض للصراعات النفسية والقلق والتوتر واللجوء إلى استخدام وسائل الدفاع النفسية "[٨].

٤–**الاضطرابات السيكوسوماتية** :" هي مجموعة من الأعراض والشكاوى التي تكون الأعراض فيها جسمية واضحة تماماً ، ويدخل ضمنها اضطراب أو خلل أو إصابة بعض الأعضاء أو الأجهزة في جسم الإنسان، ولكنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمتغيرات وعوامل نفسية أبرزها العوامل الدافعية والعوامل الانفعالية والوجدانية والضغوط البيئية "[٩] .

٥– **مدينة الخمس** :هي مدينة ساحلية تقع على شاطئ البحر المتوسط ، وتبعد عن م دينة طرابلس حوالي ١٢٠ كم شرقاً ، وعن مدينة زليتن حوالي ٣٥ كم غرباً، وعن مدينة مصراتة حوالي ٨٠ كم غرباً.

---

[٦] . حامد عبد السلام زهران ، **الصحة النفسية والعلاج النفسي** ، ط.٣ ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٩٧ .ص٤١.

[٧] . عثمان علي أميمن ، **في الصحة الرفسية** ، ط.١ ، الخمس ،الدار العالمية، ٢٠٠٤ ، ص١٨.

[٨] . رمضان محمد القدافي ، **الصحة النفسية والتوافق** ، ط.٢ ، طرابلس ، دار الرواد ١٩٩٤ ، ص١١٥.

[٩] . جبالي نور الدين ، **علاقة الاضطرابات السيكوسوماتية بالشخصية** ، دراسة مقارنة لحالات القرحة المعدية وحالات السكري ،رسالة ماجستير غير منشورة ، القاهرة ، جامعة عين شمس ١٩٨٩،ص١٩.

١ –**مدينة زليتن** :هي منطقة تقع على شاطئ البحر المتوسط ، ويبلغ تعداد سكانها حوالي ٢٠٠,٠٠٠ نسمة، تبعد عن مدينة طرابلس حوالي ١٥٠ كلم شرقاً وعن مدينة مصراتة حوالي ٦٠ كلم غرباً (دليل كلية الآداب والعلوم زليتن، ٢٠٠٦).

نموذج الصراع النفسي وعلاقته بالاضطرابات السيكوسوماتية :

ينشأ الصراع النفسي من رغبة الفرد في إشباع دوافع متعارضة أو لها نفس الجاذبية ، كذلك ينشأ الصراع النفسي من رغبة الفرد في إشباع غريزة أو دافع ما وخوفه في نفس الوقت من تعرضه للعقاب إن كان يتوق لإشباع ما يخالف القيم والمعايير الاجتماعية .

ينشأ الصراع أيضاً من تعارض الأدوار التي يقوم بها الفرد في حياته ،كذلك ينشأ الصراع النفسي من الإحباط الناجم عن الإخفاق في إشباع دافع أو حاجة أو رغبة ما ، وبشكل عام فإن الصراعات تنشأ في ظل كثرة الاختيارات التي يتعين على الفرد الاختيار من بينها وكثرة الحلول وعجز الفرد عن حسم اختياره لأحدهما يسبب له صراعاً عارماً ، كذلك يرتبط الصراع بطول المعاناة منه وبأهمية الرغبات التي يتعين على الفرد الاختيار من بينها ، والصراع النفسي المؤلم هو الصراع الذي يستغرق وقتاً طويلاً في حسمه.

وتنشأ الصراعات النفسية في العادة في مرحلة الطفولة بسبب كبتها ،والصراعات المكبوتة وغير المحلولة عادة ما تظه ر على السطح من حين لآخر فتسبب للمرء أعراضاً مرضية ، والصراع عادة ما يكو ن نتاج التعارض بين اللذة والأ لم والصراع الداخلي في الشخصية هو نتاج التعارض بين دافعين متناقضين ، والعجز عن الاختيار بين رغبتين لهما نفس المزايا عادة ما تنتج عنه حالات القلق والضيق والاضطراب والتوتر ،والصراع الضار بتوازن الشخصية والكامن يصبح فعالاً عندما يعجز الفرد عن تحمله ، ويكون الصراع الذي يعرف الفرد أسبابه شعورياً ويمكن ضبطه، وهو عادة ما يكون بسيطاً، بيد أن الصراع اللاشعوري يصعب ضبطه كما يكون وقعه على الشخصية أشد .

والصراع اللاشعوري عادة ما يسيطر على الشخصية ويوجه السلوك بطرق خفية، وقد يدفع الفرد إلى حله بأساليب خاطئة، وقد يواجهه بآليات الدفاع النفسي وهي آليات قد لا تفيد في حل الصراع ، وقد تستنزف طاقة الفرد النفسية على المدى البعيد ، ويرجع الصراع إلى عوامل خارجية كالمعوقات البيئية التي تحول دون تحقيق الفرد لدوافعه،وقد يرجع إلى عوامل داخلية متعارضة مثل رغبة الفرد في إشباع دافع جنسي أو عدواني وفي وقت يتعارض فيه إشباع هذين الدافعين مع مبدأ الواقع ، كما ينشأ الصراع الداخلي من التعارض بين رغبات الهو والأنا الأعلى ، وقد يحسم الفرد صراعه بإشباع دوافعه، وقد يكبت محاولته لإشباع دوافعه وقد يؤجلها إلى حين توافر الظروف المناسبة .

وقد يستخدم الفرد بعض آليات الدفاع النفسي لتمويه الهو وتسكينه والمهادنة معه، حتى يحمي نفسه من القلق والضيق والخوف ونحوها .

يحدث الصراع بسبب الرغبة في تحقيق هدفين لهما نفس الجاذبية .وهذا صراع لا يخل بتوازن الشخصية لسهولة حسمه، وهو يسمى صراع الإقدام – إقدام .

وهناك صراع الإحجام – إحجام ، وهو ينشأ من رغبة الفرد في الاختيار بين هدفين لكل منهما جاذبية سلبية ، ينتج هذا الصراع عن الرغبة بين أمرين أحلاهما مر كما يقال ، وهناك صراع الإقدام – إحجام، وهو صراع ناتج عن رغبة الفرد في تحقيق رغبة ما لمزاياها ولكنه لا يمتلك في نفس الوقت سبل تحقيقها ،كما ينشأ من الرغبة في تحقيق هدف ما له جاذبية ونفور في نفس الوقت ،وهذا اللون من ألوان الصراع يعد أشد أنواع الصراع إرهاقاً للفرد، وذلك لارتباط جوانبه الايجابية والسلبية مع بعضها ، ولذلك فإن استمرار هذا اللون من الصراع بدون حل لفترة ط ويلة عادة ما يقود إلى القلق والتوتر والاضطرابات الجسدية والنفسية ، وهناك صراع الإقدام -الإحجام المزدوج، وهو يسمى بصراع الميول المتعارضة وهو خليط من أنواع الصراع السابقة .

وينشأ الصراع النفسي من الصراع بين مكونات الشخصية :الهو، الأنا، والأنا العليا، ويرجع الصراع النفسي إلى اختلاف أهداف وغايات هذه المكونات الثلاثة ، ويعتبر الصراع اللاشعوري بين هذه المكونات أشد وأخطر أنواع الصراع،وقد وصل "فرويد" من خلال دراسة حالات إكلينيكية إلى أن الصراع الذي تحول إلى المستوى اللاشعوري قاسم مشترك أعظم في كل حالات اختلال السلوك ، وأن الفشل في حل الصراع هو الأساس وراء الأعراض المرضية ،وعدم حل الصراع اللاشعوري يبدد الطاقة النفسية للفرد ، ويجعله يفشل في مقاومة الصراعات اللاحقة .

ويحدث الصراع حتى بين مكونات الهو نفسها ،حيث يحدث الصراع بسبب رغبة الفرد في إشباع دافعين بيولوج يين في نفس الوقت، ويحدث الصراع بين الأنا و الهو، مثل رغبة الفرد في إشباع دافع بيولوجي، ولكن وفي وقت لا تسمح فيه ظروف العالم الخارجي بذلك ، وقد يتحايل الأنا على الهو باستخدام آليات تظهر للهو بأن دوافعه تتحقق ، والأنا القوي يستطيع أن يشبع رغبات الهو بالطرق المقبولة، فالأنا الضعيفة قد تفشل في إشباع حاجات الهو أو تفشل في التوفيق بين متطلبات الواقع ورغبات الهو ، وهنا يقوم الفرد بكبت دوافعه ويظل ما يكبته يتصارع بداخله ، ولكن وعندما يشتد الصراع بين الأنا وبين رغبات ودوافع الهو ويشتد الحرمان و الإحباطات المتكررة، فإن الفرد قد يتعرض للعصاب نتيجة ذلك.

قد ينصاع الأنا ويعمل على حل صراعه مع الهو وذلك بتحقيق رغبة الهو ، فيتدخل الأنا الأعلى هنا ويلوم الأنا على تخاذله ويطالبه بكف أو قمع رغبات الهو ، والأنا الأعلى المتشدد قد يعرض الفرد لصور مرضية من قلق الضمير الذي لا يطاق ،حيث يتهم الأنا ذاته ويوجه إليه أقسى أنواع العقوبات والإدانة ، كذلك يحدث الصراع بين الأنا الأعلى و الهو وبين مكونات الأنا الأعلى ذاتها.

الصراع النفسي و العصابية :

عندما يحدث الصراع النفسي فإن الفرد سيعاني القلق والضيق وكافة الاضطرابات النفسية الأخ رى، والعرض العصابي شأنه في ذلك شأن ممارسة آليات الدفاع النفسي وزلات القلم واللسان والأحلام والأفعال القهرية وسيلة للتخفيف عن ما يعانيه الفرد من إخفاقات و إحباطات في بلوغ أهدافه ، فالفرد الذي يشعر بالقلق سينصب اهتمامه على عوامل قلقه ، وقد يعمل على ما يخفف من قلقه، وهو باهتمامه بقلقه يحول انتباهه عن السبب الحقيقي الذي كان وراء قلقه ونفس الشيء يقال عن الشخص الذي يعاني من الخوف الناجم عن الصراع بين الرغبة في تحقيق هدف ما وبين الخوف من ردة فعل الآخرين الذين قد يستهجنون هدفه ، إن تفكير المرء في عواقب مسلكه قد يعرضه لحالة من القلق والهلع ، وهذا القلق يصرفه عن الانتباه إلى رغبته الأصلية ، ويصبح يشكو من سوء توافقه .

إن الفرد الذي يعاني صراعاً فعلياً، قد يضطر إلى التسليم بمتطلبات الواقع والرضوخ له ، وهنا يظهر العصاب الذي هو وسيلة لحل الصراع النفسي ، فالشخص الذي يود الزواج من فتاة صغيرة السن، قد يتخلى عن رغبته هذه وفاء لزوجته، بيد أن هذا التخلي لا يمر دون أن يجعل الفرد قلقاً أو يجعله في صراع داخلي بين رغباته المتعارضة . وهنا ينشأ العصاب كحل لهذا الصراع الداخلي ، قد يفلح المرء في حل صراعه الناجم عن احباطات العالم الخ ارجي ،وقد يفشل في ذلك ، وهنا يصبح المرء أمام صراع فعلي ،ولا يعاني الفرد الصراع العصابي مادام بإمكانه التصرف وفق مقتضيات العالم الخارجي ، فقد يستطيع الفرد أن يطوع العالم الخارجي لإرادته أو يتحمل الإحباط عندما لا يكون إشباعه ممكناً، وقد يتنازل الفرد عن إشباع حاجاته الخاصة مقابل إشباعها بحاجات بديلة ولكن وعندما يخفق المرء في كل ذلك، فإن صراعه مع العالم الخارجي يصبح صراعاً داخلياً، ويصبح يدور في حلقة مغلقة ، وبناء على هذا نفترض الآتي :

١) إن الأفراد الذين ترتفع درجاتهم على مقياس الصراع النفسي أكثر معاناة من الع صابية من أولئك الأفراد الذين لا ترتفع درجاتهم على مقياس الصراع النفسي.

الصراع النفسي وآليات الدفاع النفسي :

عندما يتعرض الأنا لضغط دافع بيولوجي، فإنه قد يقوم بإشباع هذا الدافع إذا كان لا يتعارض إشباعه مع قيود وشروط العالم الخارجي، حقاً إن هدف الأنا هو أيضاً إشباع حاجات الإنسان المختلفة شأنه في ذلك شأن الهو ، بيد أن الأنا يتميز بأنه يتخير اللحظة المناسبة لإشباع نداءات الهو، إذا كان ما يريده الهو لا يتماشى مع متطلبات الواقع . يقول "فرويد" في هذا الصدد: يسيطر مبدأ اللذة سيطرة تامة على الحياة النفسية ، ومن هنا فإن الجهاز النفسي يعمل على خفض كمية الاستثارة التي يتعرض لها إلى أدنى حد ممكن أو أن يبقيها على الأقل ثابتة لا تتغير ، وليس هذا سوى مبدأ اللذة في صيغة أخرى ، هدف الجهاز النفسي إذن هو العمل على خفض كمية الاستثارة إلى أدنى مستوى مستطاع، للنفس الإنسانية نزعة قوية وميلاً غالباً إلى التزام مبدأ اللذة، لكن هناك من القوى والظروف ما يعارض تلك النزعة معارضة تؤدي إلى أن الأمور لا تنتهي في كافة الأحوال إلى نهاية توائم مبدأ اللذة.

يستهدف الأنا تحقيق اللذة ولكن في الظروف وبالوسائل المناسبة . وقد يحقق هدفه مباشرة بإشباع دافع الهو ،وقد يستعيض عن ذلك بإتباع الآليات الدفاعية التي هدفها تخفيض التوتر لدى الأنا ، فآليات الدفاع النفسي هي نوع من الموائمة بين إلحاحات الهو وبين قيود الواقع ، وهي وسائل تستهدف تخفيض التوتر الناجم عن الإحباط الناجم عن عدم إشباع دافع الهو حتى توافر الفرص المناسبة لإشباع ذلك الدافع في العالم الخارجي.

تستهدف آليات الدفاع النفسي حماية الأنا من القلق والاضطرابات النفسية الأخرى وهي وسيلة لتحقيق التوافق النفسي و الاجتماعي ، بيد أن الإسراف في استعمالها قد يعرض الفرد للاضطرابات النفسية ، ذلك لأن عدم إشباع الدوافع بطريقة طبيعية عادة ما يصيب الفرد بالتوتر والقلق والإحباط كما يجعله يعاني من الصراع ، وفي كثير من الأحيان يسقط الأنا أمام فشله في تأجيل حاجات الهو ، ثم إن الإمعان في استعمال آليات الدفاع النفسي للتحايل على الإشباع المباشر لحاجات الهو عادة ما يؤدي إلى استنزاف الطاقة النفسية للأنا ، ويفشل في مواجهة الصراع الناجم عن الرغبة في إشباع حاجات متعارضة ، إن هدف الآليات الدفاعية هو تخفيف حدة الصراع النفسي، ومساعدة الفرد على التوافق مع الواقع، ولذلك فإن نجاح الأنا في استعمال آليات الدفاع النفسي يساعد على تماسك الشخصية، بيد أن الإسراف في استعمالها يفقدها فعاليتها ، وقد يجعلها تفشل في التخفيف من حدة الصراعات النفسية، وتكون محصلة ذلك معاناة الفرد من الاضطرابات النفسية والنفس – جسمية، وبناء على ذلك يمكننا أن نفترض الآتي :

٢) إن الأفراد الذين ترتفع درجاتهم على مقياس الصراع ال نفسي أكثر ممارسة لآليات الدفاع النفسي من أولئك الأفراد الذين لا ترتفع درجاتهم على مقياس الصراع النفسي.

الصراع النفسي و الاضطرابات السيكوسوماتية :

قد يؤدي الصراع النفسي إلى إصابة الفرد بالاضطرابات السيكوسوماتية ، ذلك لأن الفرد الذي لم تحسم صراعاته، سيتعرض لمزيد من القلق والخوف وتوهم المرض والاكتئاب ونحوها ، وهنا قد يحاول الجسم التوافق مع ضغوط الاضطرابات النفسية ، والاضطراب النفسي هو اضطراب جسمي في الظاهر تم فيه إخفاء الاضطراب الانفعالي النفسي المنشأ والذي قد يكون نتاجاً للإحباط والصراع والقمع والكبت والانفعال المزمن وما إلى ذلك.

يرجع سبب الاضطرابات النفسجسمية التي تحدث في الجسم بصفة رئيسية إلى اضطرابات انفعالية ، وتعبر هذه الاضطرابات السيكوسوماتية عن الاتصال الوثيق بين الجسم والدماغ، أي أنها تعبر عن التفاعل المستمر بين الشخصية والصراع الانفعالي من نا حية وبين الجهاز العصبي المستقل من ناحية أخرى ، وفي الاختلالات النفسية الفيزيولوجية تتأثر الأعضاء التي لا تخضع للتوجيه الإرادي أو الشعوري مثل الرئتين أو القولون .

ولقد تعددت تفسيرات أسباب الاضطرابات السيكوسوماتية ،فالاتجاه الانفعالي يفترض أن الصدمات الانفعالية تتسبب في حدوث توتر مستمر في الجسم ، وهو ما يؤدي إلى ظهور أعراض فسيولوجية تصاحب الانفعال ، وهذه الأعراض الفسيولوجية تؤدي إلى اضطراب وظيفي في الأعضاء الفيزيولوجية المصابة ، والانفعالات المتكررة هي التي تؤدي إلى الاضطراب السيكوسوماتي ،والاضطراب السيكوسوما تي محاولة للتوافق مع الانفعال، وقبل حدوث الاضطراب السيكوسوماتي عادة ما يظهر الجسم إنذارات تشير إلى أن هناك خطأ أو خللاً ما في سلوك الفرد . فالإرهاق المستمر في العمل، قد يجعل المرء يصاب بالصداع والصداع هنا وسيلة لحث المرء على الخلود للراحة ، ولذلك فإن عدم استجابة الفرد لنداء جسمه والاستمرار في عمله المضني يجعله يتعرض لمزيد من الصداع وقد يتحول هذا الصداع إلى صداع نصفي عضوي ولكنه نفسي المنشأ ، ويعتبر الصراع النفسي أحد أسباب التوتر ، وعندما ينشأ التوتر فإن الفرد يحاول تصريفه إلى الخارج، ولكن وعندما يفشل الفرد في تصريف توتره إلى الخارج فإن توتره يرتد إلى داخله مسبباً تغييرات عضوية في الأنسجة، وهنا ينشأ الاضطراب السيكوسوماتي.

ويذهب التحليليون إلى أن كل عرض ينتج من صراع انفعالي لا شعوري معين ،إن عدم حل الصراعات اللاشعورية التي كابدها الإنسان أثناء حياته لابد وان يؤدي في النهاية إلى زيادة التوتر الجسدي ، ومن تم تظهر على هيئة اضطراب عضوي ، فالربو مثلاً ينتج عن افتقاد الفرد للأمن .

وينطلق التفسير السلوكي للاضطراب السيكوسوماتي من أن تشكيل البيئة على نحو معين، قد يجعل الفرد يستجيب بطريقة معينة ، وقد تكون هذه الاستجا بة مسببة للقلق والضيق ،وهنا يستجيب الجسم لهذا الضيق بطريقة ما، وقد تؤدي هذه الطريقة إلى اختلالات وظيفية تكون محصلتها الاضطرابات السيكوسوماتية ،كما أن بعض الأفراد يخفق في التوافق مع متطلبات البيئة الاجتماعية والفيزيقية فيحدث الصراع الذي تكون محصلته الإصابة بالمرض السيكوسوماتي، وبعض الأفراد لا يمتلك البنية الجسمية والاستعداد النفسي اللذين يمكنانه من التكيف فيصاب بالاضطراب السيكوسوماتي بسبب ما يعانيه من قلق واضطراب وصراع نفسي بين ما هو مطلوب معه، وبين إمكاناته النفسية والبيولوجية.

وقد يكون الصراع النفسي الناجم عن الفشل في إشباع دافع ما عاملاً أساسياً في معاناة الفرد من الاضطرابات النفسية التي تقود في النهاية إلى الإصابة بالاضطرابات السيكوسوماتية ، وبناء على ذلك يمكننا افتراض الآتي :

٣) إن الأفراد الذين ترتفع درجاتهم على مقياس الصراع النفسي أكثر معاناة من الاضطرابات السيكوسوماتية من أولئك الأفراد الذين لا ترتفع درجاتهم على مقياس الصراع النفسي.

آليات الدفاع النفسي و الاضطرابات السيكوسوماتية :

عندما يفشل الفرد في حل صراعه الناجم عن الرغبة في تحقيق أو إشباع دوافع أو غايات متعارضة، فإن الفرد قد يلجأ إلى ممارسة بعض آليات الدفاع النفسي كالنكوص والعكسية والإسقاط والتبرير والإنكار ونحوها ، الحيل الدفاعية هنا وسيلة لتخفيض التوتر وتحقيق قدر من اللذة المؤقتة ، إنها وسيلة للتحايل على مطالب الهو الجامحة ، بيد أن ممارسة آليات الدفاع النفسي قد يفقدها مفعولها وبخاصة عندم ا يخضع الأنا باستمرار لمطالب الهو المتجددة ولإلحاحاته المستمرة وهنا يشعر الفرد بمزيد من التوتر والإحباط الداخلي ، ولا يمر هذا الإحباط الداخلي دون أن يتسبب في قلق أو انفعال يؤثر على توازن الجسم ووظائفه ، قد يحاول الجسم التكيف مع الانفعالات الناجمة عن الإحباط الداخلي، ولكن هذه المحاولات عندما تتجاوز حدودها، فإنها لابد وأن تطال بعض أعضاء الجسم فتخل بوظائفها فيصاب الفرد بأمراض جسمية ذات منشأ نفسي مثل ضغط الدم المرتفع والسكري والربو وأمراض القولون والروماتزم والأكزيما أو البدانة المفرطة، وقرحة المعدة وما إلى ذلك.

وتعتبر الاضطرابات التحولية والانفصالية من الآليات الدفاعية ، فهي تطال البصر والسمع والحركة والنطق ، وتعتبر الاضطرابات التحولية أكثر أنواع هذه الاضطرابات انتشاراً ، وبموجبها يحول الفرد صراعه العقلي إلى عرض جسمي ، ويصاحب هذا النوع من الاضطرابات كثيراً من أ نواع الاختلال الجسمي كالشلل والآلام وفقد الأحاسيس والعمى

البصري وكثيراً ما يعتقد أن هذه الأعراض فسيولوجية ، ولكن هناك أدلة قاطعة على أصلها النفسي ، وأما الأعراض الخاصة في حالات الهستيريا فقيمتها أنها ميكانزمات دفاعية .

لا يدرك مريض الهستيريا أن مرضه العضوي ذو منشأ نفسي ، لذلك فإن تبصيره بأسباب مرضه العضوي وتمكينه من حل الصراع الذي يعتمل بداخله سيساعده على التوافق النفسي الاجتماعي .

يتسبب الإسقاط في شعور الفرد بالذنب ، فالشخص الذي يكره شخصاً آخر بحجة أن ذلك الشخص يكرهه، قد يشعر بالذنب في قرارة نفسه، وقد يصاب بقلق شديد وهذا القلق قد يتسبب في إصابته باضطرابات سيكوسوماتية،كما أن الفرد الذي يمارس آلية العكسية، قد يشعر بالألم وهو يعمل ضد رغباته الحقيقية ، فهو يمارس النفاق والرياء والظهور بمظهره غير الحقيقي وفي ذلك معاناة، قد تتسبب في اضطرابه نفسياً ومن ثم إصابته بمرض سيكوسوماتي، وبناءً على ذلك يمكننا أن نفترض الفرض التالي :

٤) إن الأفراد الذين ترتفع درجاتهم على مقياس ممارسة آليات الدفاع النفسي أكثر تعرضاً للإصابة بالاضطرابات السيكوسوماتية من أولئك الأفراد الذين لا ترتفع درجاتهم على مقياس ممارسة آليات ال دفاع النفسي.

العصابية و الاضطرابات السيكوسوماتية :

تتعدد الاضطرابات السيكوسوماتية، ويعد الصداع النصفي أحد هذه الاضطرابات ، وهناك عوامل نفسية تسبب الصداع النصفي، ومن بين هذه العوامل: نبذ الدوافع الجنسية الذي يؤدي إلى مزيد من الإحباط الذي يسبب الصداع النصفي، كما ينتج هذا المرض بسبب تعرض المرء لضغوط نفسية وبسبب وساوسه القهرية، وهو ينتج من القلق الناجم عن الشعور بالخوف من الفصل من العمل أو توقع الفشل في الزواج أو فقد الأصدقاء ، وينشأ مرض السكري بسبب زيادة إفراز الأدرينالين المصاحب للانفعالات العنيفة من القل ق والتوجس المستمر، وهو ما يجهد الكبد الذي يعمل من أجل إفراز المزيد من الجلوكوز وإجهاد البنكرياس لإفراز مزيد من الأنسولين الذي يؤدي لاختزان السكر في الكبد، وزيادة السكر في الدم تؤدي إلى اضطراب عملية الأيض الانفعالات الشديدة وفقدان الموضوع والحزن الشديد والاكتئاب والخوف والقلق كلها عوامل ترتبط بالسكري.

ويحدث ضغط الدم الجوهري بسبب معاناة الفرد من عداء مكبوت منذ أيام الطفولة ومن قلق لا شعوري مستمر ، وعدم استعمال الفرد حيل دفاعية للتخلص من العدوان المكبوت يجعله يكبت عدوانه، وهو ما يجعل الأوعية الدموية في حالة من التوتر المستمر والذي يؤدي إلى زيادة ضغط الدم كنتيجة للقلق المزمن.

وترتبط الذبحة الصدرية بكثرة المواقف التي يتعرض لها الفرد ، فالمواقف الانفعالية ترفع ضربات القلب التي قد يؤدي استمرارها إلى أمراض القلب ، وينشأ مرض القلب عندما يكون سلوك الفرد التفاعلي مع الصراعات مبنياً على قمع الشحنات الانفعالية ، وهو ينشأ نتيجة الإحباط الناجم عن الإخفاق في تحقيق أهداف ما ، وتنتج أمراض القلب بسبب الإرهاق الشديد وقلة الاسترخاء وبسبب فقدان الحب والحنان.

وتنشأ قرحة المعدة بسبب حالات الضيق الشديد الذي يفقد التوازن الهرموني ، وهي ترتفع لدى المدخنين، يتسبب الضغط في حدوث القرحة المعدية، كما تنتج القرحة المعدية عن القلق المزمن.

ترتبط السمنة المفرطة بالشعور بالتوتر والقلق ، وكثرة تناول الطعام تخفف الشعور بالتوتر كما أن الطعام يرمز للحب والحنان ،فالأم التي تشعر بالتقصير تجاه ابنها، قد تعوضه عن ذلك بالإسراف في إطعامه كدليل على حبها له ، ولكن بعد ذلك يتعلم الطفل أن يعمم حاجته للطعام كلما مر بموقف مقلق ، وترتبط البدانة لدى الإناث بفقدان العطف أو بالقلق النفسي.

ويرتبط الربو الشعبي بتلك الأسباب الانفعالية التي تهدد مثلاً بانفصال الشخص عن أمه ،وهو استجابة غيظ مكظومة، وهو يظهر لدى الأفراد الذين يتسمون بالحساسية الزائدة والعدوان الكامن والطموح، والذكاء العالي، والقلق وضعف القدرة على العمل اليدوي وانعدام الثقة بالنفس والقلق حول الذات، ويتسمون بالاتكالية والخوف من النبذ.

ووجد أن التهاب المفاصل (الروماتزم) يرتبط بالضغوط البيئية و الإحباطات التي تثير قلق الفرد، والجهد الانفعالي الذي يتعرض له الفرد ، وهو ينتج عن الميول الذكرية المكبوتة لدى المرأة، وقد ينتج عن الجنسية المكبوتة .

وتحدث الأمراض الجلدية نتيجة وجود ميول عدوانية ش ديدة لدى المرضى ونتيجة لوجود رغبات لا شعورية في التطلع والاستعراض مع مشاعر مصاحبه بالذنب والخجل ، والطفح الجلدي تعبير عن الشعور بالذنب ، والجلد هو وسيلة التعبير عن الحاجة للدفء والاقتراب ، وترتبط الحكة كمرض جلدي بالعدوان ، ويرتبط القلق بالعرق الغزير،والغضب بالارتكاريا والتهاب الجلد يرتبط باللهفة للحب وترتبط الثعلبة بالحزن الشديد، ويرتبط الاكتئاب بتشوه الجلد.

وبناءً على ذلك يمكننا أن نفترض الآتي :

٥) إن الأفراد الذين ترتفع درجاتهم على مقياس العصابية أكثر معاناة من الاضطرابات السيكوسوماتية من أولئك الأفراد الذين لا ترتفع درجاتهم على مقياس العصابية .

- **الأساليب المنهجية للدراسة :**

أولاً:منهج الدراسة: نظراً لأن هذه الدراسة تهدف لمعرفة بعض مظاهر آليات الدفاع النفسي والعصابية والاضطرابات السيكوسوماتية وعلاقتها بالصراع النفسي لدى بعض المرضى المصابين بالاضطرابات السيكوسوماتية، ولذلك فقد تقرر استخدام **المنهج الوصفي الارتباطي** باعتباره المنهج المناسب لتحقيق أهداف الدراسة .

ثانياً : مجتمع الدراسة : أجريت هذه الدراسة على بعض المرضى المترددين على المستشفيات والمصحات والمختبرات الطبية في مدينتي الخمس و زليتن .

ثالثاً : عينة الدراسة : وتكونت من بعض المرضى المترددين على المستشفيات والمصحات والمختبرات ، والمصابين بالاضطرابات السيكوسوماتية ، في مدينتي الخمس و زليتن ، والذين تجاوزت أعمارهم (الأربعين سنة ، فما فو ق) وبلغ عدد المرضى الكلي (٤١٠) مريض ، بواقع (٢٠٠) من الذكور، و(٢١٠) من الإناث وتم اختيارهم بطريقة عشوائية .

رابعاً : أساليب إجراء الدراسة : أجريت هذه الدراسة وفق عدة خطوات .وتمثلت الخطوة الأولى في إجراء الدراسة الاستطلاعية وتمثلت الخطوة الثانية في إجراء الدراسة النهائية .

- **وسيلة جمع البيانات** : تقرر استعمال **الاستبيان المغلق** كوسيلة لجمع بيانات هذه الدراسة، والاستبيان من النوع المغلق ذي السلالم المتعددة، والذي يختار المبحوث بموجبه البديل الأقرب إلى حالته .

- **إجراء الدراسة النهائية** : لقد استخدم الاستبيان المغلق وسيلة لجمع بيانات هذه الدراسة، وقد أتضح أن الاستبيان الاسطلاعي تمتع بكافة أنواع الصدق الرئيسة والثبات ، وهو ما يجعل الباحثة تطمئن إلى أن استبيان هذه الدراسة يصلح لتحقيق أهداف الدراسة

– **مقياس العصابية** : وتضمن (٢٠) عبارة تقيس مظاهر تعرض المبحوث للإصابة بالاضطرابات العصابية.

– **مقياس الصراع النفسي** : وتضمن (١٧) عبارة تقيس درجة تعرض المبحوث للصراع النفسي .

– **مقياس الآليات الدفاعية** : وتضمن (١٤) عبارةً تقيس مظاهر استخدام المبحوث للآليات الدفاعية .

– **مقياس الاضطرابات السيكوسوماتية** : وتضمن (٢٠) عبارة تقيس مظاهر تعرض المبحوث للإصابة بالاضطرابات السيكوسوماتية .

وقد أعدت بنود الاستمارة النهائية مثل الاستمارة الاستطلاعية على أسس (**مقياس ليكرت**) ، وذلك لسهولته ودقته وموضوعيته ومرونته التي تسهل إضافة العبارات والجمل المطلوبة لسابقاتها ، وتجعلها تكمل بعضها بعضاً أثناء تناولها موضوع معين .

وقد انحصرت سلالم الخلفية في اختيار الإجابة من عدة بدائل، أما سلالم المقاييس الأربعة فقد انحصرت في عبارات (**نعم** ، **إلى حد ما** ، **لا**).

– **تطبيق الدراسة النهائية** : بعد أن أعد الاستبيان في شكله النهائي، وبعد التأكد من تمتعه بالشروط اللازمة لإظهاره بالصورة الصحيحة، وبعد تحديد أفراد عينة الدراسة ، وزع الاستبيان خلال العام ٢٠١٢، وقد قامت الباحثة شخصياً بتطبيق الشروط المقررة لاختيار عينة الدراسة وبتوزيع الاستبيان بنفسها على المبحوثين .

- **تفريغ البيانات والمعالجة الإحصائية** : أعدت الباحثة دليلاً للترميز، وبموجب ذلك أصبحت البيانات جاهزة للتفريغ عن طريق الحاسب الآلي، وقد استخدم برنامج "Excel" وبرنامج "SPSS" لتفريغ بيانات هذه الدراسة.

- **الأساليب الإحصائية المستعملة في الدراسة** :

_ **مربع كا ٢** : وقد استخدم هذا الاختبار لمعرفة ما إذا كانت هناك علاقة بين الصراع النفسي ومتغيرات العصابية والآليات الدفاعية والاضطرابات السيكوسوماتية في هذه الدراسة ، وقانون هذا الاختبار هو :

$$كا^2 = \frac{(ك_م - ك_ن)^2}{ك_ن}$$

– **الانحدار الخطي**:ويستخدم لتحليل العلاقة بين متغير مستقل واحد أو أكثر ومتغير تابع لمعرفة قوة العلاقة بينهما وتكتب معادلة الانحدار الخطي المتعدد بالصيغة التالية :

ص١ = أ٠ + أ١س١١ +أ٢ س٢١ +أ٣س٣١ + أ٤س٤١ .....+أن س١ن +ح١.

– **اختبار كروسكال –و أليس Wallis Test–Kruskal** :

ويعتبر بديلاً لا بارا متريا لتحليل التباين أحادي الاتجاه وفيه يجرى تحليل التباين على الرتب بدلاً من الدرجات الأصلية ، ويستخدم هذا الاختبار لتحديد ما إذا كانت ثلاث عينات مستقلة أو أكثر مستمدة من مجتمع واحد .

معادلة الاختبار هي :

$$هـ = \left[\frac{12}{ن(ن+1)}\ مج_{و=1}^{ك}\ \frac{ر_و^2}{ن_و} - 3(ن+1)(أ)\right]$$

عرض النتائج وتحليلها وتفسيرها واختبار النموذج النظري :

١– اختبار الفرض الأول للدراسة الذي مؤداه :أن الأفراد الذين ترتفع درجاتهم على مقياس الصراع النفسي أكثر معاناة من العصابية من أولئك الأفراد الذين لا ترتفع درجاتهم على مقياس الصراع النفسي :

ولاختباره حسبت قيمة كا٢، وبيانات الجدول التالي توضح ذلك :

الجدول رقم (١) يوضح العلاقة بين الصراع النفسي و العصابية :

العصابية	الصراع النفسي			المجموع
	منخفض	متوسط	مرتفع	
مرتفع	٢٠	٧٠	٣٥	١٢٥
متوسط	٣٠	١٠٩	٣٩	١٧٨
منخفض	٣٥	٦٣	٩	١٠٧
المجموع	٨٥	٢٤٢	٨٣	٤١٠
كا٢ = ٢١.٧٤٧		د.ح = ٤		مستوى الدلالة =٠.٠٠٠
درجة معامل التوافق الأسمى = ٠.٢٢٤				

توضح بيانات الجدول السابق أن قيمة كا ٢ وبأربع درجات للحرية ٢١.٧٤٧ ، وهي دالة بمستوى ٠.٠٠٠ ، وقد بلغت درجة معامل التوافق الأسمي ٠.٢٢٤ ، أي أن هناك علاقة بين الصراع النفسي والعصابية ، وبذلك تحقق الفرض الأول للدراسة .

٢–اختبار الفرض الثاني للدراسة الذي مؤداه : إن الأفراد الذين ترتفع درجاتهم على مقياس الصراع النفسي أكثر ممارسة للآليات الدفاعية من أولئك الأفراد الذين لا ترتفع درجاتهم على مقياس الصراع النفسي .

ولاختباره حسبت قيمة كا٢، وبيانات الجدول التالي توضح ذلك:

الجدول رقم (٢) يوضح العلاقة بين الصراع النفسي والآليات الدفاعية :

الآليات الدفاعية	الصراع النفسي			المجموع
	منخفض	متوسط	مرتفع	
مرتفع	٣٠	٥٥	٢١	١٠٦
متوسط	٤٦	١٥١	٤٨	٢٤٥
منخفض	٩	٣٦	١٤	٥٩
المجموع	٨٥	٢٤٢	٨٣	٤١٠
كا٢ = ٥.٨٨٨		د.ح = ٤		غير دالة معنوياً

ويلاحظ أنه لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الصراع النفسي وممارسة الآليات الدفاعية ، فبلغت قيمة كا ٢ وبأربع درجات للحرية ٥.٨٨٨ ويعني عدم تحقق الفرض الثاني.

٣- اختبار الفرض الثالث للدراسة الذي مؤداه : إن الأفراد الذين ترتفع درجاتهم على مقياس الصراع النفسي أكثر تعرضاً للاضطرابات السيكوسوماتية من أولئك الأفراد الذين لا ترتفع درجاتهم على مقياس الصراع النفسي :

حسبت قيمة كا٢ ، وبيانات الجدول التالي توضح ذلك .

الجدول رقم (٣) يوضح العلاقة بين الصراع النفسي والاضطرابات السيكوسوماتية :

الاضطرابات السيكوسوماتية	الصراع النفسي			المجموع
	منخفض	متوسط	مرتفع	
مرتفع	١٤	٣١	٦	٥١
متوسط	٥٢	١٤٦	٤٥	٢٤٣
منخفض	١٩	٦٥	٣٢	١١٦
المجموع	٨٥	٢٤٢	٨٣	٤١٠
كا٢ = ١٥.٣٧٤		د.ح =٤		مستوى الدلالة = ٠.٠٠٤
درجة معامل التوافق الأسمى = ٠.١٩٠				

ويلاحظ أن هناك علاقة دالة إحصائية بين الصراع النفسي والاضطرابات السيكوسوماتية ،حيث بلغت قيمة كا٢ وبأربع درجات للحرية ١٥.٣٧٤ وهي دالة، وقد بلغت درجة معامل التوافق الأسمى ٠.١٩٠ ، أي أن هناك علاقة قوية بين الصراع النفسي والاضطرابات السيكوسوماتية ، وبذلك تحقق الفرض الثالث للدراسة .

٤– اختبار الفرض الرابع للدراسة الذي مؤداه : إن الأفراد الذين ترتفع درجاتهم على مقياس الآليات الدفاعية أكثر معاناة من العصابية من أولئك الأفراد الذين لا ترتفع درجاتهم على مقياس الآليات الدفاعية :

وقد حسبت قيمة كا٢ ، وبيانات الجدول التالي توضح ذلك :

الجدول رقم (٤) يوضح العلاقة بين الآليات الدفاعية والعصابية :

العصابية	الآليات الدفاعية			المجموع
	منخفض	متوسط	مرتفع	
مرتفع	٩	٧٥	٤١	١٢٥
متوسط	٢٠	١١٢	٤٦	١٧٨
منخفض	٣٠	٥٨	١٩	١٠٧
المجموع	٥٩	٢٤٥	١٠٦	٤١٠
كا٢ = ٢٥.٤٦٧ د.ح = ٤ مستوى الدلالة = ٠.٠٠٠				
درجة معامل التوافق الأسمى = ٠.٢٤٢				

وبالنظر إلى بيانات الجدول السابق يلاحظ أن هناك علاقة ذات دلالة إ حصائية بين الآليات الدفاعية و العصابية . حيث بلغت قيمة كا ٢ وبأربع درجات للحرية ٢٥.٤٦٧ ، وهي دالة بمستوى ٠.٠٠٠ ، وقد بلغت درجة معامل التوافق الأسمي ٠.٢٤٢ ،وهو ما يعني أن هناك علاقة قوية بين الآليات الدفاعية و العصابية ، وبذلك تحقق الفرض الرابع للدراسة .

٥ – اختبار الفرض الخامس للدراسة الذي مؤداه : إن الأفراد الذين ترتفع درجاتهم على مقياس العصابية أكثر تعرضاً للإصابة بالاضطرابات السيكوسوماتية من أولئك الأفراد الذين لا ترتفع درجاتهم على مقياس العصابية .

ولاختبار هذا الفرض حسبت قيمة كا٢ ، وبيانات الجدول التالي توضح ذلك :

الجدول رقم (٥) يوضح العلاقة بين العصابية والاضطرابات السيكوسوماتية :

الاضطرابات السيكوسوماتية	العصابية			المجموع
	منخفض	متوسط	مرتفع	
مرتفع	٨	٦٧	٥٠	١٢٥
متوسط	١٨	١١٥	٤٥	١٧٨
منخفض	٣٠	٦١	١٦	١٠٧
المجموع	٥٦	٢٤٣	١١١	٤١٠
كا٢ = ٣٨.٠١٥		د.ح = ٤		مستوى الدلالة = ٠.٠٠٠
درجة معامل التوافق الأسمى = ٠.٢٩١				

وبالنظر إلى بيانات الجدول السابق يلاحظ أن هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين العصابية والاضطرابات السيكوسوماتية، حيث بلغت قيمة كا٢ وبأربع درجات للحرية ٢١.٧٤٧ ، وهي دالة بمستوى ٠.٠٠٠ ، وقد بلغت درجة معامل التوافق الأسمى ٠.٢٩١ ،وهو ما يعني أن هناك علاقة قوية بين العصابية والاضطرابات السيكوسوماتية ، وبذلك تحقق الفرض الخامس للدراسة .

رابعاً: اختبار الفرض الثالث للدراسة الذي مؤداه : ما هو شكل العلاقة الخطية بين متغيرات الصراع النفسي والآليات الدفاعية و العصابية و المؤدية للاضطرابات السيكوسوماتية ؟

استهدفت هذه الدراسة التعرف على شكل العلاقة الخطية بين متغيرات الصراع النفسي وآليات الدفاع النفسي والعصابية والاضطرابات السيكوسوماتية، وعلى مدى إسهام الصراع النفسي في استخدام آليات الدفاع النفسي وحدوث العصابية والاضطرابات السيكوسوماتية، وقد استخدمت معادلة الانحدار الخطي المتعدد لمعرفة دور المتغيرات السالفة الذكر في حدوث المتغير التابع الاضطرابات السيكوسوماتية .

وقد تمت الإجابة عن هذا السؤال من خلال الآتي:

١ -إسهام الصراع النفسي وآليات الدفاع النفسي و العصابية في الاضطرابات السيكوسوماتية :

استخدمت **معادلة الانحدار الخطي** لمعرفة مدى إسهام المتغيرات المستقلة السالفة الذكر في الاضطرابات السيكوسوماتية، وبيانات الجدول التالي توضح ذلك :

الجدول رقم (٦):يوضح مدى إسهام الصراع النفسي وآليات الدفاع النفسي والعصابية في الاضطرابات السيكوسوماتية .

ثابت الانحدار	المعلمة	قيمة (ت)
	١.٢٨١	**٨.٥٩٧
العصابية	٠.٢٣١	**٤.٦٥٩
الصراع النفسي	٠.١٥٠	*٣.٠٨٥
آليات الدفاع النفسي	٠.٠٨١	١.٦٥٩
القوة التفسيرية للمعادلة	٠.٠٩٦	
القوة التنبؤية للمعادلة	٠.١٠٢	
الارتباط المتعدد بين المتغيرات	٠.٣٢٠	
قيمة (ف)	١٥.٤٢٦	٠.٠٠٠

* **المعلمة** : هي لفظ يشير إلى المتوسط ، والوسيط ، والمنوال ، والانحراف المعياري .

وبالنظر إلى بيانات الجدول السابق يلاحظ أن ثابت الانحدار بلغ ١.٢٨١، وهو ما يعني أن الاضطرابات السيكوسوماتية موجودة لدى أفراد العينة حتى قبل إسهام العصابية والصراع النفسي والآليات الدفاعية فيها، وأن هذا دال بمستوى ٠.٠١ وذلك بالنظر إلى قيمة (ت) المقابلة لذلك .

وبلغ إسهام العصابية ٠.٢٣١ ، وهو ما يعني أنه كلما زادت العصابية لدى الفرد بمقدار درجة واحدة ، زادت لديه الاضطرابات السيكوسوماتية بمقدار ٢٣.١ % من الدرجات المقررة لمقياس الاضطرابات السيكوسوماتية ، وأن هذه النسبة دالة إحصائيا بمستوى ٠.٠٠١ ، وذلك بالنظر إلى قيمة (ت) المقابلة لها ، كذلك بلغ إسهام الصراع النفسي ٠.١٥٠،وهو ما يعني أنه كلما زاد الصراع النفسي لدى الفرد بمقدار درجة واحدة، زادت لديه الاضطرابات السيكوسوماتية بمقدار ١٥% من الدرجة المقررة لمقياس الاضطرابات السيكوسوماتية، وأن هذه النسبة دالة إحصائيا بمستوى ٠.٠٠١ ، وذلك بالنظر إلى قيمة (ت) المقابلة لها ، وبلغ إسهام الآليات الدفاعية ٠.٠٨١ وهو ما يعني أنه كلما زادت الآليات الدفاعية لدى الفرد بمقدار درجة واحدة، زادت لديه الاضطرابات السيكوسوماتية بمقدار ٠.٠٨١% من الدرجة المقررة لمقياس الاضطرابات السيكوسوماتية ، وأن هذه النسبة غير دالة إحصائيا بمستوى ٠.٠٥، وذلك بالنظر إلى قيمة (ت) المقابلة لها، وبلغت قيمة (ف) المحسوبة ١٥.٤٢٦ ، وهي دالة بمستوى ٠.٠٠١

مما يدل على وجود إسهام للصراع النفسي والعصابية وبدرجة دالة إحصائيا في حدوث الاضطرابات السيكوسوماتية ، وبلغت القوة التفسيرية لنموذج الانحدار ٠.٠٩٦ ، وهو ما يعني أن الصراع النفسي والعصابية يفسران ٩.٦ % التغير الحادث في الاضطرابات السيكوسوماتية ، وبلغت القوة التنبؤية للمعادلة ٠.١٠٢ ، ويعني ذلك أن الصراع النفسي والعصابية يتنبأن بمقدار ١٠.٢ % بالتغير الحادث في الاضطرابات السيكوسوماتية ، ويلاحظ أنه عند تواجد المتغيرات المستقلة : الصراع النفسي والعصابية والآليات الدفاعية مع بعضها تنشأ الاضطرابات السيكوسوماتية فكان أعلى إسهام للعصابية ثم للصراع النفسي ، ولم يكن للآليات الدفاعية إسهاماً كما ذكر في مكان سابق .

٢- إسهام العصابية والصراع النفسي في الاضطرابات السيكوسوماتية :

لقد تم تحييد الآليات الد فاعية وذلك لقياس مدى إسهام العصابية والصراع النفسي في الاضطرابات السيكوسوماتية ، وبيانات الجدول التالي توضح ذلك :

الجدول رقم (٧) يوضح مدى إسهام الصراع النفسي و العصابية في الاضطرابات السيكوسوماتية .

ثابت الانحدار	المعلمة	قيمة (ت)
	١.٤٤٠	١٢.٥٥٧**
العصابية	٠.٢٥٠	٥.١٨٨**
الصراع النفسي	٠.١٣٩	٢.٨٨١*
القوة التفسيرية للمعادلة	٠.٠٩٦	
القوة التنبؤية للمعادلة	٠.٠٩٢	
الارتباط المتعدد بين المتغيرات	٠.٣١٠	
قيمة (ف)	٢١.٥٥٧	٠.٠٠٠

بالنظر إلى بيانات الجدول السابق يلاحظ أن ثابت الانحدار بلغ ١.٤٤٠، وهو ما يعني أن الاضطرابات السيكوسوماتية موجودة لدى أفراد العينة حتى قبل إسهام العصابية والصراع النفسي فيها، وأن هذا دال بمستوى ٠.٠٠١، وذلك بالنظر إلى قيمة (ت) المقابلة لذلك ،وبلغ إسهام العصابية في الاضطرابات السيكوسوماتية ٠.٢٥٠، وهو ما يعني أنه كلما زادت العصابية لدى الفرد بمقدار درجة واحدة زادت لديه الاضطرابات السيكوسوماتية بمقدار ٢٥% من الدرجة المقررة لمقياس الاضطرابات السيكوسوماتية، وأن هذه النسبة دالة إحصائيا بمستوى ٠.٠٠١ وذلك بالنظر إلى قيمة (ت) المقابلة لها ،كذلك بلغ إسهام الصراع النفسي في الاضطرابات

السيكوسوماتية ٠.١٣٩، وهو ما يعني أنه كلما زاد الصراع النفسي لدى الفرد بمقدار درجة واحدة ،زادت لديه الاضطرابات السيكوسوماتية بمقدار ١٣.٩% من الدرجة المقررة لمقياس الاضطرابات السيكوسوماتية، وأن هذه النسبة دالة إحصائيا بمستوى ٠.٠٠١ ، وذلك بالنظر إلى قيمة (ت) المقابلة لها ، وبلغت قيمة (ف) المحسوبة ٢١.٦٧٠ ، وهي دالة بمستوى ٠.٠٠١ مما يدل على أن للمتغيرين المستقلين دوراً في حدوث الاضطرابات السيكوسوماتية . وبلغت القوة التفسيرية لنموذج الانحدار ٠.٠٩٦، وهو ما يعني أن المتغيرين المستقلين يفسران بنسبة ٩.٦ % التغير الحادث في الاضطرا بات السيكوسوماتية كما بلغت القوة التنبؤية للنموذج ٠.٠٩٢، وهو ما يعني أن المتغيرين المستقلين يتنبأن بنسبة ٩.٢ % بالتغير الحادث في الاضطرابات السيكوسوماتية ، ويلاحظ أن نسبة إسهام العصابية تفوق نسبة الصراع النفسي في انتشار الاضطرابات السيكوسوماتية ، وهو ما يعني أن هذه الاضطرابات السيكوسوماتية على علاقة بالعصابية بالدرجة الأولى.

٣- إسهام الصراع النفسي والآليات الدفاعية في الاضطرابات السيكوسوماتية .

تم ضبط العصابية لمعرفة مدى إسهام الصراع النفسي والآليات الدفاعية في الاضطرابات السيكوسوماتية وبيانات الجدول التالي توضح ذلك:

الجدول رقم (٨) : يوضح مدى أسهام الصراع النفسي والآليات الدفاعية في الاضطرابات السيكوسوماتية .

ثابت الانحدار	المعلمة	قيمة (ت)
	١.٤٥٧	**٩.٨٦١
الصراع النفسي	٠.٢٠٢	**٤.١٨٠
الآليات الدفاعية	٠.١٣٤	* ٢.٧٧٣
القوة التفسيرية للمعادلة	٠.٠٥٤	
القوة التنبؤية للمعادلة	٠.٠٥٠	
الارتباط المتعدد بين المتغيرات	٠.٢٣٣	
قيمة (ف)	١١.٦٩٠	٠.٠٠٠

- دالة عند مستوى ٠.٠٠١

وبالنظر إلى بيانات الجدول السابق يلاحظ أن ثابت الانحدار بلغ ١.٤٥٧، وهو ما يعني أن الاضطرابات السيكوسوماتية موجودة لدى أفراد العينة وبمستوى دال إحصائيا حتى قبل إسهام الصراع النفسي والآليات الدفاعية فيها ، وذلك بالنظر إلى قيمة (ت) المقابلة لذلك .

كما بلغ إسهام الصراع النفسي في الاضطرابات السيكوسوماتية ٠.٢٠٢، وهو ما يعني أنه كلما زاد الصراع النفسي لدى أفراد العينة بمقدار درجة واحدة زادت لد يهم الاضطرابات السيكوسوماتية بمقدار ٢٠.٢% من الدرجة المقررة لمقياس الاضطرابات السيكوسوماتية ، وأن هذه النسبة دالة إحصائيا بمستوى ٠.٠٠١ وذلك بالنظر إلى قيمة (ت) المقابلة لها .

وبلغ إسهام الآليات الدفاعية في الاضطرابات السيكوسوماتية ٠.١٣٤، وهو ما يعني أنه كلما زادت الآليات الدفاعية لدى أفراد العينة درجة واحدة، زادت لديهم الاضطرابات السيكوسوماتية بمقدار ١٣.٤ % من الدرجة المقررة لمقياس الاضطرابات السيكوسوماتية، وأن هذا الإسهام دال بمستوى ٠.٠٠٥، وذلك بالنظر إلى قيمة (ت) المقابلة لها ، كما بلغت القوة التفسيرية لنموذج الانحدار ٠.٠٥٤، وهو ما يعني أن المتغيرين المستقلين يفسران بنسبة ٥.٤ % التغير الحادث في الاضطرابات السيكوسوماتية ،كما بلغت القوة التنبؤية للنموذج ٠.٠٥٠ وهو مايعني أن المتغيرين المستقلين يتنبأن بنسبة ١.٥ % بالتغير الحادث في الاضطرابات السيكوسوماتية .

٤ــ إسهام العصابية في الاضطرابات السيكوسوماتية :تقرر معرفة مدى إسهام العصابية في الاضطرابات السيكوسوماتية بعد ضبط متغيري الآليات الدفاعية والصراع النفسي ، وبيانات الجدول التالي توضح ذلك :

الجدول رقم (٩): يوضح مدى أسهام العصابية في الاضطرابات السيكوسوماتية .

ثابت الانحدار	المعلمة	قيمة (ت)
	١.٦٦٠	**١٩.٣٠٤
العصابية	٠.٢٧٩	** ٥.٨٦٧
القوة التفسيرية للمعادلة	٠.٠٧٨	
القوة التنبؤية للمعادلة	٠.٠٧٦	
الارتباط المتعدد بين المتغيرات	٠.٢٧٦	
قيمة (ف)	٣٤.٤٢٢	٠.٠٠٠

وبالنظر إلى بيانات الجدول السابق يلاحظ أن ثا بت الانحدار بلغ ١.٦٦٠، وهو ما يعني أن الاضطرابات السيكوسوماتية موجودة لدى أفراد العينة بمقدار ١.٦٦٠ حتى قبل إسهام العصابية في ذلك، وأن هذا دال إحصائياً، وذلك بالنظر إلى قيمة (ت) المقابلة لذلك.

وبلغ إسهام العصابية في الاضطرابات السيكوسوماتية ٠.٢٧٩، وهو ما يعني أنه كلما زادت العصابية لدى أفراد العينة بمقدار درجة واحدة، زادت لديهم الاضطرابات السيكوسوماتية بمقدار ٢٧.٩% من الدرجات المقررة لمقياس الاضطرابات السيكوسوماتية، وأن هذه النسبة دالة إحصائياً بمستوى ٠.٠٠١ وذلك بالنظر إلى قيمة (ت) المقابلة لها،كما بلغت قيمة (ف) المحسوبة ٣٤.٤٢٢ وهي دالة بمستوى ٠.٠٠١ ، وهو ما يدل على قوة إسهام العصابية في الاضطرابات السيكوسوماتية. وبلغت القوة التفسيرية لنموذج الانحدار ٠.٠٧٨ وهو ما يعني أن المتغير المستقل يفسر بنسبة ٧.٨% من التغير الحادث في المتغير التابع ،كما بلغت القوة التنبؤية للنموذج ٠.٠٧٦ ، وهو ما يعني أن العصابية تتنبأ بنسبة ٧.٦ % من التغير الحادث في الاضطرابات السيكوسوماتية .

٥- إسهام الصراع النفسي في الاضطرابات السيكوسوماتية :

تم تحييد العصابية والآليات الدفاعية وذلك لمعرفة مدى إسهام الصراع النفسي في الاضطر ابات السيكوسوماتية . وبيانات الجدول التالي توضح ذلك :

الجدول رقم (١٠) : يوضح مدى أسهام الصراع النفسي في الاضطرابات السيكوسوماتية .

ثابت الانحدار	**المعلمة**	**قيمة (ت)**
	١.٧٦٣	**١٧.٧٦٠** **
الصراع النفسي	**٠.١٩١**	**٣.٩٢٩** **
القوة التفسيرية للمعادلة	**٠.٠٣٦**	
القوة التنبؤية للمعادلة	**٠.٠٣٤**	
الارتباط المتعدد بين المتغيرات	**٠.١٩١**	
قيمة (ف)	**١٥.٤٣٩**	**٠.٠٠٠**

وبالنظر إلى بيانات الجدول السابق يلاحظ أن ثابت الانحدار بلغ ١.٧٦٣ ،وهو ما يعني أن الاضطرابات السيكوسوماتية موجودة لدى أفراد العينة بنسبة ١.٧٦٣ و هي دالة بمستوى ٠.٠٠١ ، وذلك بالنظر إلى قيمة (ت) المقابلة لذلك .

وبلغ إسهام الصراع النفسي في الاضطرابات السيكوسوماتية ٠.١٩١ ، وهو ما يعني أنه كلما زاد الصراع النفسي بمقدار درجة واحدة لدى أفراد العينة، زادت لديهم الاضطرابات السيكوسوماتية بمقدار ١٩.١% من الدرجات المقررة لمقياس الاضطرابات السيكوسوماتية ، وأن هذه النسبة دالة إحصائياً بمستوى ٠.٠٠١ ،وذلك بالنظر إلى قيمة (ت) المقابلة لها ،كذلك بلغ إسهام الصراع النفسي في الاضطرابات السيكوسوماتية ٠.١٣٩ . وبلغت قيمة (ف) المحسوبة ١٥.٤٣٩ وهي دالة بمستوى ٠.٠٠١ ، وهو ما يعني وجود علاقة قوية بين الصراع النفسي والاضطرابات السيكوسوماتية. كما بلغت القوة التفسيرية لنموذج الانحدار ٠.٠٣٦ وهو ما يعني أن الصراع النفسي يفسر بنسبة ٣.٦ % التغير الحادث في الاضطرابات السيكوسوماتية ،كما بلغت القوة التنبؤية للنموذج ٠.٠٣٤ ، وهو ما يعني أن المتغير المستقل وهو الصراع النفسي يتنبأ بنسبة ٣.٤ % بالتغير الحادث في الاضطرابات السيكوسوماتية وبمستوى ٠.٠٠٠١ .

٦- إسهام الآليات الدفاعية في الاضطرابات السيكوسوماتية :

تم تحييد الصراع النفسي والعصابية وذلك لمعرفة مدى إسهام الآليات الدفاعية في الاضطرابات السيكوسوم اتية . وبيانات الجدول التالي توضح ذلك :

الجدول رقم (١١): يوضح مدى أسهام الحيل الدفاعية في الاضطرابات السيكوسوماتية .

ثابت الانحدار	**المعلمة**	**قيمة (ت)**
	١.٨٨٦	**٧.٤٠٢ ****
الآليات الدفاعية	**٠.١١٧**	**٢.٣٨٢ ***
القوة التفسيرية للمعادلة	**٠.٠١٤**	
القوة التنبؤية للمعادلة	**٠.٠١١**	
الارتباط المتعدد بين المتغيرات	**٠.١١٧**	
قيمة (ف)	**٥.٦٧٥**	**٠.٠١٨**

وبالنظر إلى بيانات الجدول السابق يلاحظ أن ثابت الانحدار بلغ ١.٨٨٦ ،وهو ما يعني أن الاضطرابات السيكوسوماتية موجودة لدى أفراد العينة بنسبة ١.٨٨٦ وأن هذه دالة بمستوى ٠.٠٠١ ، وذلك با لنظر إلى قيمة (ت) المقابلة لذلك .

وبلغ إسهام الآليات الدفاعية في الاضطرابات السيكوسوماتية ٠.١١٧ ، وهو ما يعني أنه كلما زادت الآليات الدفاعية لدى أفراد العينة بمقدار درجة واحدة زادت لديهم الاضطرابات السيكوسوماتية بمقدار ١١.٧ % من الدرجات المقررة لمقياس الاضطرابات السيكوسوماتية ، وأن هذه النسبة دالة إحصائياً بمستوى ٠.٠٥ وذلك بالنظر إلى قيمة (ت) المقابلة لها ، كما بلغت قيمة (ف) المحسوبة ٥.٦٧٥ وهي دالة بمستوى ٠.٠١٨ ، وهو ما يعني وجود علاقة بين الآليات الدفاعية والاضطرابات السيكوسوماتية،كما بلغت القوة التفسيرية لنموذج الانحدار ٠.٠١٤ وهو ما يعني أن الآليات الدفاعية تفسر بنسبة ١.٤ % التغير الحادث في الاضطرابات السيكوسوماتية ، كما بلغت القوة التنبؤية للنموذج ٠.٠١١، وهو ما يعني أن الآليات الدفاعية تتنبأ بنسبة ١.١% من التغير الحادث في الاضطرابات السيكوسوماتية .

التوصيات : في ضوء نتائج الدراسة توصي الباحثة بالتوصيات الآتية :

١- ضرورة أن يراعي الفرد صحته النفسية والجسدية ، وذلك بالابتعاد عن عوامل الضغوط النفسية والاحتراق النفسي ، لكي لا يتعرض للإصابة بالصداع المستمر الذي يمثل إنذاراً بوجود متاعب بالجسد .

٢- تجرب الحديث عن المشاكل الصحية لغير المختصين لتفادى التوهم بأمراض قد لا يعانيها الفرد في الواقع .

٣- ضرورة أن يثق المريض في طبيبه وأن يأخذ في إرشاداته وأن لا يكثر التردد على الأطباء الآخرين الذين يختلفون في تشخيصه ، وهو ما يسبب له ارتباكاً والذي ينعكس سلباً على صحته .

٤- يتوجب على الفرد الابتعاد عن التفكير في مشكلات الحياة قبل خلوده للنوم وأن يعمل عل إيجاد نوعاً من الاسترخاء العقلي والعضلي الذي يسهل عليه الدخول في النوم .

٥- يتوجب على الفرد الابتعاد عن نصائح المشعوذين حول مرضه ، والإيمان بتشخيص الطب الحديث وا لاعتماد على العلم كوسيلة لمجابهة الأمراض .

٦- ينبغي على الفرد الثقة في الآخرين وأن يؤمن بقدراتهم على فعل ما يريده من أعمال حتى لا يرهق نفسه بالعمل الذي يطال بآثاره السلبية صحته النفسية والبدنية .

٧- ينبغي على الفرد ألا يتطرف في الظهور بمظهر الاستقامة حتى يتفادى الضغوط النفسية الناجمة عن قمعه لإشباع حاجت أساسية وضرورية .

المقترحات :

في ضوء نتائج الدراسة تقترح الباحثة الأتي :

- إجراء دراسة حول اتجاهات الأفراد نحو الطب الحديث والطب الشعبي وعلاقتها بالشفاء من الأمراض .
- إجراء دراسة حول علاقة تكاليف العلاج بتنوع المرض السيكوسوماتي .

قائمة المراجع :

١- جبالي نور الدين ، **علاقة الاضطرابات السيكوسوماتية بالشخصية ، دراسة مقارنة لحالات القرحة المعدية وحالات السكري** ،رسالة ماجستير غير منشورة ، القاهرة ، جامعة عين شمس ، ١٩٨٩ .

٢- حامد عبد السلام زهران ، **الصحة النفسية والعلاج النفسي** ، ط٣ ، القاهرة ، عالم الكتب،١٩٩٧ .

٣- **دليل كلية الآداب والعلوم نيليتن** ، جامعة المرقب ، ٢٠٠٦ .

٤- رمضان محمد القذافي ، **الصحة النفسية والتوافق** ، ط.٢ ، طرابلس ، دار الرواد ١٩٩٤ .

٥- عثمان علي أميمن ، **في الصحة النفسية** ، ط.١ ، الخمس ،الدار العالمية ٢٠٠٤ .

٦- عماد عبد الرازق ، **الأعراض والأمراض النفسية وعلاجها** ، ب.ط ، عمان ، دار الفكر، ١٩٨٧ .

٧- فؤاد شاهين ، **التحليل النفسي للولد** ، ط.٣ ، بيروت ، المؤسسة الجامعية ، ١٩٨٥ .

٨- فيصل عباس ، **التحليل النفسي للذات الإنسانية (النظرية والممارسة)** ، ب.ط ، بيروت ، دار الفكر اللبناني ، ١٩٩٧ .

مقياس العصابية :

هل أنت موافق على الآتي :

	العبارة	نعم	إلى حد ما	لا
١	أخاف من التواجد في الأماكن المرتفعة .			
٢	أعاني من الصداع المستمر .			
٣	أخاف من مياه البحر .			
٤	الحديث عن مرض ما يجعلني أشعر بأنني مصاب به .			
٥	أغسل يداي عدة مرات .			

٦	أشعر بالتوتر المستمر .			
٧	أخاف من الموت .			
٨	أحب دائماً التأكد من أنني قمت بشيء ما .			
٩	أخاف من التواجد في الأماكن المغلقة .			
١٠	أتناول كميات كبيرة من الطعام عندما أشعر بالحزن .			
١١	أخاف من أي مرض و لو كان بسيطاً .			
١٢	أحب الحديث عن مشكلاتي الصحية للآخرين .			
١٣	أشعر بأوجاع و ألام في جسمي لا أعرف سببها .			
١٤	أتردد على الأطباء للتأكد من صحتي .			
١٥	أحب عدم الاختلاط بالآخرين .			
١٦	أعاني من قلة النوم المريح .			
١٧	أشعر بالتعب لأقل مجهود .			
١٨	أنا متقلب المزاج ، مرة أفرح و مرة أحزن .			
١	لا أحب الأشياء السوداء .			

٩				

مقياس الصراع النفسي :

هل أنت موافق على الآتي :

	العبارة	نعم	إلى حد ما	لا
١	أحتار في اختيار الطبيب المناسب لمعاينتي .			
٢	أشعر بأن أبنائي لا يقدرون ما وفرته لهم من أموال و ثروة .			
٣	أحب أن أعالج بالخارج و لكن لا أملك المال اللازم .			
٤	أحلو أحيانا بين العلاج عند المشايخ و بين العلاج الطبي .			
٥	أحب فعل كل شيء بنفسي و لكن صحتي لا تسمح بذلك .			
٦	أشعر بأني غير سعيد في حياتي .			
٧	أحتار أحياناً بين الدواء الرخيص و الدواء الغالي الثمن .			
٨	أحب تناول اللحوم و لكن أخاف أضرارها .			
٩	أشعر بأن أبنائي لا يحبوني .			
١٠	أحتار بين العلاج بالطب الشعبي و بين العلاج بالطب الحديث .			
١١	أحب تناول الحلويات و لكن أخشى أضرارها .			
١٢	أتمنى أن أعطي أبنائي حقهم من الثروة و لكن أخشى غدرهم .			
١٣	أحب تناول الطعام الذي به ملح و لكن أخشى أضرار ذلك .			
١٤	أتناول الدواء و لكن أخاف أضراره .			
١٥	أحتار بين أن أحرم بناتي أو أن لا أحرمهن من الميراث .			
١٦	أحب شراء الدواء الأصلي و لكنه مرتفع الثمن .			
١٧	أرغب في تناول الدواء في المنزل و لكن الأطباء يريدون بقائي في المستشفى .			

مقياس آليات الدفاع النفسي :

هل أنت موافق على الآتي :

	العبارة	نعم	إلى حد ما	لا
١	أحب التصرف وفق تصرفات الناس المستقيمين .			
٢	لا أحب أن أعلم الآخرين بما أملك من مال .			
٣	أدافع عن حقوقي بكل ما أملك .			
٤	أتحمل همومي بنفسي و لا أظهرها لأحد خوفاً من شماتة الآخرين .			
٥	أحب شراء الأراضي الزراعية باستمرار .			
٦	أحب التبرع بالمال للأعمال الخيرية مثل بناء المساجد .			
٧	أحب أن أصلي أوقاتاً أضافية إلى جانب الوقت الأصلي .			
٨	استيقظ عند سماع أي صوت و أنا نائم .			
٩	أتمنى أن أنام و لكن النوم يجافيني .			
١٠	أحرص على أن أكون أميناً في تعاملي مع الناس .			
١١	أشتم أي أحد بجواري عندما أغضب .			
١٢	أتضايق من الناس الذين لا يحترمون القيم الاجتماعية .			
١٣	أشعر بأن الحياة مسئولية كبيرة .			
١٤	أتمنى أن أطبق القانون على الناس حتى يسود العدل .			

مقياس الاضطرابات السيكوسوماتية :

هل أنت موافق على الآتي :

	العبارة	نعم	إلى حد ما	لا
١	أعاني من ضغط الدم المرتفع .			
٢	أعتبر نفسي سريع الغضب .			
٣	أعاني من الربو .			

٤	أعاني من ألام في المفاصل .			
٥	أعاني من قرحة المعدة .			
٦	أعاني من مشكلة تساقط شعر الرأس .			
٧	أعاني من مرض السكري .			
٨	أحلم أحلاماً مزعجة .			
٩	أعاني من حساسية بالجلد .			
١٠	أعاني من قلة النوم المريح .			
١١	أعاني من ضعف الشهية للطعام .			
١٢	أعاني من مشكلة التقيؤ باستمرار.			
١٣	أعاني من تقلصات القولون .			
١٤	أتناول الطعام بكميات كبيرة .			
١٥	أعاني من الإمساك المستمر .			
١٦	أعاني من كثرة إفراز العرق .			
١٧	أعاني من الصداع المستمر .			
١٨	أعاني من الإسهال المستمر .			
١٩	أعاني من أمراض القلب .			
٢٠	أعاني من زيادة الوزن .			
٢١	أعاني من ارتفاع نسبة الكلسترول .			
٢٢	أعاني من تصلب الشرايين .			

المناخ التنظيمي في ظل الشراكة الأجنبية و مدى ملائمته لتطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة

أ. لياس سارة / جامعة باجي مختار ، عنابة ، الجزائر

ملخص :

كوننا نبحث عن التجديد و الحداثة في البحوث بما يتماشى و المتغيرات الحاصلة في البيئة باختلاف مجالاتها ، يتمحور موضوع دراستنا حول المناخ التنظيمي في ظل الشراكة الأجنبية و مدى ملائمته لتطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة بمؤسسة **فرتيال** بولاية عنابة التابعة للدولة الجزائرية ، ولكي نتمكن من تحديد مدى ملائمة المناخ التنظيمي السائد بمؤسسة **فرتيال** في ظل الشراكة الأجنبية لتطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة المندرجة ضمن شهادات الإيزو الممنوحة للمؤسسة فقد استخدمنا المنهج الوصفي التحليلي بالاعتماد على أسلوب المسح الشامل لصغر حجم مجتمع دراستنا ، حيث أجريت على هيئة الإطارات الوسطى المقدر عدد مفرداتها بـ ٨٦ إطار،و حيث طبقت أدوات جمع البيانات الثلاث : **الملاحظة ،المقابلة ،الاستمارة** ،و خلصت الدراسة لملائمة المناخ التنظيمي السائد بالمؤسسة لتطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة في ظل الشراكة الأجنبية .

الكلمات المفتاحية : المناخ التنظيمي ،الشراكة الأجنبية ،معايير إدارة الجودة الشاملة .

مقدمة :

يطرح موضوع الدراسة الحالية " المناخ التنظيمي في ظل الشراكة الأجنبية و مدى ملائمته لتطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة " بمؤسسة **فرتيال**،كقضية مهمة تتعلق بالمستجدات الأخيرة التي شهدها العالم في الآونة الأخيرة على الصعيد الاقتصادي، والتي ساهمت فيها العديد من العوامل بدأ بظاهرة العولمة وصولا إلى اقتصاد السوق الحر، وكذلك التدهور الاقتصادي والاجتماعي الذي خلفه الاستعمار وأثاره السلبية على مختلف القطاعات الحيوية، و بهذا وجب على المنظمات أن تكون على درجة عالية من التحديات لمسايرة مستجدات العصر مؤخرًا خاصة انتهاجها للاستثمارات الأجنبية بعد توجهها الحديث .

١. إشكالية الدراسة :

شهد العالم اليوم خلال العقود القليلة الماضية تطورات و تحولات سريعة عالمية و متلاحقة في أثارها و توجهاتها المستقبلية لم يشهدها من قبل ،فلقد تحول الاقتصاد العالمي اليوم إلى قرية متنافسة الأطراف ساهمت فيها العديد من

العوامل بدأ بظاهرة العولمة وصولا إلى اقتصاد السوق الحر،و الانضمام إلى منظمة التجارة العالمية و الانفتاح على الأسواق الخارجية، و كذا صيغة الشراكة الأجنبية التي تعتبر من أنسب الصيغ التي تسمح بتأهيل المؤسسات الاقتصادية الجزائرية من الاحتكاك بالمؤسسات الأجنبية و التعاون معها مما يسمح باعتماد المعايير الدولية سواء تعلق الأمر بالمرد ودية ،الإنتاجية ،الجودة و من تم امكانية تأهيلها ،و لقد فرضت هذه الظواهر مجموعة من التغيرات اقتلعت أسس النظام العالمي القديم و بدأت في ترسيخ كيان جديد سمته يفرض على كل من يعاصره ضرورة الأخذ بالمفاهيم و الآليات الجديدة و المتجددة .

وفي ظل هذا الوضع والمستجدات العالمية التي تشهدها الدول في الساحة الاقتصادية، شهد ت الجزائر هي الأخرى في الآونة الأخيرة عدة تغيرات على مستوى هياكلها الاستراتيجية و خاصة الاقتصادية منها، وهذا ما نتج أساسا عن سعيها لتحرير تجارتها و توقيعها لاتفاق الشراكة مع دول الاتحاد الأوروبي ورغبتها في إنشاء منطقة للتبادل الحر .

وبهذا وجب على المؤسس ات أن تكون على درجة عالية من التحديات لمسايرة مستجدات العصر مؤخرا خاصة إنتهاجها للإستثمارات الأجنبية بعد توجهها الحديث، عدا عن ذلك استدعى الوضع الجديد هجر الإدارة التقليدية للتعامل مع التغيير و الاستعداد للتكيف مع أحداثه و البحث عن مناخ تنظيمي استثماري يتلا ءم و الوضع الحالي وتطلعات العاملين ضمن المؤسسات، و بالرغم من كون هذه الأخيرة قد واجهتها عدة صعوبات نظرا لتباين ثقافات و بيئات العمل أثناء تسييرها بمختلف مواردها و يكمن هذا الاختلاف بالدرجة الأولى في تعدد الثقافات حيث يسود المؤسسات الجزائرية اليوم على اختلاف أنواعها و أحجامها بيئة داخلية أو مناخ يميز مجتمع أي مؤسسة عن أخرى و طبيعة هذه العلاقات بين الأفراد ، إذ يعتبر هذا الأخير أحد المتغيرات الداعمة لنجاح الأعمال الاستثمارية في أية مؤسسة، لما له من أثر إيجابي في تحقيق الأهداف بفعالية ، وتبني معايير دولية وف قا لمستجدات البيئة،و عليه تسعى المؤسسات الجزائرية في ظل اختلاف الثقافات البيئية التسييرية لمعاصرة الأوضاع الآنية، وبعد عقد اتفاق الشراكة الأجنبية لإيجاد مناخ تنظيمي يساعد على اعتناق العالمية من خلال تحقيق الأهداف وكذا الحفاظ على مصالحها وديمومتها ، وكون ا لمناخ التنظيمي يلعب دورا كبيرا في ترصين السلوك الأخلاقي و الوظيفي للأفراد العاملين من ناحية و تشكيل و تعديل وتغيير القيم و السلوك من ناحية أخرى.

ومن هنا يمكن القول أن المناخ التنظيمي يمثل شخصية المنظمة بكل أبعادها ، لذا تصبو المؤسسات إلى خلق مناخ سليم من شأنه أن يشجع على خلق أجواء عمل هادفة تتصف بالاستقرار للأفراد و التنظيم على حد سواء .

ونظرا للتحديات العالمية المعاصرة تحتم على المؤسسات الاقتصادية انتهاج أسلوب علمي واعي في مواجهتها، واستثمار الطاقات البشرية الفاعلة في ترصين الأداء التشغيلي و البيعي بم رونة أكثر كفاءة و فاعلية، حيث ظهرت مفاهيم جديدة جعلت كل المؤسسات الاقتصادية باختلاف نشاطها تعيد النظر في سياستها الإدارية، والدافع لذلك هو اكتظاظ الأسواق العالمية بمؤسسات تقدم مجموعة من المنتجات والخدمات المتماثلة إلى حد بعيد و خاصة من حيث تلبية حاجات المستهلك بكل أنواعه، فأصبحت تواجه كساد سلعها في السوق، الأمر الذي أدى إلى تبني قوة تنافسية جديدة تعتمد على إدارة الجودة الشاملة و ادماج هذه الفلسفة حديثة النشأة وهذا يرمي إلى صميم جوهر القضية و بث ثقافتها ،فأصبحت محور التمايز بين السلع و الخدمات، مما جعل ها تحظى بأهمية كبيرة من طرف هذه المؤسسات وهذا إلى حد جعلها تخصص أقسام و إدارات متخصصة في تحقيق جودة شاملة و متنامية، وهذا من أجل ضمان بقائها و استمرارها، وعلى هذا الأساس جاءت دراستنا هذه لتبرز أهمية ملائمة المناخ التنظيمي السائد في تطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة في مؤسسة **فرتيال** بعد الشراكة الإسبانية .

و منه تبلورت مشكلة دراستنا كالأتي:

ما مدى ملائمة المناخ التنظيمي في ظل الشراكة الأجنبية لتطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة في مؤسسة فرتيال؟

٢. فرضيات الدراسة :

تنطلق هذه الدراسة من الفرضية العامة التالية:

المناخ التنظيمي السائد في مؤسسة فرتيال ملائم لتطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة في ظل الشراكة الأجنبية.

تندرج تحت غطاء هذه الفرضية مجموعة من الفرضيات الجزئية تكمن فيا يلي :

١-تساعد طبيعة العمل في مؤسسة **فرتيال** على تطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة بعد الشراكة الإسبانية .

٢- يتلاءم نمط الإشراف السائد بمؤسسة **فرتيال** لتطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة بعد الشراكة الأجنبية .

٣- الاتصال السائد بمؤسسة **فرتيال** يساهم في تطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة بعد الشراكة الأجنبية .

٤- تساهم برامج التكوين بمؤسسة **فرتيال** بشكل كبير في تطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة في ظل الشراكة الأجنبية.

٥- سياسة الحوافز المعمول بها بمؤسسة **فرتيال** ملائمة لتطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة بعد الشراكة الأجنبية.

٦- التكنولوجيا المستخدمة بمؤسسة **فرتيال** تساهم في تطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة بعد الشراكة الأجنبية.

٧- تؤثر الخصائص الديمغرافية من (جنس ، سن ، أقدمية ، طبيعة النشاط) على توجهات الإطارات الوسطى نحو مدى ملائمة المناخ التنظيمي السائد بمؤسسة **فرتيال** لتطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة في ظل الشراكة الأجنبية .

٨- تسهر مؤسسة **فرتيال** على التطبيق الفعال لمعايير إدارة الجودة الشاملة في ظل الشراكة الأجنبية .

٣.أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف نوجزها فيما يلي :

١ – تسليط الضوء على بلورة الشراكة الإسبانية لمفهوم المناخ التنظيمي السائد في مؤسسة **فرتيال** و كذا معايير إدارة الجودة الشاملة لتساير المعايير الدولية و تضمن ديمومتها و بقائها في الوسط الاقتصادي خاصة و إن شعار المؤسسة هو " التماشي مع المعايير الدولية و ضمان أمن دائم لعمالها ".

٢- التعرف على مدى مساهمة أبعاد المناخ التنظيمي السائد بعد الشراكة الإسبانية و أثارها على ثقافة و سلوكات العمال في مؤسسة **فرتيال** لتبني و تطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة.

٣- تهدف هذه الدراسة إلى تفسير السلوك التنظيمي الإطارات الوسطى في المؤسسة ميدان الدراسة من ناحية وإمكانية التوقع به مستقبلا من ناحية أخرى .

٤- الاستفادة من هذه التجربة خا صة لأن الموضوع ذو بعد اقتصادي عالمي ، وسيتم تناوله ميدانيا في مؤسسة ذات شراكة ، مع الاهتمام بتأثيراتهم على البعد النفسي و ما توفره هذه المؤسسة لبلوغ النجاح .

٤.أسباب اختيار الموضوع:

إن الدوافع التي أدت بنا إلى معالجة هذا الموضوع دون غيره من المواضيع نجمله ا فيما يلي :

١- شعورنا بقيمة و أهمية هذا الموضوع في ظل التحولات المتسارعة.

٢- حداثة و تجدد موضوع الشراكة.

٣- عصرنة مفهوم إدارة الجودة الشاملة .

٤- ندرة الدراسات و البحوث التي تناولت هذين المفهومين الحديثين معا .

٥ . محاولة لفت اهتمام مسئولي المؤسسات الاقت صادية الجزائرية على موضوع الشراكة ومعرفة أثار هذا القرار الإستراتيجي بدلا من التسرع في إمضاء العقود.

٥.متغيرات الدراسة :

الشكل رقم (١) : يبين متغيرات الدراسة :

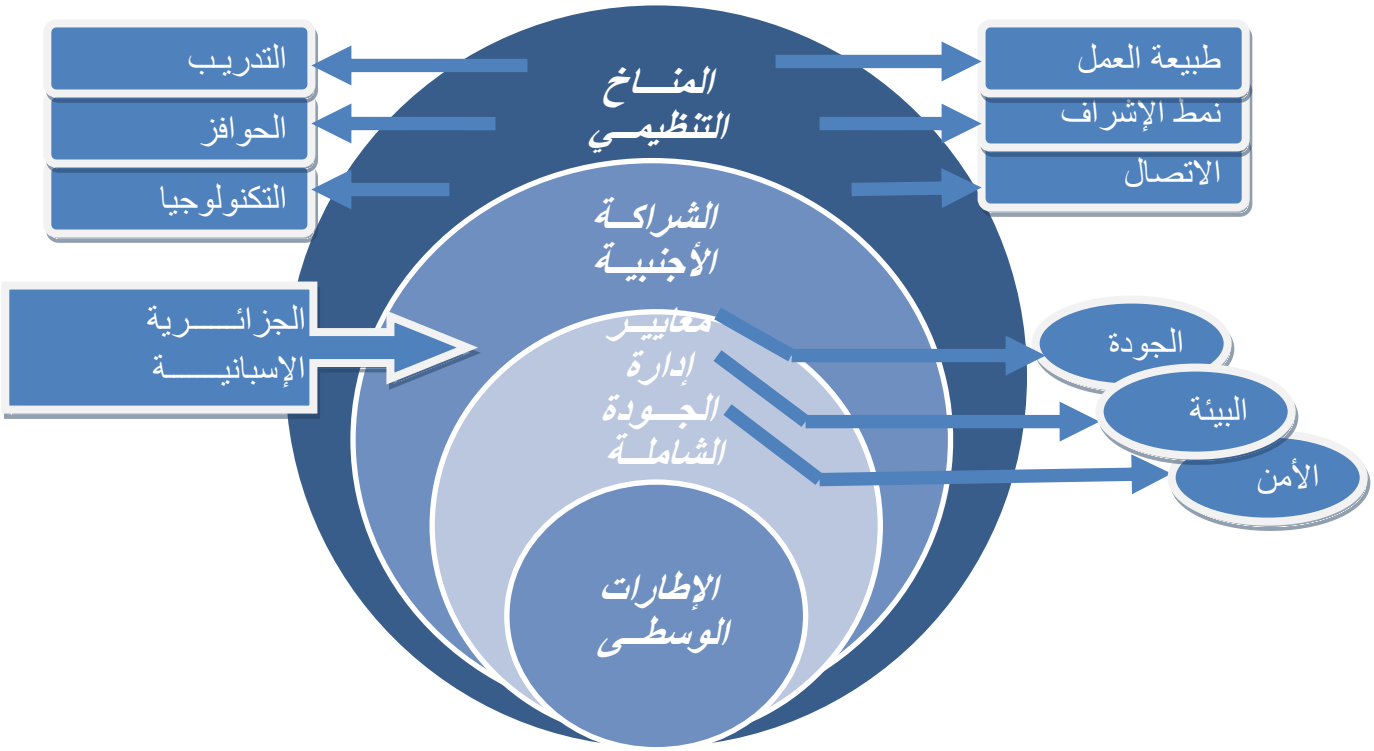

المصدر : إعداد الباحثة .

١.٥ المناخ التنظيمي :

هو جملة من الخصائص مميزة للبيئة الداخلية للمؤسسة التي يعمل الفرد ضمنها عن خلافها من المؤسسات الأخرى ، فتؤثر على قيمهم و اتجاهاتهم و إدراكا تهم لأنها تتمتع بالطبيعة المستقرة و الثبات النسبي .

و نقصد بجملة الخصائص في هذا البحث : طبيعة العمل ، نمط الإشراف ، الاتصال التنظيمي ،تنمية الموارد البشرية (التدريب) ، الحوافز ، التكنولوجيا ، و بالتالي فهذا المناخ التنظيمي قد يكون ملائما أو غير ملائما .

١.١.٥ طبيعة العمل :

ونقصد به طبيعة العمل من حيث تنوع المهام ، ساعات العمل و مدى تلاءم قدرات خصائص الفرد و خصائص المنصب ، و من حيث كون هذه الطبيعة محفزة أم محبطة ، روتينية أم متجددة .

٢.١.٥ نمط الإشراف :

و نقصد به القدرة على إقناع الآخرين بأن يعملوا بحماس و مثابرة لتحقيق الأهداف المشتركة للتنظيم ، و هناك نوعان من سلوك المشرفين الرسميين : الديمقراطي المتحرر من قيود السلطة اللا مركزي في اتخاذ القرار ، و المشرف الأوتوقراطي المستبد المركزي في اتخاذ القرار.

٣.١.٥ الاتصال التنظيمي :

و نقصد به تلك العملية الحيوية التي تقوم عليها كل مؤسسة و يتمثل في تدفق المعلومات و التعليمات و الآراء و الأفكار بين جميع المستويات التنظيمية بغية إقا مة علاقات بين الرؤساء و المرؤوسين و بلوغ الأهداف المشتركة ، و يكون صاعد أو نازل أو أفقي أو في جميع الاتجاهات.

٤.١.٥ التدريب :

تلك الوسيلة التي يتم من خلالها تنمية الموارد البشرية بإكساب الأفراد العاملين المعارف و تجديد أفكارهم و مهاراتهم الضروري لمزاولة نشاطاتهم ، و القدرة على استخدام وسائل جديدة بأسلوب فعال لتحقيق التكيف و العديد من المزايا الأخرى .

٥.١.٥ الحوافز :

كل ما تقدمه المؤسسة للأفراد العاملين فيها ذو طابع مالي واقتصادي ملموس و ذو طابع معنوي تعمل على إشباع حاجاتهم النفسية و الاجتماعية و الاقتصادية مقابل بذل مجهود أكبر في أداء وظائفهم والرفع من مستوى كفاءتهم و إحساسهم بالأهمية.

٦.١.٥ التكنولوجيا :

طبيعة التكنولوجيا المستخدمة من طرف العاملين في المؤسسة ، من حيث الحداثة و الرتابة ، و مدى ملائمتها للمنصب و قدرات شاغل المنصب .

٢.٥ الشراكة الأجنبية :

ذلك الاتفاق المبرم بين شخصان طبيعيان أو معنويان أو أكثر ، بعقد يتضمن شروط المتعاقدين هدفها التقارب و التعاون المشترك لتحقيق المصالح و الأهداف المشتركة بين طرفي العلاقة الممثلان بفرع **فرتيال و فيلارمير الإسبانية**.

٣.٥ معايير إدارة الجودة الشاملة :

مجموع المواصفات والمعايير ذات مقاييس الجودة العالمية ، المندرجة ضمن شهادات الإيزو المتحصل عليها و المتمثلة في : معايير الجودة ، معايير الأمن ، معايير البيئة . والهدف من ورائها هو التطبيق الفعال لإدارة الجودة الشاملة .

٤.٥ الإطارات الوسطى :

الهيئة الوسطى التي تترأس الوظائف التي تقع بين المستويات العليا و الدنيا في التنظيم حيث تعد حلقة وصل بين الهيئتان .

١.٦ . دراسات حول المناخ التنظيمي :

دراسة عمران (١٩٩٦) :

تحت عنوان: "**أثر المناخ التنظيمي على تطوير عملية جودة الموارد البشرية في قطاع البنوك التجارية المصرية**":

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على المناخ التنظيمي الموجود بها، و إلى مدى جودة عملية تطوير الموارد البشرية في قطاع البنوك التجارية المصرية.

حيث تم اختيار عينة عشوائية طبقية من البنوك التجارية مؤلفة من ٥٠٦ مفردة من مجتمع الدراسة الأصلي ، المكون ٨٠٥ مفردة و تم تقسيم مباحث مجتمع الدراسة إلى قطاعين هما : قطاع البنوك التجارية قطاع عام و قطاع البنوك التجارية الخاصة والمشتركة .

و قد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها :

- وجود اختلاف بين الكتاب و الباحثين في تحديدهم لعناصر عملية تطوير الموارد البشرية .
- يؤدي توفير مناخ تنظيمي مناسب لتطوير الموارد البشرية إلى جودة تطوير عملية الموارد البشرية ، و لا يوجد تأثير لكل من الجنس و السن على إدراك الأفراد لمدى جودة تطوير عملية الموارد البشرية داخل بنوكهم ، و كذلك عدم وجود تأثير على إدراك الأفراد لتوافر المناخ التنظيمي المناسب لتطوير الموارد البشرية و وجود تأثير للخبرة إذ أن الأفراد ذوي الخبرة الأكبر يدركونها أفضل من ذوي الخبرة الأقل .
- تتمتع البنوك التجارية المصرية بوجود عملية تطوير الموارد البشرية بصفة عامة و تكون في البنوك التجارية الخاصة و المشتركة بصورة أفضل من بنوك القطاع العام التجارية .

– عدم اتفاق الباحثين و الكتاب في مجال السلوك التنظيمي على مفهوم محدد للمناخ التنظيمي و عدم اتفاقهم على تحديد الأبعاد المختلفة للمناخ التنظيمي . [١٠]

دراسة الذنيبات (١٩٩٩) : تحت عنوان "**المناخ التنظيمي و أثره على أداء العاملين في أجهزة الرقابة المالية و الإدارية في** الأردن ".

هدفت الدراسة إلى معرفة مدى تأثير أبعاد المناخ التنظيمي الرئيسية التالية :

(الهيكل التنظيمي – السياسات الإدارية– البيئة الخارجية و التكنولوجيا) في أداء العاملين بأجهزة الرقابة المالية و الإدارية في الأردن .

و قد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي ، حيث تم اختيار عينة عشوائية طبقية تناسبية مكونة من ٣٠٦ مفردة مقسمة حسب الجنس و المؤهل العلمي و المستوى الوظيفي و سنوات الخبرة .

و قد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها ما يلي :

– هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين متغيرات الدراسة ، و أن أبعاد المناخ التنظيمي المختلفة الأثر الكبير على أداء العاملين في أجهزة الرقابة المالية و الإدارية في الأردن [١١]

دراسة القطامنة (٢٠٠٠) : تحت عنوان :" **المناخ التنظيمي و أثره على السلوك الإبداعي " دراسة ميدانية للمشرفين و الإداريين في الوزارات الأردنية .**

هدفت هذه الدراسة إلى تحديد العلاقة بين المناخ التنظيمي بأبعاده المختلفة التالية :

(مركزية القرار – الانتماء – التدريب– الحوافز – المخاطرة – الخصائص الشخصية – الوظيفية و السلوك الإبداعي)

كما و هدفت إلى تحديد درجة الارتباط بين السلوك الإبداعي و الخصائص الديمغرافية للمبحوثين .

و استخدم الباحث استبانة كأداة لجمع البيانات من عينة الدراسة و التي بلغت ٢٠٢ مشرفا إداريا .

و قد توصلت الدراسة إلى نتائج أهمها :

– تصورات المشرفين الإداريين نحو المناخ التنظيمي بصورة عامة كانت إيجابية بلستثناء بعد الحوافز كان سلبيا .

---

[١٠] – محمد عبدالجواد عمران ، **أثر المناخ التنظيمي على عملية التطوير الموارد البشرية ، دراسة مقارنة بالتطبيق على قطاع البنوك التجارية المصرية**، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الإدارة والتكنولوجيا الأكاديمية العربية للعلوم والتكنولوجيا ، ١٩٩٦

[١١] . محمد محمود الذنيبات ، **الهناخ التنظيمي وأثره على أداء العاملين في أجهزة الرقابة المالية والإدارية في الأردن** ، الدراسات للعلوم الإدارية ، المجلد ٢٦ ، ١٩٩٩ .

– مستوى السلوك الإبداعي لدى المشرفين الإداريين في الوزارات الأردنية كان عاليا .

– وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين السلوك الإبداعي و أبعاد المناخ التنظيمي (مركزية القرارات – الانتماء – المخاطرة – التدريب – الحوافز).

– وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين السلوك الإبداعي و العمر حيث تبين أن الفئة العمرية (أكثر من ٤٠ سنة) و أظهرت فروق ذات دلالة إحصائية من حيث كونها أكثر إبداعا من الفئات العمرية الأخرى ، و أنه لا يوجد علاقة بين السلوك الإبداع و كل من الجنس ، و المؤهل العلمي و الخبرة الوظيفية للموظفين .[١٢]

دراسة Peter (2000) : تحت عنوان " **المناخ التنظيمي و أداء الشركات** " بحث تجريبي.

هدفت الدراسة إلى معرفة مدى اختلاف المناخ التنظيمي في شركات من تصنيف أدائها بأنه فوق المتوسط في مرحلة النمو الشركات تم تصنيفها بدأ الأداء المنخفض عن المتوسط ، و مدى تأثيرها على العاملين في هذه الشركات و معرفة طبيعة العلاقة بين المناخ التنظيمي و الأداء التنظيمي في هذه الشركات ، و تم توزيع الاستبيانات على ٤٠ شركة مستخدما في ذلك المنهج الوصفي ، و قد أظهرت نتائج الدراسة ما يلي :

– وجود علاقة إرتباطية منتظمة بين المناخ التنظيمي و الأداء التنظيمي في الشركات و إن الشركات ذات الأداء العالي أظهرت قيم أعلى لأبعاد المناخ التنظيمي من الشركات ذات الأداء المنخفض و لم تستطع إيجاد علاقة سببية بين الأداء و المناخ التنظيمي أو تحديد اتجاهها .

– ضرورة مراعاة أبعاد المناخ التنظيمي من قبل المدراء للحصول على أداء عالي و أوصت بإجراء المزيد من الدراسات المتعمقة حول موضوع الدراسة .[١٣]

دراسة Gratto (2001) : تحت عنوان " **العلاقة بين المناخ التنظيمي و الرضا الوظيفي للقائمين على إدارة مؤسسات دعم و صيانة المشاريع** "

هدفت الدراسة إلى استكشاف العلاقة بين المناخ التنظيمي و أبعاد الرضا الوظيفي للمدراء القائمين على إدارة مؤسسات تعمل في صيانة و تشغيل المعدات ، و الآلات في الولايات المتحدة الأمريكية كما هدفت الدراسة أيضا إلى تحديد إذا ما كان هناك اختلافا ذات دلالة جوهرية على الرضا الوظيفي تعزى لمتغيرات (الجنس، العرق، وتصنيف

---

[١٢]. منار إبراهيم القطامنة ، **المناخ التنظيمي و أثره على السلوك الإبداعي** ، دراسة ميدانية للمشرفين الإداريين في الوزارات الأر دنية ، رسالة ماجيستر غير منشورة ، الجامعة الأردنية ، ٢٠٠٠.

[١٣]. فتحي بوركبة ، سعيد العمري ، **المناخ التنظيمي و علاقته بالولاء التنظيمي** ، مذكرة لنيل شهادة الماستر ، غير منشورة ، ٢٠٠١.

المؤسسة من حيث حجمها و نوعها و سنوات الخدمة في المؤسسة) و تم توزيع استبيانات على عينة ٦٠٢ مدير ثم استرداد ٢١٤ استبيان و قد بلغت نسبة الاستجابة ٣٧ % و قد توصلت الدراسة إلى أن :

– الاهتمامات الشخصية، الاتصالات الداخلية، الهيكل التنظيمي، التقييم أهم عناصر المناخ التنظيمي التي لها علاقة بمستوى الأداء الوظيفي لأفراد العينة .

– ضرورة تركيز المدراء على تعزيز بيئة العمل و زيادة الرضا الوظيفي لدى العاملين .

– ضرورة توفير فرص التنمية المهنية كونها عامل مهم و مؤثر على الرضا الوظ يفي، وكذلك الاهتمام بالاتصالات الداخلية في تطوير العمل المؤسساتي و ضرورة القيام بتعريف الموظفين على التوقعات التنظيمية ومعرفة مدى تطابق أدائهم مع هذه التوقعات .[١٤]

دراسة مراد بومنقار (٢٠١١) :تحت عنوان : " **المناخ التنظيمي و علاقته بالرضا الوظيفي** " دراسة ميدانية على هيئة الإطارات الوسطى بمؤسسة سونلغاز ، عنابة .

هدفت الدراسة إلى التعرف على واقع المناخ التنظيمي من وجهة نظر الإطارات الوسطى و معرفة مستوى الرضا الوظيفي لديهم ، و إبراز العلاقة بين المناخ التنظيمي السائد و الرضا الوظيفي ، مع التعرف على ما إذا كان لبعض المتغيرات الديموغرافية لهيئة الإطارات الوسطى لها أثر على توجهاتهم نحو الهيكل التنظيمي .

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي و كذلك استخدم الأسلوب المسحي الشامل لقلة مجتمع البحث، حيث قدر ب ٩٨ إطار بعد استبعاد ١٠ إطارات لقياس ثبات الاستمارة .

و النتائج التي وصل إليها كانت كما يلي :

– هناك اتجاهات إيجابية نحو المناخ التنظيمي السائد في مؤسسة سونلغاز .

– الإطارات الوسطى عبرت عن رضاها عن جل أبعاد المناخ التنظيمي التي تضمنتها الدراسة ما بعد الأجور .

– لا توجد فروق دالة إحصائيا بين اتجاهات الإطارات الوسطى نحو طبيعة المناخ التنظيمي السائد في المنظمة تعزي إلى العوامل الديموغرافية ما عدا عاملا الجنس و طبيعة النشاط الممارس .

– وجود علاقة إيجابية متوسطة بين المناخ التنظيمي و الرضا الوظيفي .[١٥]

---

[١٤]. مراد بومنقار ، **المناخ التنظيمي و علاقته بالرضا الوظيفي** ، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه ، إشراف لوكيا الهاشمي ، قسم علم النفس جامعة منتوري ، قسنطينة ، ٢٠١٠-٢٠١١ .

٢.٦. دراسات حول الشراكة الأجنبية :

دراسة فرفار سامية (٢٠٠٦) :تحت عنوان "**التحول من النظام العمومي إلى نظام الشراكة الأجنبية وانعكاساته على العمل و العمال** " نموذج الشراكة الجزائرية الألمانية دراسة ميدانية بمؤسسة إنا هنكل الجزائرية " وحدة الرغاية ".

تمثل الشراكة نموذجا تنمويا لإعادة اعتبار المؤسسة الوطنية ، و لبعثها من جديد لبناء اقتصاد على ركائز دولية باحتكاك مع الأجانب ، و بهذا هدفت الدراسة للكشف عن التحولات التي جاءت بها الشراكة الأجنبية في ميدان العمل ، نقل التكنولوجيا و كيفية تقديم العمال لنظام العمل الجديد من ضوء خبراتهم في نظام العمل السابق .

استخدمت المنهج التحليلي ال وصفي وهو أسلوب كمي ، وفي نفس الوقت المنهج المقارن و استعملت الباحثة الاستبيان اعتمادا على الملاحظة و المقابلة المبدئية لفهم ميدان العمل .

و تم التوصل إلى عدد من النتائج أهمها :

– أن معظم العمال أصبحوا أكثر احتراما لمواقيت العمل ، وسمحت الشراكة للكثير من الا ستفادة من عدة مجالات في ميدان العمل ، إضافة إلى التغيرات التي أحدثها الشريك الأجنبي و الرضا الكبير على الأجر.[١٦]

عبد المجيد أونيس (٢٠٠٦) :تحت عنوان " **الاستثمار الأجنبي في المؤسسات الصغيرة و المتوسطة واقع وآفاق** ".

تهدف للكشف عن مدى توفيق الجزائر في تهيئته ا لمناخ جيد للاستثمار في اختيارها للشراكة الأجنبية كوسيلة و كحل لجلب المستثمرين و كل ما يحملونه من رؤوس الأموال و تكنولوجيا و خبرات و فنين و تقنين يعود بالفائدة على قطاع المؤسسات المتوسطة و الصغيرة و على الاقتصاد الوطني ككل ،و الكشف عن واقع هذه المؤسسات وأفاقها في ظل كل هذه المستجدات .

استخدمت منهج دراسة الحالة لمجموعة من المؤسسات الصغرى و المتوسطة في ظل الاستثمارات الأجنبية .

و من أهم النتائج المتوصل لها :

– تميزت هذه المؤسسة لكثرة عددها و تنوع و اختلاف منتجاتها و قدرتها على التأقلم مع المتغيرات الخارجية .

---

[١٥]. سامية فرفار ، **التحول من النظام العمومي إلى النظام الشراكة الأجنبية و انعكاساته على العمل و العمال** ، رسالة ماجيستر غير منشورة ، جامعة الجزائر ،كلية العلوم الاجتماعية ، ٢٠٠٦ .

[١٦]. عبد المجيد أونيس ، **الاستثمار الأجنبي في المؤسسات الصغيرة و المتوسطة واقع و آفاق** ، الملتقى الدولي متطلبات التأهيل للمؤسسات الصغرى و الكبرى في الدول العربية ، جامعة التكوين المتواصل ، الجزائر ، ٢٠٠٦ .

– مساهمة هذه المؤسسات في توفير مناصب شغل لمختلف المستويات .

– معاناة المؤسسات الصغرى و المتوسطة في الجزائر من مشاكل عدة أبرزها التمويل – البيروقراطية – العقار –الجباية.

– رغم تزايد المؤسسات الصغيرة و المتوسطة في الجزائر إلا أنها تبقى بعيدة عن ما وصلت إليه في البلدان النامية .

– في ظل إمضاء الجزائر لاتفاقية الشراكة مع الاتحاد الأوروبي و انضمامها المرتقب لمنظمة التجارة العالمية تسعى الدولة الجزائرية جاهدة لتأهيل هذه المؤسسات بهدف الرفع من الكفاءة الانتاجية و القدرة التنافسية وفق المقاييس المعمول بها دوليا و الصمود أمام المنتجات والخدمات الدولية ذات الجودة العالية.[١٧]

٣.٦. دراسات حول إدارة الجودة الشاملة :

دراسة مفضي بن زعل الرويلي (٢٠٠٢) : تحت عنوان "**اتجاهات القيادات الإدارية في البريد السعودي نحو تطبيق إدارة الجودة الشاملة** ".

هدف الدراسة إلى تكوين تصور واضح عن اتجاهات القيادات الإدارية في البريد السعودي نحو تطبيق إدارة الجودة الشاملة و لكل مجال من مجالاتها الأساسية ، و الكشف عن مدى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في اتجاهات تلك القيادات نحو تطبيق إدارة الجودة الشاملة .

استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي و أسلوب الدراسة الميدانية .

من أهم النتائج المتوصل إليها :

– بعد تحليل النتائج كشفت الدراسة عن أن اتجاهات القيادات الإدارية في البريد السعودي نحو تطبيق إدارة الجودة الشاملة ضمن المستوى الجيد .

– كما كشفت عن فهم و اهتمام و دعم القيادات الإدارية في البريد السعودي للجودة الشاملة .

– و كشفت الدراسة عن عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في اتجاهات القيادات الإدارية في البريد السعودي نحو تطبيق إدارة الجودة الشاملة تعزى لمتغيرات الخبرة والمستوى التعليمي .[١٨]

---

[١٧]. مفضي بن زعل الرويلي ، **اتجاهات القيادات الإدارية في البريد السعودي نحو تطبيق إدارة الجودة الكلية** ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة نايف للدراسات الأمنية ، الرياض ، ٢٠٠٢ .

[١٨]. سالم سعود الرشيدي ، **أثر الأنماط القيادية على تطبيق إدارة الجودة الشاملة في القطاع الحكومي في المملكة العرب ية السعودية** ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الأردنية ، عمان ، ٢٠٠٤ .

دراسة سالم سعود الرشيدي (٢٠٠٤) :تحت عنوان " **أثر الأنماط القيا دية على تطبيق إدارة الجودة الشاملة في القطاع الحكومي بالمملكة العربية السعودية** " .

هدف الدراسة إلى توضيح أثر الأنماط القيادية على تطبيق إدارة الجودة الشاملة و معرفة مدى جودى و فاعلية تطبيق إدارة الجودة الشاملة ، و كذلك مدى قبول و اقتناع الوزارات السعودية لتطبيق هذا المفهوم الحديث .

تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي من خلال توزيع استبيان على عينة حجمها ٤٥٤ موظفا من القيادات العليا في الوزارات السعودية .

من أهم النتائج المتوصل لها:

– كشفت نتائج الدراسة عن وجود علاقة بين الأنماط القيادية الإدارية العليا و تطبيق إدارة الجودة الشاملة في الوزارات السعودية ، و قد كان النمط القيادي المشارك هو الأقوى علاقة مقارنة بباقي الأنماط القيادية، في حين كان النمط التسلطي الخير أقلها علاقة .

– وكشفت النتائج عن وجود توجه جيد للقيادات الإدارية نحو تطبيق إدارة الجودة الشاملة في الوزارات المشمولة بالدراسة.

– و تبين كذلك وجود علاقة بين اتجاهات القيادات العليا في الوزارات السعودية نحو تطبيق إدارة الجودة الشاملة تعزي للمتغيرات الديمغرافية للدراسة.

دراسة Farise Paul (٢٠٠٤) :

تحت عنوان : " **الجودة الشاملة كفلسفة إدارية منظمة للتطبيق في المنظمات غير الربحية** ".

هدف الدراسة تحليل المداخل الإدارية التقليدية من جهة و مدخل إدارة الجودة الشاملة و مدى إمكانية تطبيقها في المنظمات غير الربحية ، و أثرها على كفاءة الأداء و فاعليته في تلك المنظمات.

تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي في الدراسة .

من النتائج المتوصل لها ما يلي :

– كشفت النتائج أن تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المنظمات غير الربحية أمر ضروري لتحسين الأداء و زيادة الإنتاجية خصوصا في ظل زيادة عدد المنظمات غير الحكومية و معاناتها من نقص التموين .

– كما كشفت أن تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المنظمات الحكومية أمر سهل إذا تم توفير متطلبات تطبيقه .

دراسة **Elmaimani Bassam** (**٢٠٠٤**):تحت عنوان :" **العوامل المؤثرة على نجاح تطبيق أدوات تحسين الجودة الشاملة** ".

هدف الدراسة تحديد العوامل البيئية التي لها تأثير واضح على تمكين المنظمات الإنتاجية و غير الإنت اجية من تطبيق أدوات تحسين الجودة بفاعلية .

تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي .

و لقد تم التوصل إلى ما يلي :

– كشفت النتائج عن أن نجاح تطبيق لأدوات تحسين الجودة يعتمد على فهم و وعي و دعم الإدارة العليا من جهة والعاملين من جهة أخرى .

– كما كشفت أن تطوير ا لبيئة الداخلية و العلاقات التنظيمية و نظم المشاركة و اتخاذ القرارات لها أثر حاسم على نجاح تطبيق التحسين المستمر للجودة .

دراسة Budgol Marker (٢٠٠٥) :تحت عنوان : " **تطبيق فلسفة إدارة الجودة الشاملة في بولندا** ".

هدف الدراسة استعراض النماذج المختلفة لتطبيق إدارة الجودة الشاملة في القطاعين العام و الخاص في بولندا ، وتحديد أثر جائزة بولندا للجودة على تطبيق الجودة الشاملة .

استخدم المنهج الوصفي و أسلوب الدراسة الميدانية .

من أهم النتائج المتوصل إليها :

– كشفت الدراسة عن أن معظم الشركات البولندية تطبق فلسفة الجو دة الشاملة في ظل النتائج الايجابية المترتبة على تطبيقها و خصوصا تطبيق نموذج الأيزو ٩٠٠١ ، وكشفت النتائج عن الدور الايجابي لجائزة بولندا للجودة في تشجيع الشركات البولندية على تبني و تطبيق مبادئ و فلسفة الجودة الشاملة .[١٩]

دراسة كحيلة نبيلة (٢٠٠٩):تحت عنوان :" **تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات الصحية** "

تهدف الدراسة لكشف عن مدى إمكانية تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المؤسسة العمومية الإستشفائية محمد الصديق بن يحي بجيجل من وجهة نظر ممارسي مهنة التمريض بهذه المؤسسة.

[19]Paul Frise,**Quality management as a systematic management philosophy for use in nonprofit organization** , PHD Thesis ,USA , 2004.

وذلك عن طريق معرفة أهمية مبادئ إدارة الج ودة الشاملة من وجهة نظرهم ومعرفة ما مدى وعيهم بالمزايا التي تحققها هذه الأخيرة ، وأهم المعوقات التي تعيق تطبيقها في هذه المؤسسة وكذلك معرفة مدى إدراكهم لأهمية محاور تطبيق إدارة الجودة الشاملة .

استعانت الباحثة المنهج الوصفي،كما صمم استمارة تتكون من أ ربعة محاور كل محور يتعلق ببعد من الأبعاد، وقد استخدمت مقياس ليكرت ذو الأبعاد الخمسة (مهمة جدا ، مهمة ، متوسطة الأهمية ، غير مهمة ، غير مهمة إطلاقا).

فيما يخص العينة تم اختيار العينة الطبقية العشوائية ، ما يعادل ١٥ % من المجتمع الأصلي.

حيث توصلت إلى النتائج الآتية :

– إن أفراد العينة يدركون جيدا أن مبادئ إدارة الجودة الشاملة مهمة جدا.

– إن أفراد العينة يدركون بمستوى مرتفع جدا من وعي أن تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المؤسسة العمومية الإستشفائية محمد الصديق بن يحي بجيجل يحقق المزايا.

– إن المعوقات التي تحول دون تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المؤسسة العمومية الإستشفائية محمد الصديق بن يحي بجيجل تعد اقتراحات مهمة جدا .

– عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية في إدراك أفراد العينة لأهمية محورين من محاور تطبيق إدارة الجودة الشاملة هي : مبادئ ومعوقات تطبيق الجودة الشاملة.

–وتوجد فروق ذات دلالة احصائية في إدراك أفراد العينة لأهمية محور مزايا تطبيق الجودة الشاملة.[٢٠]

التعقيب على الدراسات السابقة :

استعرضنا خلال هذه الدراسة عدد من الدراسات السابقة تدور في مجملها حول موضوع الدراسة شق منها عربي والأخر أجنبي حيث أربعة منها عربية و اثنان منها أجنبية تناولت المناخ التنظيمي السائد في المنظمة ، و ذلك للكشف عن واقع هذا الأخير في الأوساط الميدانية لهذه الدراسات شأن الدراسات المذكورة الذي نهدف من خلاله للتعرف على المناخ التنظيمي في ظل الشراكة بمؤسسة **فرتيال** و من هذه الدراسات : دراسة عمران (١٩٩٧) ، الذنيبات (١٩٩٩) القطامنة (٢٠٠٠) ، بومنقار (٢٠١١) ، Gratto(2001) ، Peter (2000) .

[20] Elmaimani Bassam , **Factors leading to successful application of improvement tools for quality management** , PHD Thesis , USA , 2004 .

و اثنان عربية دارت حول الشراكة الأجنبية منها : دراسة سامية فرفار (٢٠٠٦) ، عبد المجيد أونيس (٢٠٠٦) .

وتناولنا ثلاثة عربية و ثلاث أجنبية متعلقة بإدارة الجودة الشاملة منها :

– دراسة :مفضي الرويلي (٢٠٠٢) ،سالم الرشيدي (٢٠٠٤)،كحيلة نبيلة (٢٠٠٩).

Marker (٢٠٠٥) ، Frise Paul(2004) ، Elmaimani(2004)

و مجموع هذه الدراسات التي ذكرناها تتناول كل من متغيرات المناخ التنظيمي و الشراكة الأجنبية و كذا إدارة الجودة الشاملة و هي نفسها المتغيرات التي تناولنها في دراستنا قصد معرفة مدى ملائمة المناخ التنظيمي بمؤسسة **فرتيال** في ظل الشراكة الأجنبية لتطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة .

و ما لاحظنها أن جل هذه الدراسات المتشابهة مع الدراسة الحالية من حيث أنها ركزت على قياس أبعاد المناخ التنظيمي ، و الفرق الوحيد الموجود في اختلاف الأبعاد المتعلقة بالمناخ باختلاف الدراسة ، و كذا اختلاف طبيعة العينة و بيئات العمل ،علما و أن دراستنا تعد ذات طابع حديث كونها تدرس البيئة الداخلية لمؤسسة **فرتيال** في ظل الشراكة الإسبانية و هذا ما يعبر عن أن الاختلاف الملموس هنا هو الاختلاف في البيئة الثقافية ومدى ملائمة هذه الأخيرة لتطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة .

الإجراءات المنهجية للدراسة :

١–الدراسة الاستطلاعية :

تعتبر الدراسة الاستطلاعية (الاستكشافية) من أهم الخطوات الرئيسية التي يقوم بها الباحث أثناء قيامه بعمله ، و بناءا على ذلك و في إطار دراستنا قمنا بالإجراءات التالية خلالها :

- القيام بزيارات لمؤسسة **فرتيال** ، قصد التعرف عن قرب على البيئة التنظيمية لها و كذا بغية التعرف على مجتمع الدراسة و خصائصه و حصر عدده حسب الإحصاءات لنفس سنة الدراسة قصد تحد يد عدد العينة وخصائصها وكيفية سحبها .
- كما تم تزويدنا ببعض الوثائق الإدارية و المتمثلة في :

– الهيكل التنظيمي للمؤسسة ككل و الهيكل التنظيمي لكل من إدارة الموارد البشرية و إدارة التقنية كونهما المعنيتان بالدراسة ، وكذا جملة من الوثائق متعلقة بإدارة الجودة الشاملة فيما يخص سياسة البيئة ، الجودة بما يمس جميع جوانب المؤسسة و سياسة الأمن المفروضة داخل المؤسسة.

• بعد هاتان الخطوتان و دائما في إطار الدراسة الاستطلاعية قمنا بالاحتكاك ببعض الإطارات الوسطى وذلك لجس نبض هؤلاء للتحصل على بعض المعلومات من خلال محادثته م و طرح بعض الأسئلة بطريقة عشوائية للكشف عن أهم متغيرات الدراسة و حصرها و منها تحصلنا على :

– بعض الاستجابات تتمظهر في شكل شكاوي وتذمر و استياء و ملل خاصة من بعض الإطارات الوسطى لإدارة الموارد البشرية و مصلحة طب العمل و تمظهرت استجابات بعض الإطارات الوسط ى للإدارة التقنية و إدارة الموارد البشرية بالإيجابية عن الوضعية الحالية و مدى تلاءم البيئة

الداخلية للمنظمة خاصة في ظل الشراكة و مدى تنوع مهامهم مما يجعلها محفزة و كذا توفر الأمن ونظافة البيئة والجودة حتى ضمن التعاملات و سهولة الأدوات التكنولوجية المستخدمة و الرضا عن سياسة التكوين المتبعة .

٢– مجالات الدراسة :

١.٢– المجال المكاني للدراسة :

أجريت دراستنا بمؤسسة **فرتيال** بعنابة ، كما هو موضح في هيكلها التنظيمي ، و بالضبط في مديريتا : مدرية الموارد البشرية و المديرية التقنية ، و تتكون هذه المديريات من الهيئات التالية :

• **مديرية الموارد البشرية :**

– هيئة التكوين و الوسائل العامة . – هيئة علاقات العمل .

– هيئة تسيير المستخدمين . – مصلحة طب العمل .

• **المديرية التقنية :**

– هيئة الهيكلة و المسارات التقنية . – هيئة التفتيش والتطابق و ا لمصادقة . – الهيئة المخبرية .

– هيئة الجودة . – هيئة البيئة .

٢.٢ المجال البشري :

تضم منظمة **فرتيال** حسب إحصائيات ٣١ مارس ٢٠١٣ ، و التي أفادتنا بها نائبة مسئول مصلحة التوظيف ٦٣٨ عاملا : ٦٣٤ عامل بصفة دائمة مقابل ٠٤ بعقود محددة المدة .

أما عن الإدارتان المعنيتان بالدراسة :

• تضم مديرية الموارد البشرية ٧٢ عامل (٧١ بصفة دائمة و ٠١ بعقد محدد المدة) ٥٥ رجال و ١٧ نساء بنسبة تقدر بـ ١١.٣٩ % .

• تضم المديرية التقنية ٤٤ عامل كلهم بصفة دائمة ٣٦ رجال و ٠٨ نساء بنسبة تقدر بـ ٦.٩٦ % .

٣.٢ المجال الزماني :

انطلاقنا من هذه الدراسة بعد تصريح من إدارة قسم علم النفس بجامعة باجي مختار – عنابة – فبواسطته اتجهنا نحو المؤسسة بعد تحديد مدة التربص بالتنسيق و رئيسة القسم ضمن اتفاقية التربص ما بين الجامعة و المؤسسة في انتظار قبول إدارة المؤسسة بالمدة المحددة ، في هذه الأثناء صادقت إدارة المؤسسة بقبول استقبالنا خلال هذه المدة حيث كان تاريخ البداية ٢٠١٣.٠٢.٢٤ إلى غاية ٢٠١٣.٠٥.٣١ ، كما تفتح المؤسسة أبوابها للمتربصين أيام الاثنين والأربعاء من كل أسبوع حتى تتم إجراءات الحصول على بطاقات التربص من طرف إدارتها ، و بعده ا سمح لنا بزيارات يومية كلما استلزم الأمر ذلك ،و قد أفادتنا هذه الزيارات الأولية بمعلومات خاصة بعينة الدراسة و المتمثلة في هيئة الإطارات الوسطى حيث قدر عددها بـ **٨٦ إطاراً** ما بين إطار إداري و إطار تقني ، و تم اختيار هذا المستوى الإداري لملائمته لموضوع الدراسة حيث يتسم بمؤهل علمي يسهل من فهم الموضوع مقارنة بغيرها من الأخرى .

و قد قسمت الزيارات الميدانية إلى أربعة مراحل :

• **المرحلة الأولى** : من ٠٢.٢٤ إلى ٠٣.٠٨ .٢٠١٣ ،تم خلالها الاستطلاع حيث اكتشفنا ميدان الدراسة من أجل معرفة مدى وجود الموضوع فيه و مدى قابليةتحققه ميدانيا ، و ذلك من خلال المقابلات الأولية التي قمنا بها مع بعض الإطارات ، ناهيك عن الحصول على الوثائق الإدارية الخاصة بالموضوع .

• **المرحلة الثانية** : من ٠٣.١٠ إلى غاية ٠٣.١٠ .٢٠١٣،قمنا بتطبيق أداة الملاحظة على المتغيرات المتصلة بالدراسة.

• **المرحلة الثالثة** : من ٠٣.١٥ إلى ٠٤.٠٥ . ٢٠١٣ قمنا خلالها بتطبيق أداة المقابلة على عينة من الإطارات اختيرت بطريقة عشوائية من مجتمع الدراسة .

• **المرحلة الرابعة** : من ١٠.٠٤ إلى ٠٥.٠٥ .٢٠١٣ تم فيها توزيع الاستمارات و استرجاعها و قياس الثبات .

٣ . المنهج المستخدم في الدراسة :

استخدمنا **المنهج الوصفي** الذي يقوم بدراسة الظاهرة كما توجد في الواقع ووصفها وصفا دقيقا ، والتعبير عنها تعبيرا كيفيا أو تعبيرا كميا .

٤ . مجتمع الدراسة :

تمثل مجتمع بحثنا في جميع الإطارات الوسطى العاملين بمؤسسة **فرتيال** بعنابة ، ونظرا لصغر حجمه قمنا بمسح شامل لكل أفراد مجتمع الدراسة ، حيث قدرت بـ ٨٦ إطار ، و بعدها تم توزيع الاستمارات عليهم بعد استبعاد ١٠ استمارات لحساب الثبات و بعد التدقيق وفحص الاستمارات تبين لنا وجود ٠٢ استمارات غير صالحة للتحليل لعدم اكتمال بياناتها ، و ٠٤ منها لم تسترجع بحكم طبيعة عمل الإطارات التقنية كونها تنزل للعمل في الميدان بالموازاة و الإدارة و بذلك أصبح العدد الإجمالي للمشاركين في الدراسة يقدر بـ ٧٠ عامل أي ما يعادل نسبة ٨١.٩٣ % وقد جاء توزيع مجتمع الدراسة كما يلي:

جدول رقم (٣) : يبين توزيع مجتمع الدراسة حسب متغير الجنس

الجنس	التكرارات	النسبة المئوية
ذكر	٥٩	%٨٤
أنثى	١١	%١٦
المجموع	٧٠	%١٠٠

الشكل رقم (٩) : يبين توزيع مجتمع الدراسة حسب متغير الجنس .

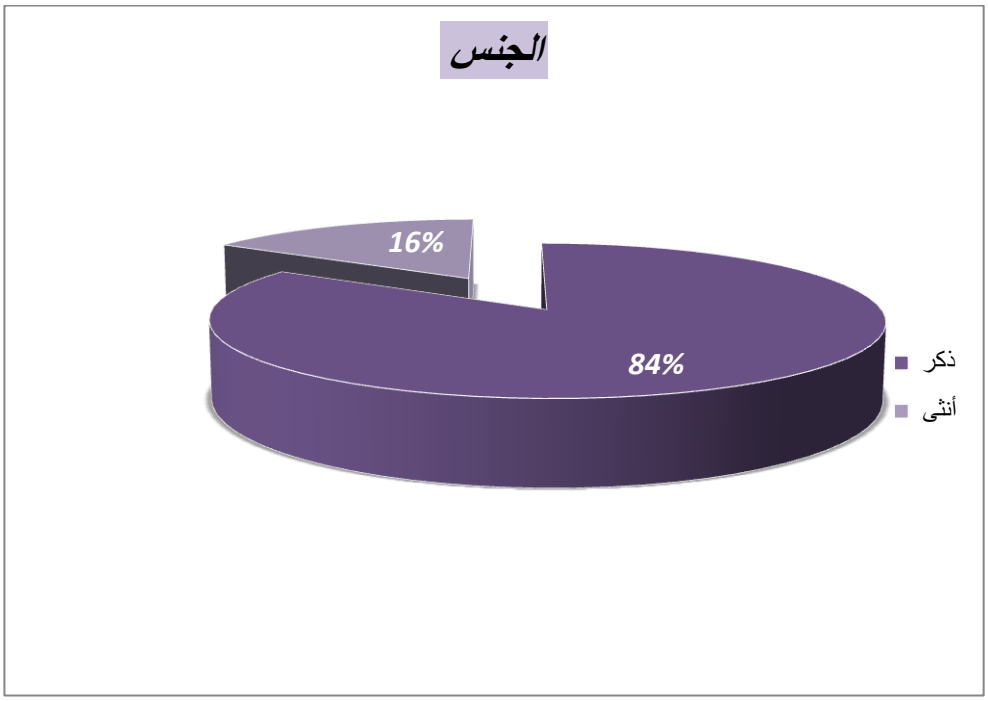

التعليق : ◄

يتضح من خلال الجدول رقم (٣) و الشكل رقم (٩) المتعلقان بمتغير "الجنس" أن أغلب الإطارات الوسطى ذلكور حيث قدر عددهم بـ ٥٩ إطار رجالي أي ما يعادل نسبة ٦٠ % ، في حين قدر عدد الإناث بـ ١١ إطار نسوي أي بنسبة ٤٠ % ، و هذا راجع إلى طبيعة العمل التقني الذي يفرض النزول الميداني الذكوري في المديرية التقنية ، و كذا دراسة طبيعة المرأة الجزائرية من قبل الشريك الإسباني مما جعل قلة من النساء تعمل في المؤسسة وحتى ذلك بشرط يتم إفرادها داخل مكاتب العمل و هذا ما يعكس واقع عدد النساء العاملات بمديرية الموارد البشرية (١٧) مقابل عدد الرجال (٥٥) .

- **ملاحظة** :لتحديد عدد و طول الفئات بالنسبة لمتغيرا **السن و الأقدمية** قمنا بمايلي :

– تحديد عدد الفئات كان كمايلي :

عدد الفئات = ١ + (٣.٣ * ٧٠ Log)

حيث وجدنا عدد الفئات = ٧ فئات.

– و لتحديد طول الفئة استخدمنا :

أكبر قيمة لسنوات (السن – الأقدمية) _ أصغر فئة لسنوات (السن – الأقدمية) /عدد الفئات.

حيث وجدنا طول الفئة = ٥ سنوات .

جدول رقم (٤) : يبين توزيع مجتمع الدراسة حسب متغير السن

السن	التكرارات	النسب المئوية
[٢٢ – ٢٦]	2	%3
[٢٧ – ٣١]	6	%9
[٣٢ – ٣٦]	٨	% ١١
[٣٧ – ٤١]	١٠	% ١٤
[٤٢ – ٤٦]	١٤	% ٢٠
[٤٧ – ٥١]	١٩	% ٢٧
[٥٢ – ٥٦]	١١	% ١٥
المجموع	٧٠	% ١٠٠

الشكل رقم (١٠) : يبين توزيع مجتمع الدراسة حسب متغير السن

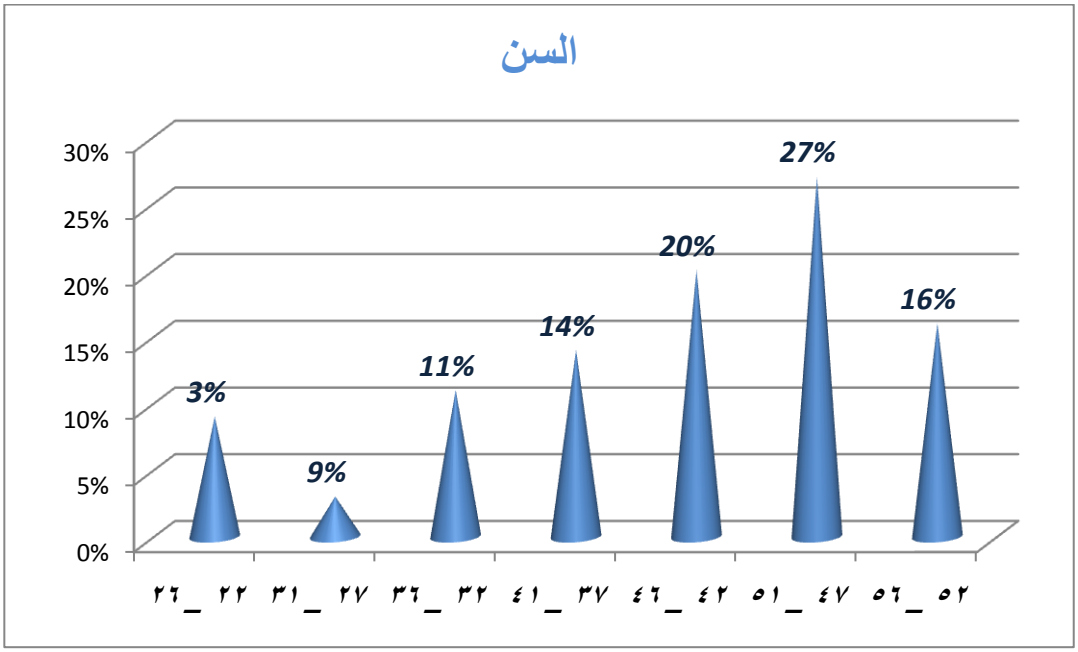

التعليق : ◄

فيما يلي يبين الجدول رقم (٤) و الشكل رقم (١٠) توزيع أفراد العينة حسب متغير "السن" حيث أن أغلبيتهم تتراوح أعمارهم ما بين ٤٧ إلى ٥١ أي بنسبة ٢٧ % ، في حين نجد أن الفئة الصغرى و المعبر عنها بنسبة ٣ % تمثل أقلهم عمرا حيث يتراوح ما بين ٢٢-٢٦ ، وهذا راجع كون الشريك الأجنبي لا يحبذ كثرة الإداريين ولهذا يعوضون مناصب بعضهم بالترقية عند التقاعد و بالتالي إنقاص عدد الأفراد في المكاتب من اثنان أو ثلاث إلى فرد واحد

جدول رقم (٥) : يبين توزيع مجتمع الدراسة حسب متغير الأقدمية

الأقدمية	التكرارات	النسب المئوية
[١ - ٥]	٩	% ١٣
[٦ - ١٠]	٧	% ١٠
[١١ - ١٥]	٢١	% ٣٠
[١٦- ٢٠]	٦	% ٨
[٢١ - ٢٥]	١٤	% ٢٠
[٢٦ - ٣٠]	٩	% ١٣
[٣١ - ٣٥]	٤	% ٥
المجموع	٧٠	% ١٠٠

الشكل رقم (١١) : يبين توزيع مجتمع الدراسة حسب متغير الأقدمية

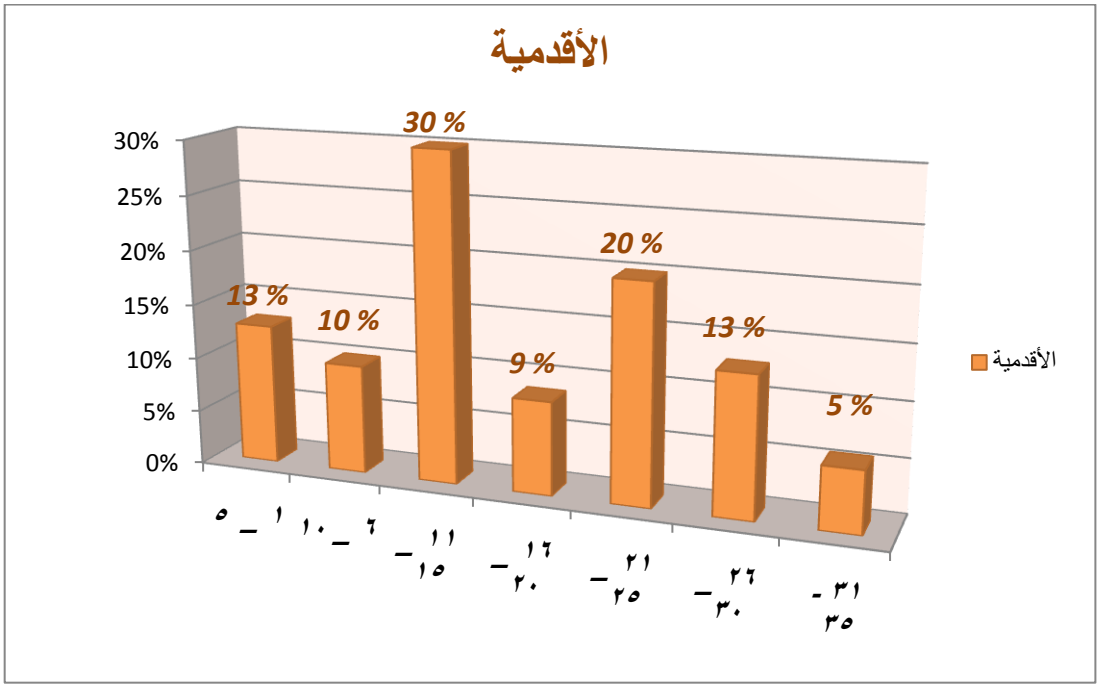

التعليق :◄

بالنسبة لمتغير "الأقدمية " كما هو مشار له في الجدول رقم (٥) و الشكل رقم (١١) يتبين لنا أن هناك اختلاف في نسب أقدمية الإطارات من سنة إلى ٣٥ سنة أقدمية ، فنجد ٠٤ أفراد معبر عنهم بنسبة ٥ % ذوي أقدمية في حين أفراد ٠٩ أي بنسبة ١٣ % ذوي أقل سنوات ، أما أعلى نسبة أقدمية ٣٠ %عند الفئة التي تتراوح ما بين ١١-١٥ سنة أقدمية ، و هذا ما يعكس متوسط السن العامل بهاتان المديريتان من ٤٧ إلى ٥١ سنة و هي الفئة العمرية الغالبة .

جدول رقم (٦) : يبين توزيع مجتمع الدراسة حسب متغير طبيعة النشاط

طبيعة النشاط	التكرارات	النسب المئوية
إداري	٤٢	% ٦٠
تقني	٢٨	% ٤٠
المجموع	٧٠	% ١٠٠

الشكل رقم (١٢) : يبين توزيع مجتمع الدراسة حسب متغير طبيعة النشاط

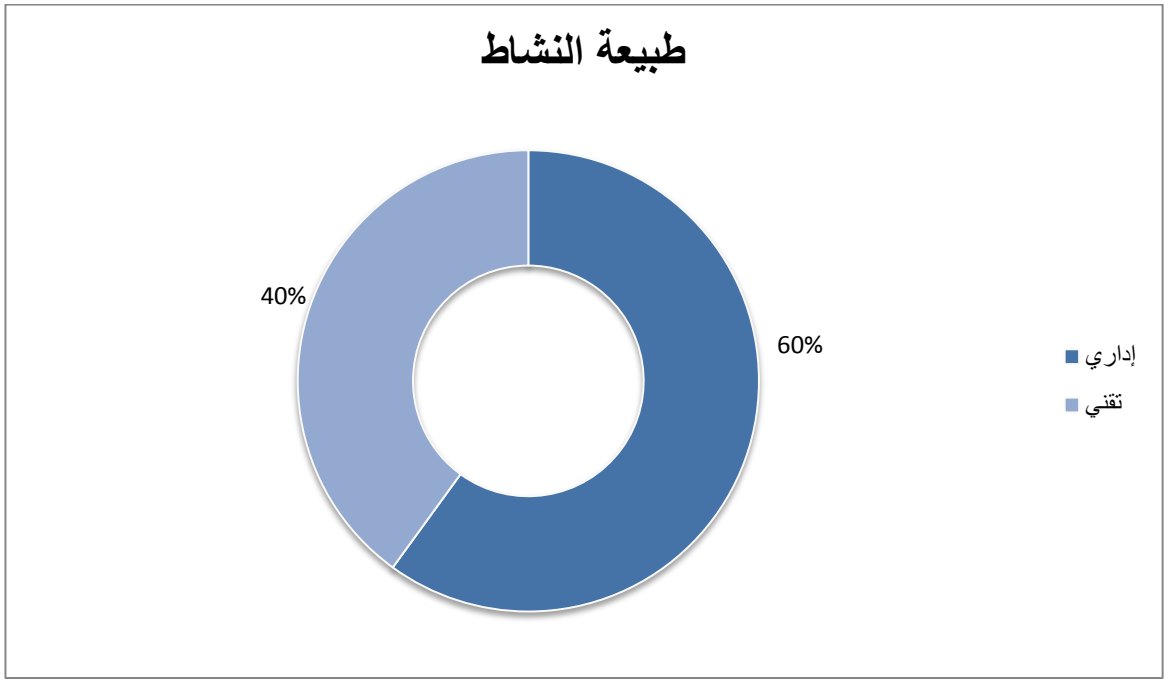

التعليق :◀

أهم ما يمكن ملاحظته من خلال الجدول رقم (٦) و الشكل رقم (١٢) المتعلقان بمتغير "طبيعة النشاط " أن أغلب الإطارات الوسطى من صنف إداري حيث نسبتهم تساوي ٦٠ % قدرت ب ٤٢ إطار إداري ، في حين مثلث نسبة الإطارات التقنية ٤٠ % ما يعادل ٢٨ فرد و هذا راجع لكون مديرية الموارد البشرية القلب النابض لمؤسسة **فرتيال** و هي تعمل وفق طابع تنسيقي بين مختلف المديريات الأخرى .

• قد تم اختيار هذه الخصائص دون غيرها و المتمثلة في (الجنس – السن – الأقدمية – طبيعة النشاط) كمحصلة للدراسة الاستطلاعية و التي أدلت بـ : أن للسن و الأقدمية دور كبير في تقبل المناخ التنظيمي الجديد السائد في ظل الشراكة فالكثير من الكبار في السن ومن لهم أقد مية في المؤسسة لم يتأقلموا مع التغيرات الحاصلة في البيئة ، فطالبوا بالتقاعد قبل حين موعده ، كذلك لهما دور كبير في تبني المعايير الجديدة المعمول بها ضمن إدارة الجودة الشاملة المندرجة تحت غطاء شهادات الإيزو الممنوحة للمؤسسة كذلك لطبيعة العمل علاقة فتوجهات الإ داري ليست مثلها للتقني أما الجنس فهو الفاصل في تحديد البيئة الداخلية للمؤسسة في الوضع الراهن .

٥ . أدوات جمع البيانات :

يتوقف إجراء أي بحث علمي على مجموعة من التقنيات و الإجراءات المختلفة التي يرتكز عليها الباحث في جمع المعلومات الخاصة بالبحث ، وعليه تم اختيار الملاحظة ،المقابلة و الاستمارة .

٦. أساليب المعالجة الاحصائية للبيانات :

إن جمع البيانات عن طريق استمارة البحث دون تبويبها و تحليلها ، تبقى مبهمة و غير معروفة ما لم يتم معالجتها بالاعتماد على وسائل التحليل الاحصائي التي تجعل النتائج واضحة .

و خلال دراستنا هذه اعتمدنا على أسلوبين هما :

١.٦ الأسلوب الكمي :

لقد قمنا بتفريغ و تحليل الاستمارة من خلال برنامج SPSSللحزم الاحصائية في العلوم الاجتماعية

و تم استخدام الاختبارات الإحصائية التالية :

- **النسب المئوية و التكرارات** : استعملنها في حساب البيانات الديموغرافية ، و بنود محاور الدراسة وكذا في تحليل أداة المقابلة .
- **معامل ألفا كرونباخ** : لمعرفة ثبات فقرات الاستمارة و الاتساق الداخلي .
- **معامل بيرسون** : لمعرفة ثبات أداة الدراسة من خلال التطبيق و إعادة التطبيق .
- **اختبار Chic-square** :مربع كاي (كا^{2}) لمعرفة دلا لة الفروق بين توجهات الإطارات الوسطى حسب المتغيرات الديموغرافية .
- **المتوسط الحسابي** :لمعرفة إجابة كل فرد على كل عبارة و لتحديد الاتجاه موجب كان أم سالب من خلاله .
- **الانحراف المعياري** : لمعرفة التجانس و التشتت بين إجابات الأفراد .

٢.٦ الأسلوب الكيفي :

اعتمدنا على الجانب الوصفي في التحليل و التعليق على النتائج .

- كما استخدمنا OFFICE 2007 لتفريغ البيانات الديموغرافية التي تم حسابها عن طريق البرامجية الأسلوب الاحصائي كا^{2} .

٧. عرض النتائج و تحليلها :

١.٧ عرض و تحليل محتوى أداة الملاحظة :

من خلال ما أسفرت عنها النتائج المتوصل لها عند القيام بالملاحظة ، تبين لنا أن البيئة الداخلية لمؤسسة **فرتيال** في ظل الشراكة الأجنبية قد أدخلت عليها مجموعة من التعديلات مست جل الجوانب وفي إطار ملاحظتنا والتي تمحورت حول : الاتصال ، التكنولوجيا ، الحوافز بشقها المعنوي ، التكوين ، الأمن والصحة والبيئة .

ولقد استنتجنا كنتيجة عامة أن هذه التحسينات التي طرأت على المناخ التنظيمي بعد الشراكة الأجنبية جعلت منه مناخا تنظيميا مفتوحا يعمل في ظل قياسات عالمية تطبعه جودة كافة الجوانب مما يحقق التلاؤم بين هذا المناخ الموفر من قبل المؤسسة لتطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة المندرجة ضمن شهادات الإيزو الممنوحة لها .

٢.٧ عرض و تحليل محتوى أداة المقابلة :

من خلال استجابات أفراد العينة التي تمت معها المقابلة والمتمثلة في ٢٠ مفردة من هيئة الإطارات الوسطى أي ما يعادل نسبة ٢٣.٢٥ % من مجتمع ا لدراسة على محتوى المقابلة والتي تظم ٠٨ محاور حول موضوع : . المناخ التنظيمي في ظل الشراكة الأجنبية ومدى ملائمته لتطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة : أسفرت النتائج المتوصل إليها من استجابات أفراد العينة التي تمت معهم المقابلة ، تبين لنا وجود اختلاف في البي ئة الحالية أي في ظل الشراكة الأجنبية عن البيئة السابقة في ظل النظام القديم و ذلك حسب ما أدلى به أفراد العينة

هذا الاختلاف نلمسه في طبيعة العمل حيث أصبحت هذه الأخيرة في ظل الشراكة تتسم بالوضوح لكن و رغم ذلك يغلب عليها الروتين ، فالشريك الأجنبي قام بعدة تغيرات من بينها محاولته إرساء النمط الديمقراطي الذي يسمح بالمشاركة في اتخاذ القرارات ، كما قام بتعديل سياسة الحوافز من خلال إدخال حوافز جديدة من جهة و من جهة أخرى أحدث فروقات كبيرة في مجال التكوين كما أدرج وسائل اتصال عديدة مما أدى إلى مرونتها و ملائمتها لطبيعة العمل و كذا سهولة استخدامها من جانب أخر أولى اهتمام كبير بالتكنولوجيا المستخدمة من قبل العمال بالمؤسسة و هذا ما أدلى به الإطارات الوسطى خاصة العاملة بالمديرية التقنية ، علاوة على ذلك جل الإطارات الوسطى تفضل الاستمرارية في هذا النظام و عدم مغادرة منا صب عملهم إن فسحت لهم الفرصة لما طرأ عليه من تحسينات جعلته يتميز بالانفتاح .

أما فيما يخص معايير إدارة الجودة الشاملة فالشراكة جاءت بمبدأ التحسين المستمر الداعم لتبني هذه المعايير والإمثثال لها ، ناهيك عن تحقيق شعار الأمن و الصحة على أرض الواقع فالمؤسسة تسهر على حماية البيئة الداخلية بفضل تبني مبدأ – أن الجودة مسؤولية الجميع – هذا ما ساعدهم على تبني ثقافة إدارة الجودة الشاملة لكن و رغم كل هذا تبقى هناك بعض صعوبات تعيق تطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة .

٣.٧ عرض نتائج الاستمارة وتحليلها :

– مدى ملائمة طبيعة العمل لتطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة في ظل الشراكة الأجنبية :

نجد أن المتوسط الحسابي العام لمحور طبيعة العمل والذي يعتبر كأحد عناصر المناخ التنظيمي بمؤسسة فرتيال والذي قدر بـ ٣.٦٨ ، حيث يشير إلى أن طبيعة العمل مساعدة على تطبيق إدارة الجودة الشا ملة وهذا ما تؤكده الاتجاهات الايجابية العامة نحو طبيعة العمل في ظل الشراكة الإسبانية.

– مدى ملائمة نمط الإشراف لتطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة في ظل الشراكة الأجنبية :

نجد أن هناك اتجاهات ايجابية عامة نحو بعد نمط الإشراف في ظل الشراكة وملائمته لتطبيق مع ايير إدارة الجودة الشاملة حيث قدر المتوسط الحسابي العام لهذا المحور بـ ٣.٢٦ والمعبر عن ملائمة نمط الإشراف السائد في مؤسسة فرتيال لتطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة .

– مدى ملائمة الاتصال لتطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة في ظل الشراكة الأجنبية :

نجد أن المتوسط الحسابي العام الذي بلغ بـ ٣.٥٧ لمحور الاتصال كأحد عناصر المناخ التنظيمي بعد الشراكة ، ناهيك عن إجماع عام للاتجاهات الايجابية نحو هذا البعد وهذا ما يؤكد على مساهمة الاتصالات السائدة في مؤسسة فرتيال لتطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة في ظل الشراكة الأجنبية .

– مدى ملائمة برامج التكوين لتطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة في ظل الشراكة الأجنبية :

نجد أن هناك اتجاهات ايجابية عامة نحو التكوين كأحد عناصر المناخ التنظيمي السائد بمؤسسة فرتيال حيث قدر المتوسط الحسابي العام لهذا المحور بـ ٣.٥٥ وهي قيمة تأكد المسا همة الكبيرة لتكوين في ظل الشراكة الاسبانية لتطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة .

– مدى ملائمة سياسة الحوافز لتطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة في ظل الشراكة الأجنبية :

نجد أن المتوسط الحسابي العام الذي قدر بـ ٣.٤٠ لمحور الحوافز كأحد عناصر المناخ التنظيمي في ظل الشراكة الأجنبية ، وهذا ما يؤكده إجماع عام للاتجاهات الايجابية نحو البعد و ذلك ما يبرهن ملائمة سياسة الحوافز المتبعة في مؤسسة فرتيال لتطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة في ظل الشراكة الأجنبية .

– مدى ملائمة التكنولوجيا المستخدمة لتطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة في ظل الشراكة الأجنبية

نجد أن هناك اتجاهات ايجابية عامة نحو التكنولوجيا المستخدمة كأحد عناصر المناخ التنظيمي السائد بمؤسسة فرتيال حيث قدر المتوسط الحسابي العام لهذا المحور بـ ٤.١٣ وهي أعلى قيمة في الترتيب التنازلي لمحاور المناخ التنظيمي والتي تؤكد مساهمة التكنولوجيا المستخدمة لتطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة في ظل الشراكة الاسبانية .

أهم النتائج المتوصل لها :

بعد الانتهاء من تفريغ وعرض النتائج في جداول احصائية ، وكذا تطبيق أساليب المعالجة الاحصائية المناسبة لكل فرضية ، وتحليلها جاءت نتائج دراستنا كالتالي :

فيما يخص الكشف عن المناخ التنظيمي فقد عبرت مفردات مجتمع الدراسة من خلال إجابتهم على بعد طبيعة العمل السائد في ظل الشراكة الأجنبية بمؤسسة **فرتيال** بأن هذا الأخير يتسم بالوضوح وهذا ما يبرهنه تخصص كل إطار مع الوظيفة التي يشغلها عدا عن ذلك نستنتج عدم وجود تداخل بين المهام وتناسب ساعات العمل مع حجم المهام ، وهذا راجع إلى قيام الشريك بإعادة هيكلة الوظائف و تطوير اجراءات العمل وفق مواصفات جديدة للجودة ، بغض النظر عن وجود نوع من الروتين يغلب على طبيعة هذه الأعمال ، وهذا ما خلق لهم الشعور با لملل .

أما فيما يخص البعد الثاني الخاص بالكشف عن ملائمة نمط الإشراف السائد في مؤسسة فرتيال بعد الشراكة الأجنبية فقد أدلى مفردات مجتمع الدراسة من خلال استجابتهم بأنه يتسم بالديمقراطية حيث في ظل الشراكة أصبحت هناك لا مركزية القرارات كما يتم تفويض بعض الصلا حيات للعمال مع تشجيعهم على الاستقلالية في إنجاز بعض المهام ، فهو بذلك نمط إداري له دور في تحقيق معايير إدارة الجودة الشاملة .

أما فيما يخص بعد الاتصال فقد كشفت استجابات مفردات العينة فعالية الاتصالات حيث تتصف نظم الاتصالات المستخدمة في ظل الشراكة بالمرو نة والوضوح مع الاعتماد على استخدام الوسائل الحديثة وهي متاحة لجميع العمال حيث تسهل إنجاز العمل بأقل وقت وجهد ، وزوال جل معوقات الاتصال التنظيمي فهذا النمط يطبع الإدارة المفتوحة وحسن العلاقات الإنسانية السائدة بغض النظر عن طابع الرسمية الذي يغلب على هذا الا تصال .

أما عن البعد الرابع فكانت استجابات مجتمع الدراسة حول الكشف عن التكوين المعمول به في مؤسسة فرتيال في ظل الشراكة الإسبانية فقد لاحظنا أنه لم يكن هناك لتنمية المورد البشري في النظام السابق مما أحدث فروق جوهرية بعد مجيء الشريك الإسباني الذي أولى أهمي ة كبرى لمصلحة التكوين بالمؤسسة من خلال تشجيع الدورات التدريبية بصفة مستمرة داخل وخارج المؤسسة في كل المستويات الإدارية بهدف تغطية احتياجات ومتطلبات الاطارات

الوسطى هذا من جهة ، ومن جهة أخرى إدراج مواصفات دولية لتصبح برامج التكوين على جودة عالية و الهدف من ورائها تحقيق مبدأ القيام بالعمل بشكل صحيح من المرة الأولى .

وفيما يتعلق ببعد الحوافز فقط لوحظ أنه بمؤسسة فرتيال في ظل الشراكة الأجنبية قد تم إدراج جملة من الحوافز جديدة لم تكن سابقا ساهمت في تحسين نظام الرواتب والحوافز ، كذلك الاعتماد على مبدأ الاستحقاق مع التركيز على منحة المردودية لتحفيز الاطارات الوسطى استنادا إلى جملة من الحوافز المعنوية والتشجيعية التي تقدمها الإدارة في صور تتلاءم والجهود المبذولة ، كما تم إضافة منحة عدم الوقوع في حوادث وهدفه تحقيق ٠ % من الحوادث استجابة لمعايير إدارة الجودة الشاملة بما يخص المحافظة على أمن وصحة عمالها .

أما عن بعد التكنولوجيا فقط تم الكشف من خلال استجابات مفردات مجتمع الدراسة على وجود فروق كبيرة حول طبيعة التكنولوجيا الموجودة في المؤسسة بين الوضع الحالي أي في ظل الشراكة الاسبانية والنظام السابق حيث خصصت ميزانية م الية لتحديث المعدات التكنولوجية وفق جودة الأنظمة المعمول بها من حيث العمل الإداري ووسائل الصيانة والتحكم عن بعد بغض النظر عن تلاءم قدرات الاطارات الوسطى والتكنولوجيا المعمول بها مع استعدادهم لتأقلم مع التغيرات التكنولوجية الأخرى إن وجدت .

أما بالنسبة لتطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة بمؤسسة فرتيال بعد الشراكة الإسبانية فقد عبر مفردات مجتمع الدراسة على التطبيق الفعالة لكل من معايير التي تضمنتها الدراسة من معايير الجودة ، الأمن والصحة ، البيئة . ذلك قدر المتوسط الحسابي العام الخاص بهذه المعايير بـ ٣.٨٦ كما تراوحت المتوسطات الحسابية لهذه المعايير على التوالي بـ :٣.٨٦ ، ٣.٩٢ ، ٣.٨٢ ، وهي قيم أعلى من الحد الفاصل بين التطبيق الفعال وعدم التطبيق الفعال وعليه يمكننا القول أن هناك تطبيق مرتفع لمعايير إدارة الجودة الشاملة في ظل الشراكة الأجنبية .وهذا ما يتفق مع دراسة نبيلة كحيلة (٢٠٠٩)، ودراسة **arker Budgol** (٢٠٠٥) ودراسة**Elmaimani Bassam**(٢٠٠٤).

وفيما يتعلق **بالفرضية الأولى** والتي حاولنا من خلالها الكشف عن مدى مساعدة طبيعة العمل بمؤسسة فرتيال في تطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة والتي سجلنا قيمة متوسطها الحسابي ٣.٦٨ ومن هنا نستنتج ملائمة طبيعة العمل في ظل الشراكة لتطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة وهذا ما يتفق مع دراسة فرفار سامية (٢٠٠٦) .

أما فيما يخص **الفرضية الثانية** والمتعلقة بـ مدى تلائم المناخ التنظيمي السائد في مؤسسة فرتيال لتطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة في ظل الشراكة فقد خلصنا إلى إجماع عام للاتجاهات الايجابية حول هذا البعد كما سجلنا قيمة المتوسط الحسابي الذي يساوي ٣.٢٦ ما يثبت فعلا أن النمط السائد في المؤسسة ملائم لتطبيق معايير إدارة الجودة

الشاملة في ظل الشراكة . وهذا ما يتفق مع دراسة مفضي بن زعل ال رويلي (٢٠٠٢) ، ودراسة سالم السعود الرشيدي (٢٠٠٤) ، ودراسة Elmaimani Bassam(٢٠٠٤).

وفيما يتعلق على **الفرضية الثالثة** والتي نصت على : مساهمة الاتصال السائد في مؤسسة فرتيال لتطبيق معايير الجودة الشاملة حيث بلغ متوسطها الحسابي ٣.٥٧ وهي قيمة تعبر على عن ملائمة الاتصال السائد لتطبيق إدارة الجودة الشاملة . وذلك يتوافق ودراسة مراد بومنقار ودراسة Gratto (٢٠٠١) ، ودراسة مفضي بن زعل الرويلي (٢٠٠٢) .

أما **الفرضية الرابعة** والمتعلقة بمساهمة برامج التكوين بمؤسسة فرتيال في تطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة فتم إثباتها من خلال توجهات الايجابية العامة وقيمة متوسطها الحسابي الذي قدر بـ ٣.٥٥ وهذا ما يثبت فعلا ملائمة التكوين لتطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة في مؤسسة فرتيال على تطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة .

قد استنتجنا من **الفرضية الخامسة** والمتعلقة بمدى ملائمة الحوا فز المعمول بها لتطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة في ميدان الدراسة فقد سجلنا قيمة المتوسط الحسابي ٣.٤٠ وهذا ما يؤكد الاتجاهات الايجابية العامة وهذا ما يتوافق ودراسة القطامنة (٢٠٠٠) .

في حين سجلنا متوسط الحسابي المتعلق **بالفرضية السادسة** والتي نصت على مسا همة التكنولوجيا المستخدمة في ميدان الدراسة لتطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة بـ ٤.١٣ وهذا دليل على أن هناك التكنولوجيا المستخدمة في مؤسسة فرتيال على تطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة وهذا ما يتفق مع دراسة عبد المجيد أونيس (٢٠٠٦) .

وعليه خلال حساب المتوسط الحسابي العام لأبعاد المناخ التنظيمي تحصلنا على قيمة ٣.٥٩ وسجلنا قيمة المتوسط الحسابي العام لمعايير إدارة الجودة الشاملة ٣.٨٦ وهذا ما يعكس ملائمة أبعاد المناخ التنظيمي في الدراسة لتطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة في المؤسسة مما يظهر اهتمام الجهات المسؤول ة عن مؤسسة فرتيال لتهيئة مناخ تنظيمي أفضل يقود إلى أداء فعال لكافة الجوانب التنظيمية لتأهب للعالمية من خلال العمل بالمعايير الدولية .

و فيما يخص الفرضية الصفرية المتعلقة بالجنس و السن و الأقدمية و طبيعة النشاط و التي ترمي إلى معرفة ما إذ كانت هناك فروق بين توجهات هيئة الإطارات الوسطى بمؤسسة **فرتيال** بعد الشراكة الاسبانية باختلاف جنسهم و العمل الذي يمارسونه بميدان الدراسة و كذا على اختلاف فئات أعمارهم وسنوات الأقدمية بالمؤسسة .

ففيما يخص تأثير متغير الجنس على توجهات مفردات مجتمع الدراسة نحو المناخ التنظيمي توصلنا إلى توجهات متجانسة للاستجابات المتعلقة بقياس المناخ التنظيمي و هذا ما يدل على أنه لا تأثير لاختلاف جنس الإطا رات

الوسطى نحو المناخ التنظيمي في ظل الشراكة الأجنبية ، و هذا عكس ما توصلت له دراسة مراد بو منقار (٢٠١١) التي أدلت بأنه توجد فروق دالة احصائيا في توجهات الإطارات الوسطى نحو المناخ التنظيمي السائد بميدان دراسته .

و توصلنا بالنسبة لتأثر توجهات مفردات مجتمع الدراسة نحو المناخ التنظيمي في ظل الشراكة الأجنبية حسب اختلاف فئات الإطارات الوسطى العمرية ، و هذا يتبلور في متغير السن لاحظنا تجانس بين استجابات مجتمع الدراسة بفئاته العمرية السبعة و التي تراوحت بين أصغر فئة [٢٢ – ٢٦[، و أكبر فئة [٥٢ – ٥٦] ، وهذا ما يعبر عن عدم تأثر توجهات الإطارات الوسطى بمتغير السن نحو المناخ التنظيمي بالمؤسسة محل الدراسة وهذا ما يتفق مع دراسة مراد بو منقار (٢٠١١) ، و دراسة القطامنة (٢٠٠٠) .

أما فيما يتعلق بمتغير الأقدمية فلم نخلص لأية فروق في توجهات الإطارات الوسطى بمنطقة ال دراسة نحو المناخ التنظيمي على اختلاف سنوات أقدميتهم سواء ذوي الأقدمية القصيرة أو المتوسطة و كذا الطويلة حيث تراوحت ما بين أصغر مدة أقدمية [١ – ٥] ، و أكبر مدة أقدمية [٣١ – ٣٥] ، و بالتالي فإن متغير الأقدمية لا يؤثر في توجهات مفردات مجتمع الدراسة نحو المناخ التنظيمي داخل حيز **فرتيال** .

كما خلصنا بالنسبة لمتغير طبيعة النشاط الممارس من قبل الإطارات الوسطى بمؤسسة فرتيال إلى كونه لا يؤثر في توجهاتهم نحو المناخ التنظيمي في ظل الشراكة ،و بالتالي لا توجد فروق بين الإداريين و التقنيين ،و هذا خلافا لما توصلت له دراسة مراد بو منقار (٢٠١١) .

- و بالإجماع تم قبول جميع الفرضيات الصفرية المتعلقة بعدم تأثير المتغيرات الديمغرافية من جنس و سن وأقدمية وطبيعة النشاط الممارس على توجهات الإطارات الوسطى نحو المناخ التنظيمي في ظل الشراكة الإسبانية .

خاتمة :

لقد قمنا خلال د راستنا هذه بمحاولة الكشف عن مدى ملائمة المناخ التنظيمي السائد بمؤسسة فرتيال في ظل الشراكة الأجنبية لتطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة لدى هيئة الإطارات الوسطى.

و بعد إتباع كل الخطوات المنهجية توصلنا إلى النتائج التالية :

– المناخ التنظيمي السائد بمؤسسة **فرتيال** بعد الشراكة الأجنبية يتميز بالانفتاح ، و هي توفر مناخ تنظيمي ملائم للعمل على حد استجابات هيئة الإطارات الوسطى ، مع وجود اتجاهات إيجابية عامة تدل على أن المؤسسة تسهر على توفير جملة الخصائص التي تميز البيئة الداخلية للعمل .

– وجود تطبيق عال لمعايير إد ارة الجودة الشاملة بميدان الدراسة، لأن المؤسسة تحرص على الالتزام بهذه المعايير للحفاظ على شهادات الإيزو الممنوحة لها ، حيث تندرج هذه المعايير ضمن تلك الشهادات .

– و فيما يتعلق بمدى ملائمة المناخ التنظيمي لتطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة بمؤسسة فرتيال في ظل الشراكة الأجنبية ، و بعد القيام بالمعالجة الاحصائية تبن لنا ملائمة قوية حيث بلغ المتوسط الحسابي العام للمناخ التنظيمي ٣.٥٩ ، و المتوسط الحسابي الكلي لمعايير إدارة الجودة الشاملة يساوي ٣.٦٨ ، و هذا ما يوحي بأن ميدان الدراسة و في ظل الشراكة الإسبانية ي عمل على خلق مناخ تنظيمي مفتوح و ملائم لتحقيق إدارة جودة شاملة من أجل تحقيق الأهداف المتفق عليها خلال مدة عقد الشراكة .

– عدم وجود تأثير لكل من الجنس ، السن ، الأقدمية ، طبيعة النشاط ، على توجهات الإطارات الوسطى العاملة بمؤسسة **فرتيال** بكل من المديرية التقنية و مديرية الموارد البشرية نحو المناخ التنظيمي السائد و عليه تم قبول الفرضيات الصفرية الأربعة .

و من خلال ما سبق عرضه نستخلص أن المناخ التنظيمي السائد بمؤسسة **فرتيال** مناخ من النوع المفتوح ، الصحي ، و الإيجابي و الذي يساهم في تفعيل الأهداف التنظيمية للمؤس سة سواء كانت الخاصة بالشريك الإسباني أو بالمؤسسة ككل كفرع من فروع أقوى المؤسسات الجزائرية اقتصاديا و الداعمة للاقتصاد الوطني.

قائمة المراجع :

١– محمد عبد الجواد عمران ، **أثر المناخ التنظيمي على عملية التطوير الموارد البشرية ، دراسة مقارنة بالتطبيق على فطاع البنوك التجارية المصرية** ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الإدارة والتكنولوجيا الأكاديمية العربية للعلوم والتكنولوجيا ، ١٩٩٦ .

٢– محمد محمود الذنيبات ، **المناخ التنظيمي وأثره على أداء العاملين في أجهزة الرقابة المالية والإدارية في الأردن** ، الدراسات للعلوم الإدارية ، المجلد ٢٦ ، ١٩٩٩ .

٣– منار إبراهيم القطامنة ، **المناخ التنظيمي و أثره على السلوك الإبداعي** ، دراسة ميدانية للمشرفين الإداريين في الوزارات الأردنية ، رسالة ماجيستر غير منشورة ، الجامعة الأردنية ، ٢٠٠٠

٤/٥ – فتحي بوركبة ، سعيد العمري ، **المناخ التنظيمي و علاقته بالولاء التنظيمي** ، مذكرة لنيل شهادة الماستر ، غير منشورة ، ٢٠٠١.

٦– مراد بومنقار ، **المناخ التنظيمي و علاقته بالرضا الوظيفي** ، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه ، إشراف لوكيا الهاشمي ، قسم علم النفس جامعة منتوري، قسنطينة ، ٢٠١٠–٢٠١١ .

٧– سامية فرفار ، **التحول من النظام العمومي إلى النظام الشراكة الأجنبية و انعكاساته على العمل و العمال** ، رسالة ماجيستر غير منشورة ، جامعة الجزائر ، كلية العلوم الاجتماعية ، ٢٠٠٦ .

٨- عبد المجيد أونيس ، **الاستثمار الأجنبي في المؤسسات الصغيرة و المتوسطة واقع و آفاق** ، الملتقى الدولي متطلبات التأهيل للمؤسسات الصغرى والكبرى في الدول العربية ، جامعة التكوين المتواصل ، الجزائر ، ٢٠٠٦ .

٩- مفضي بن زعل الرويلي ، **اتجاهات القيادات الإدارية في البريد السعودي نحو تطبيق إدارة الجودة الكلية** ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة نايف للدراسات الأمنية ، الرياض ، ٢٠٠٢ .

١٠ – سالم سعود الرشيدي ، **أثر الأنماط القيادية على تطبيق إدارة الجودة الشاملة في القطاع الحكومي في المملك ة العربية السعودية** ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الأردنية ، عمان ، ٢٠٠٤ .

١١- Paul Frise,**Quality management as a systematic management philosophy for use in nonprofit organization** , PHD Thesis ,USA , 2004.

١٢-Elmaimani Bassam , **Factors leading to successful application of improvement tools for quality management** , PHD Thesis , USA , 2004 .

١٣-Marker Budgol ,**The implementation An Action Orientation** , pcific Grove California , USA , Brooks, Cole Publishing , 2005 .

١٤- نبيلة كحيلة ، **تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات الصحية** ، رسالة ماجستير ، إشراف بوخمخم عبد الفتاح ، قسم تسيير الموارد البشرية ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، ٢٠٠٨ – ٢٠٠٩ .

المناخ التنظيمي في ظل الشراكة الأجنبية وعلاقته بالأمن النفسي

أ.رانية هادف/ جامعة باجي مختار ،عنابة، الجزائ

ملخص :

يندرج هذا المقال ضمن محاولة نظرية و عملية حول طبيعة المناخ التنظيمي السائد بمنظمة فرتيال في ظل الشراكة الأجنبية و علاقته بالأ من النفسي لدى هيئة الإطارات الوسطى،كون المناخ التنظيمي يعتبر من أهم المتغيرات التنظيمية التي تعمل على نجاح المنظمات لت أثيره المباشر على سلوكيات العاملين واتجاهاتهم كونهم أساس العملية الإنتاجية والثروة الحقيقية للعمليات التنظيمية كالتوظيف و التخطيط و الرقابة و الاستقطاب...الخ.

لذلك فقد انصب اهتمام العديد من الباحثين في السلوك التنظيمي و الإدارة على قيمة هذا المورد وطرق المحافظة عليه وآليات تحقيق أمنه النفسي كمطلب أساسي و حاجة لا بد منها، و خاصة في زمن التحولات و المتغيرات العاصفة التي مست العديد من الإدارات الجزائرية .

و على هذا الأساس تأتي دراستنا للتعرف على طبيعة العلاقة القائمة بين نوع المناخ التنظيمي السائد في منظمة فرتيال في ظل الشراكة الأجنبية و مستوى الأمن النفسي من وجهة نظر هيئة الإطارات الوسطى.

الكلمات المفتاحية: المناخ التنظيمي ،الشراكة الأجنبية ،الأمن النفسي ،هيئة القيادة الوسطى.

Résumé :

Cet article est rédigé dans lecontexte d'essaye théoriqu pratique d'étudier la nature de l'environnement systématique qui existe dan s la socié e et té « **fertiel** », sous l'association étrangère et sa relation avec la sécurité psychique de l'organisation des cadres moyens, Parce que cet environnement est l'un des variables systématiques importants, qu'il fait partie de la réussite des organisations, dû à son influence directe sur le comportement des employés et leurs directions, en tant qu'ils sont la base d'opération productive, et le vrais trésor des opérations systématiques comme l'emploi, l'organisation, la surveillance et la polarité…

Pour cela pas mal de chercheurs ont récemment intéressées par le comportement systématique et l'administration que la valeur de cette source, les moyens de son protection, et les mécanismes de la création de sa sécurité psychique, comme une demande fondamentale, et un besoin essentiel, surtout dans le moment des changements et transitions qui touchent autant des administrations algériens.

Dans ce cadre nous avons rédigées cette étude pour démontrer la nature de relation qui existe entre le genre de l'environnement systématique qui existe dans l'organisation de « **fertial** » après le partenariat étrangère et le niveau de sécurité psychique de point de vue d'organisation des cadres moyen.

مقدمة:

عرفت المجتمعات في العقود الراهنة عدة تطورات في مختلف نواحي الحياة، تمثلت هذه التطورات في النمو الاقتصادي السريع والتطور التكنولوجي الهائل ودخول العديد من الدول النامية مرحلة التصنيع واعتماد أسلوب التنمية والتطوير نحو مستقبل أفضل وهذه الأخيرة ساهمت على خلق نوع من المنافسة والتحدي بين منظمات العمل بمختلف نشاطاتها لمسايرة مستجدات العصر وخاصة في ضوء الاستثمارات الأجنبية التي انتهجتها العديد من الدول بعد توجهها نحو اقتصاد السوق الحر وهذا نتيجة للتدهور الاقتصادي والاجتماعي الذي خلفه الاستعمار ووقعه ا لسلبي على مختلف القطاعات الحيوية من أجل مواكبة متطلبات التنمية خاصة مع تزايد حاجيات السوق العالمية والمحلية مما استوجب على منظمات العمل البحث عن إدارة تهجر التقليد وتتعامل مع التغيير وما يحمله من استعداد للتكيف مع أحداثه والعمل على تهيئة مناخ يتلاءم مع متط لبات العاملين وتوجهاتهم وقيمهم في بيئة عمل يسودها الأمن والاستقرار ويخلو من كل أشكال الضغوطات النفسية والأمراض السيكوسوماتية من قلق واكتئاب حفاظا على الصحة النفسية والجسدية للمورد البشري كونه أساس العملية الإنتاجية وحجر الزاوية لفعالية أية منظمة ، لذا أصبح من الضروري الاهتمام بالمناخ التنظيمي الذي يعمل فيه الفرد بما يحقق له التوافق النفس مهني داخل محيط عمله .

وتأتي دراستنا هذه كمحاولة علمية وعملية تحاول من خلالها الباحثة التقصي عن طبيعة المناخ التنظيمي السائد بمنظمة جزائرية تتخذ من الشراكة الأجنبية نهجا لها في تسييرها لمختلف مواردها "منظمة فرتيال –عنابة–كعينة بحث" وعلاقته بمستوى الأمن النفسي حسب توجهات إطاراتها الوسطى ،وحسب الإجراءات والخطوات النظرية والمنهجية التي اقتضتها هذه الدراسة فقد خلصت نتائجها إلى ما يلي :

- المناخ التنظيمي السائد في منظمة فرتيال في ظل الشراكة الأجنبية مناخ مفتوح .
- وجود مستوى مقبول من الأمن النفسي والطمأنينة لدى هيئة الإطارات الوسطى في بيئة عملهم.
- وجود علاقة موجبة متوسطة بين المناخ التنظيمي ومستوى الأمن النفسي السائد في منظمة البحث.

١ – الإشكالية:

إن نجاح أي مؤ سسة عامة كانت أم خاصة تعتمد اعتمادا كبيرا على فاعلية العنصر البشري ومستوى أدائه للعمل المنوط به، و تتوقف هده الفعالية على مهارة العاملين و رضاهم عن العمل وذلك من خلال توفير بيئة عمل مشجعة ومحفزة هذا ما يصطلح عليه "بالمناخ التنظيمي "، ولكن مع التغيرات المتلا حقة التي يشهدها العا لم في شتى نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية افرز ظهور عوامل جديدة في بيئات العمل تتجلى في مظاهر عدم الأمن النفسي وعدم الاطمئنان و السكينة .نتيجة للضغوطات الناتجة عن متغيرات الحياة و تأثيرها السلبي على سلوكيات العاملين والتي كثيرا ما تتمظهر في القلق والتوتر، والاكتئاب النفسي، والتمرد، والصراعات الداخلية ين الفرد ونفسه، وبين الفرد والآخرين ... وغيرها من المظاهر التي تدل في مجملها على انخفاض معدل الإحساس بالأمن النفسي لدى أولئك الأشخاص، ومن تم أصبح من الضروري دراسة الحالة النفسية للعاملين بمختلف مستوياتهم وأعمارهم خاصة في ظل التطورات الحالية والميزة التنافسية والسباق المستمر الذي يميز المنظمات وخاصة تلك التي اتخذت من الشراكة الأجنبية نهجا لتسيير مواردها والاهتمام به كمورد بشري له حاجات تولد وتنمو و تتطور لهذا فدراسة المناخ التن ظيمي أصبح في وقتنا الراهن حتمية ضرورية تقتضيها العملية الإنتاجية من اجل المحافظة على البقاء والاستمرارية .

وعلى هذا الأساس جاءت مشكلة دراستنا كما يلي:

هل توجد علاقة بين المناخ التنظيمي السائد في ظل الشراكة الأجنبية و مستوى الأمن النفسي لدى هيئة الإطارات الوسطى؟

وتندرج تحت غطاء هدا التساؤل أسئلة فرعية تتمثل فيما يلي:

١–ما طبيعة المناخ التنظيمي السائد بمنظمة فرتيال و الأمن في ظل الشراكة الأجنبية؟

٢–ما مستوى الأمن النفسي في منظمة فرتيال في ظل الشراكة الأجنبية ؟

٣–هل هناك علاقة بين اتجاهات الإطارات الوسطى نح و أبعاد المناخ التنظيمي المتمثلة في "نمط القيادة، الحوافز، الاتصالات، البرامج التدريبية" و مستوى الأمن النفسي في ظل الشراكة الأجنبية؟

٢ – فرضيات الدراسة:

تنطلق هذه الدراسة من الفرضية العامة التالية:

توجد علاقة بين المناخ التنظيمي السائد في ظل الشراكة الأجنب ية و مستوى الأمن النفسي لدى هيئة الإطارات الوسطى.

وتندرج تحت طياتها الفرضيات الجزئية الآتية:

– هناك اتجاهات إيجابية للإطارات الوسطى نحو المناخ التنظيمي السائد بمنظمة فرتيال في ظل الشراكة الأجنبية.

– هيئة الإطارات الوسطى تتمتع بدرجة عالية من الأمن النفسري بمنظمة فرتيال في ظل الشراكة الأجنبية.

– توجد علاقة إرتباطية ايجابية لد ى الهيئة الوسطى نحو المناخ التنظيمي والأمن النفسي من خلال المتغيرات التالية:

–نمط القيادة. – نظام الحوافز. – الاتصال التنظيمي. –البرامج التدريبية.

٣– أهمية الدراسة:

– إن موضوع المناخ التنظيمي و علاقته بالأمن النفسي له أهمية كبيرة بالنسبة للمنظمة والعاملين على حد سواء وتتمثل هذه الأهمية فيما يلي:

– التعرف على ماهية المناخ التنظيمي السائد بمنظمة فرتيال و خصائصه و أبعاده و نوعه و تحليل علاقته بمستوى الأمن النفسي، يساهم في إثراء المعرفة العلمية لدى مسؤولي المنظمة على اختلاف مستوياتهم،ويزودهم بمقومات تحليل وتشخيص هذا المناخ ، و معرفة أهم العراقيل التي تتصدر هاجس الأمن النفسي للعاملين، و البحث عن الحلول المناسبة لها و هذا ما يضمن نجاح المنظمة و فعاليتها.

٤– أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة لتحقيق الأهداف التالية:

–التعرف على طبيعة المناخ التنظيمي السائد بالمنظمة مجال البحث و خاصة فيما يتعلق بالأبعاد التالية:

نمط القيادة، اتخاذ القرارات، نظام الحوافز، التدريب، الاتصال التنظيمي.

– الوقوف على انعكاسات الايجابية و السلبية للشراكة الاسبانية و أثارها على ثقافة و سلوكيات العاملين.

– إبراز العلاقة بين المناخ التنظيمي السائد و بين مستوى الأمن النفسي لدى هيئة الإطارات الوسطى.

– مفهوم المناخ التنظيمي:

ليس ثمة اتفاق بين العلماء لتحديد مفهوم واحد للمناخ التنظيمي، والسبب راجع إلى اختلاف وجهاتهم و المجال الذي يبحثون فيه، فكلمة مناخ تعبير مجازي يتعلق بالبيئة و الطبيعة الجغرافية ... وعندما يستخدم في الإدارة فالمناخ

التنظيمي هو حصيلة لكل العوامل البيئية الداخلية كما يفسرها و يحللها العاملون فيها والتي تظهر تأثيرها على سلوكهم و معنوياتهم و بالتالي على أداءهم و انتمائهم للمنظمة التي يعملون فيها[٢١].

و يشير أيضا إلى القيم و العادات، و التقاليد، و الإيديولوجيات، و الأذواق و الطبقات الاجتماعية وتأثيرها على العملية الإدارية و سلوك العاملين في التنظيم.[٢٢]

–و هو أيضا يبرز الاهتمام بقضايا القوى العاملة و العناية به ا عن طريق تطوير الأساليب والمناهج وحسن استخدام تلك القوى و توظيفها بما يحقق أهداف التنظيم[٢٣].

ويرى المغربي (١٩٩٥) أن المناخ التنظيمي يمثل الخصائص التي تميز بيئة المنظمة الداخلية والتي يعمل الفرد من خلالها فتؤثر على قيمه واتجاهاته وآرائه [٢٤].

–أبعاد المناخ التنظيمي:

تختلف أبعاد المناخ التنظيمي باختلاف بيئة العمل للمنظمات سواء كانت منظمات خدمية أو صناعية ،عامة أو خاصة ومن أجل تحقيق أغراض الدراسة فقد عمدت الباحثة إلى تحديد ستة أبعاد في مجملها تعبر عن مكونات المناخ التنظيمي وتكمن في :نمط القيادة –نمط الاتصال –المشاركة في اتخاذ القرارات –التدريب–نظام الحوافز.

ا) نمط القيادة:

تعرف القيادة عادة على أنها عملية تأثير على نشاطات الجماعة لتحقيق الأهداف المرسومة [٢٥].

---

[٢١].الكبيسي عامر بن خضير ، **التطوير التنظيمي و قضايا معاصرة** ، التنظيم الإداري الحكومي التقليد و المعاصرة ، مطابع دار الشرق ، الدوحة ج ٤، ط١ ، **١٩٩٨** ، ص ٢٤ .

[٢٢]. كامل المغربي ، **السلوك التنظيمي ، مفاهيم و أسس سلوك الفرد و الجماعة في التنظيم** ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، عمان . الأردن، **١٩٩٤** ، ص ٣٠٣

[٢٣]. على السلمي ، **تطور الفكر التنظيمي** ، القاهرة ، دار غريب للطباعة والنشر ، **١٩٩١**، ص ٤١ .

كامل المغربي ،مرجع سابق ،ص ٣٠٣.

[٢٤]. بشير العلاق ، **القيادة الإارية** ، دار اليازوري العلمية للنشر و التوزيع ، الأردن ، عمان . **٢٠١٠**. ص ١٣ .

[٢٥]. لوكيا الهاشمي ، جابر نصر الدين ، **مفاهيم أساسية في علم النفس الاجتماعي** ، ط ٢ ، مخبر التطبيقات النفسية و التربية ، جامعة منتوري . قسنطينة ، **٢٠٠٦** ، ص ١٥١.

و القيادة جاءت من الفعل قاد الذي يعني أيضا وجه و يسر و تصدر المقدمة[٢٦].

فمن خلال القيادة يتمكن الفرد من يوج ه و يرشد و يؤثر و يضبط أفكار و شعور أشخاص آخرين [٢٧]، والنمط القيادي المتبع في المنظمة من العناصر الأساسية لنجاح الإدارة وفعاليتها ، فالقيادة بمثابة القلب النابض للعملية الإدارية وهي لا تقتصر على إصدار الأوامر والتعليمات للمرؤوسين وفقط بل تعدى ذلك إلى تحفيز اله مم ورفع الروح المعنوية لدى العاملين وإقامة جسور التواصل والعلاقات الإنسانية المتبادلة بين القائد والعاملين في المنظمة من أجل تحقيق الأهداف المنشودة.

لذا ترى الباحثة أن النمط القيادي للمدير له دور في تحديد طبيعة المناخ التنظيمي،فالقائد الأوتوقراطي يحد م ن مبادرة العاملين ويمنعهم من المشاركة في اتخاذ القرارات حيث يكون المدير متعصباً لرأيه وينزع إلى التفرد به في مختلف العمليات الإدارية ،مما يجعل المناخ التنظيمي يتجه نحو السلبية في حين أن القائد الديمقراطي يؤمن بأهمية العلاقات الإنسانية داخل المنظمة ويتيح للعاملين فرصة المشاركة في اتخاذ القرارات مما يتولد عنه خلق أجواء إيجابية يشعر فيها الأفراد بالأمن والراحة النفسية والانتماء للمنظمة.

ب/نمط الاتصال:

الاتصال هو عملية يقصد مصدر نوعي بواسطتها أثاره استجابة نوعية لدى مستقبل نوعي [٢٨]، والاتصال الفعال هو الاتصال ذو الاتجاهين (النازل و الصاعد) الذي يتيح للعاملين فرص إبداء الرأي وتبادل الأفكار والمعلومات وعلى العكس من ذلك الاتصال ذو الاتجاه الواحد (النازل) الذي يحمل الأوامر و التعليمات من أعلى إلى أسفل ويؤدي بالفرد إلى الخمول في التفكير باعتبارات أفكاره و آراءه لا قيمة لها لدى الرؤساء .ومما لاشك فيه أنه لا يمكن إغفال سياسة الاتصالات في تحديد مدى درجة الايجابية أو السلبية للمناخ التنظيمي مع مختلف الفعاليات البيئية وبالتالي يحقق الاستجابة لمتطلبات البيئة المتغيرة ،أما غياب قنوات الاتصال الفعال بين الرؤساء والمرؤوسين وم ا يترتب عليها من غياب أسس الموضوعية في التعامل مع العاملين وعدم ترسيخ علاقة مبنية على الثقة والتقدير ،كل ذلك يؤدي إلى أثر سلبي يخلق مشاعر القلق والإحباط للعاملين ويقلل من إنتاجيتهم وإبداعهم بعكس استخدام أنواع ووسائل متعددة من الاتصالات ذات الكفاءة والجودة العالية والتي بذاتها ترفع من كفاءة العامل وفعاليته وتنمي روح التعاون

---

[٢٦]. أحمد محمد الزعبي ، **أسس علم النفس الاجتماعي** ، دار الحكمة اليمانية، **١٩٩٤**، ص٢١ .

[٢٧]. أبو نجا محمد العمري، **الاتصال في الخدمة الاجتماعية**، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٧٦، ص٢١.

[٢٨].أحمد إبراهيم، **الجوانب السلوكية في الإدارة المدرسية**، دار المفلح العربي، القاهرة، **٢٠٠٠**، ص١٨٠.

والتقارب بين العاملين ،ولهذا البعد أهميته للنظر في مشكلات المستويات التنظيمية المختلفة والاهتمام بالمعلومات المقدمة من المرؤوسين وذلك لتحقيق نظم الانفتاح والانسياب الذي يحقق كفاءة نظام الاتصالات.

ج/المشاركة في اتخاذ القرارات:

يمثل الاهتمام بسياسة اتخاذ القرارات جانبا حيويا في تكوين البناء التنظيمي لأهميته في تطوير المنظمات وتأكيد استمرارية نجاحها، وتطوير دافعية الأفراد لممارسة سلوكيات إبداعية لتعزيز قدرات المنظمات على مواكبة عجلة ال نمو والتطور المستمر ،ويختلف الحال فيما إذا كان نمط اتخاذ القرار تسلطي أو مركزي بما يؤدي إلى تكوين مناخ تنظيمي غير صحي بحيث يحد من مبادرات العاملين ومساهمتهم في التعامل مع المشكلات الإدارية ويقلل من روح التنافس. ونخلص من ذلك إلى أن الحرمان من المشاركة في اتخ اذ القرارات يؤدي إلى تكوين تصورات سلبية للمناخ التنظيمي تفتقر لدفء العلاقات والاتصالات الإنسانية وضعف هممهم في التقصي عن أسباب المشكلات التي تواجهها المنظمة ،ناهيك على أنه يهدد الطاقات التي تبتدع البدائل الملية والعلمية لحلها.

د/التدريب:

وهو أن يشعر الفرد بأن الإدارة تحرص عليه و تتمسك به لكفاءته، و ذلك عن طريق تدريبه المتكرر على ما هو جديد أو ضروري، الأمر الذي يزيد من ثقته بنفسه و بمنظمته[٢٩]

وينصرف مفهوم التدريب إلى كونه الوسيلة التي من خلالها يتم اكتساب الأفراد العاملين المعارف والأفكار الضرورية لمزاولة العمل والقدرة على استخدام وسائل جديدة بأسلوب فعال أو استخدام نفس الوسائل بطرق أكثر كفاءة مما يؤدي إلى تغيير سلوك واتجاهات الأفراد في التصرفات نحو الأفراد والأشياء والمواقف بطريقة جديدة مما جعل العديد من المنظمات تعيد النظر ببرامجها التدريبية لغرض تحقيق العديد من المزايا.

ويهدف التدريب إلى بناء الإنسان، وجعله أكثر قدرة على العطاء عن طريق تزويده بإمكانيات خاصة وقدرات جديدة، تيسر له سبل التأقلم والتجاوب مع متطلبات عمله وتحقيق معدلات الأداء المحددة، وتنمي القدرات الفكرية، والتي تساعده على استخدام جميع طاقاته، ومع ذلك فان للتدريب حدودا، أو جدوى معينة، لا يتعداها فهو لا يمكن أن يعالج، إلا بمقدار المشكلات الناشئة عن سوء التنظيم، أو عنة طريق سوء الاختيار، كما أن التدريب لا يوجد الفرد

[٢٩]. محمد الصيرفي، **السلوك التنظيمي**، حورس للنشر و التوزيع، الإسكندرية، **٢٠٠٥**، ص٣٣٣.

الذكي أو يزوده بالمواهب والاستعدادات وإنما يساعده على أن يصقل مواهبه العامة ويبرز ويقدم الفرص للتعليم، شريطة توفر الرغبة، أساسا لدى الفرد للتزود بالمعرفة.

وعلى هدا فان التدريب يهدف إذا أحسن رسم سياسته ووضع برامجه وتحديد احتياجاته إلى تكوين مناخ تنظيم ملائم للأداء.

و/ نظام الحوافز:

إن تبني المنظمة لنظام عادل من الحوافز سواء كا نت مادية أو معنوية بطريقة مرضية من شأنه أن يساهم في رفع معنويات العاملين و يدفعهم إلى بذل مجهود أكثر و تحقيق الولاء للمنظمة [٣٠]،وأن نظام الحوافز التي تضعها إدارة المنظمة تعتبر من عناصر المناخ التنظيمي الهامة ،وتشتمل أنظمة الحوافز المادية والتي تشتمل على الروا تب والأجور والمكافآت والمشاركة بالأرباح ،أما الحوافز المعنوية فتتضمن المديح والشكر والتقدير والشعور بالاستقرار الوظيفي، وأن وجود أنظمة حوافز جيدة تشعر العاملين بأهميتهم وبوضوح أهدافهم ،كما أن تطبيق أنظمة الحوافز الجيدة يحتاج إلى إدارة يمكن لها من استخدام هذه الحوافز بشقيها الايجابية والتي عن طريق تقديمها لمستحقيها المجدين في تحقيق الأعمال التي يكلفون بها ،وأن وجود إدارة كفيلة على استخدام الحوافز بشقيها الايجابي والسلبي يعمل على إحساس العاملين بوجود مناخ تنظيمي صحي وايجابي يدفعهم للعمل وتنفيذ كل ما يصدر عن الإدارة[٣١].

- **ثانيا: مفهوم الشراكة:**

تعتبر الشراكة الأجنبية من أهم المواضيع التي عرفتها التطورات الاقتصادية المعاصرة ،حيث وضعت هذه المعطيات أسس ومبادئ التعاون والاتحاد في مجالات عدة ،لذا فإن بروز مفهوم الشراكة الأجنبية أتى مصاحبا لهذه التغيرات إذ مع بداية القرن العشرين انتهجت الدول سياسات واستراتيجيات جديدة للتعاون نجد من بينها إستراتيجية الشراكة كشكل من أشكال التعاون المستمر بين طرفين أو أكثر .لكن السؤال الذي يطرح نفسه ما المقصود بالشراكة الأجنبية ؟ وما هي أهدافها وخاصة في منظمة البحث "فرتيال "بعنابة؟

---

[٣٠]. ،شاكر جار الله ،إياد فاضل التميمي :**العوامل المؤثرة في المناخ التنظيمي وعلاقتها بالابتكار، "دراسة استطلاعية في البنوك التجارية الأردنية"**،المجلة الأردنية للعلوم التطبيقية ،المجلد ٩،العدد الأول،٢٠٠٦،ص ٥٦.

[٣١]. محمد يعقوب، الأخضر عزي، **الشراكة الأورومتوسطية و أثرها على المؤسسة الاقتصادية** ، مجلة العلوم الإنسانية، العدد ١٤، أكتوبر **٢٠٠٤**، ص٢.

تعرف الشراكة على أنها إشراك طرف آخر أو أكثر من طرف محلي أو أجنبي للقيم بإنتاج سلع جديدة أو تنمية السوق أو نشاط إنتاجي أو خدمي آخر، سواء كانت المشاركة في رأس المال أو بالتكنولوجيا، فإن هذا يعتبر استثمار مشترك و هو من الاستثمارات الأكثر تمييزا من اتفاقيات أو تواخيص الإنتاج حيت يتيح للطرف الأجنبي المشاركة في إدارة المشروع[٣٢] .

– وتعرف أيضا بأنها اتفاقية يلتزم بمقتضاها شخصان طبيعيان أو معنويان أو أكثر على المساهمة في مشروع مشترك بتقديم حصة من عمل أو مال بهدف اقتسام الربح الذي ينتج عنها أو بلوغ هدف اقتصادي ذو منفعة مشتركة كاحتكار السوق أو رفع مستوى المبيعات [٣٣].

– أهمية الشراكة الأجنبية :

تكمن أهمية الشراكة الأجنبية في سعيها إلى تحقيق عدة مزايا للدول المعنية على المدى الطويل وذلك من خلال إنشاء مناطق للتبادل الحر بهدف تقريب المستويات المختلة لتنمو بين الأطراف الداخلة في الشراكة، و مع مرور الوقت و تحرير التجارة فإن ذلك يؤدي إلى تخصيص عوامل الإنتاج للقطاعات التي يملك فيها كل بلد ميزة تنافسية، تعد الشراكة وسيلة من وسائل استقطاب رؤوس الأموال الأجنبية و إحدى قنوات نقل المعرفة التكنولوجية وتحويل المعارف والمهارات والخبرات من بلد متقدم إلى بلد متخلف أو نامي.

كما تساهم في تحسين حالة ميزان المدفوعات من خلال تضييق الفجوة بين الصادرات والواردات [٣٤].

- **صيغ الشراكة الأجنبية:**

-يمكن استعراض أهم صيغ الشراكة فيما يلي:

١– الشراكة التجارية:

تتجسد هذه الشراكة في المؤسسات المتوسطة والصغيرة، و هذه الشراكة هي عبارة عن علاقة بين الممون والمنتج من جهة و علاقة تجارية بين المنتج و الزبون من جهة أخرى.

---

[٣٢]. معين أمين السيد، **مفهوم الشراكة و آلياتها**، ندوة خاصة بالشراكة الأجنبية، الملتقى الثمن، كلية العلوم الإنسانية ، الجزائر، ماي **١٩٩٩**، ص٧.

[٣٣]. بوعزيز ناصر، **الشراكة الأورومتوسطية و المؤسسة الاقتصادية الجزائرية**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، إشراف لزعر علي، تخصص اقتصاد المعرفة و العولمة، جامعة باجي مختار، عنابة ٢٠٠٦، ص١٧.

[٣٤]Bruno PONSON : **une typologie des partenariats nord sud IN**, Van CHAN, B. PONSON et G HIRCH, partenariats des entreprises et modélisation, Pari : ed KARTHALAUF, **1999**, page 6.

٢– الشراكة الصناعية:

تتعلق بكافة أنواع التعاون بين مؤسستين أو أكثر، سواء من نفس الجنسية أو من جنسيات مختلفة حيث كل منظمة تشارك بنسبها في إنتاج سلعة ما بجزء من رأس المال و العمل والكفاءة.

٢ –الشراكة المالية:

يعد هذا النوع من الشراكة انتشارا و أكثرها ملائمة، و الأحسن تجسيد الشراكة بالمعنى و هي تتجسد من خلال عدة صيغ[٣٥]:

٣–١– الشراكة المتساوية أو غير المتساوية:

في هذا النوع من الشراكة يمكن للمؤسسة و للدول أن ت شترك مع خواص محللين أو أجانب حيث تكون نسبة المشاركة في رأس المال المستثمر غير متساوية، و من أهم الدوافع لإنشاء هذه الشركات :

- التهرب من القيود و العوائق.
- اقتسام الأعباء و الأخطار.
- التعرف على الشبكات التجارية العالمية.– إمكانيات دخول أسواق جديدة التي يصعب دخولها بصفة فردية.
- و تندرج الشراكة الجزائرية الإسبانية في منظمة فرتيال ضمن هذا النوع من الصيغ، حيث تقدر نسبة المساهمة الجزائرية بـ ٣٤% ما يعادل ربع الربح، فيما تقدر المساهمة الإسبانية بنسبة ٦٦% ؛ ما يعادل ثلاث أرباع الربح، وهذا حسب الاتفاقية المنصوص عليها بين الطرفين.

ثالثا/ الأمن النفسي:

لقد اهتم العديد من علماء النفس بدراسة دوافع السلوك الإنساني من بينها "دافع الأمن" ومن أشهر هؤلاء الباحثين **أبراهام ماسلو** الذي قسم تلك الدوافع و جعلها في شكل هرمي قاعدته الأساسية تتمثل في الحاجات الفسيولوجية ، تليها مباشرة الحاجة إلى الآمن، ثم الحاجة إلى الحب والحاجة إلى تقدير الذات، ثم الحاجة إلى تحقيق الذات، ولقد أشار **"إريكسون** " إلى الحاجة إلى الأمن هي أول الدوافع النفسية الاجتماعية التي تحرك السلوك

[٣٥]. محمد جبر،**القيادة الإدارية و علاقتها بالأمن النفسي للعاملين**، مجلة بحوث كلية التربية، جامعة المنوفية، العدد١٢، **١٩٩٦**، ص٨١.

الإنساني و توجهه نحو غايته ، و إذا اخفق الفرد في تحقيق حاجته إلى ا لأمن فإن ذلك يؤدي إلى عدم القدرة على التحرك والتوجه نحو تحقيق الأمن، و الفشل في تحقيق الذات قد يؤدي إلى اليأس[٣٦].

ويعرف **ماسلو** الأمن النفسي بأنه شعور الفرد بأنه محبوب و متقبل من الآخرين، له مكانته بينهم يدرك أن بيئته صديقة ودودة غير محبطة يشعر فيها بنذره بالخطر والتهديد و القلق[٣٧].

و يقال للأمن النفسي أيضا الأمن الانفعالي، الأمن الشخصي، الأمن الخاص[٣٨].

– تعريف الأمن النفسي من منظور إسلامي:

هو شعور الإنسان بالطمأنينة على نفسه، و ماله، و عرضه، و عقله، و دينه.

– يتضمن الأمن النفسي جوانب متعددة تتمثل فيما يلي [٣٩]:

١– الجوانب النفسية:

- يعبر عنها في مدى تمتع الفرد بالصحة النفسية.

٢– الجوانب الفلسفية:

- قائمة على فلسفة و توجهات الفرد في حياته.

٣ – الجوانب الاجتماعية:

- تتمثل في علاقة الفرد بمجتمعه.

٤– الجوانب الإنسانية:

باعتبار الأمن النفسي سمة إنسانية لها تأثيرها الإيجابي في حياة الفرد.

– العلاقة المحتملة بين المناخ التنظيمي و الأمن النفسي:

تبرز الحاجة إلى الأمن النفسي من منطلق أن الإنسان يحتاج إلى العيش في سلام بعيد عن كل أشكال التهديد و التوتر والقلق و رغبة الشعور بالحب و التقدير من قبل زملائه و رؤسائه في العمل ، وتلك الأمور تساعد على تحقيق الأمن والاستقرار النفسي الذين يؤديان إلى الإبداع والابتكار في كل مجالات العمل.

---

[٣٦]. حامد عبد السلام زهران، **الصحة النفسية و العلاج النفسي**، جامعة عين شمس، القاهرة، ط٢، ١٩٩٥، ص٢٩٦.

[٣٧]. حامد زهران، المرجع نفسه، ص٢٩٧.

[٣٨]. علي سعد، **مستويات الأمن النفسي لدى الشباب الجامعي**، مجلة جامعة دمشق، المجلد١٥، العدد الأول، **١٩٩٩**، ص١١٥.

[٣٩]. عمار بوحوش، **دليل الباحث في المنهجية و كتابة الرسائل الجامعية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الطبعة الثالثة، الجزائر، **١٩٩٠**، ص٢٠.

فالموظف المخلص في عمله في حاجة إلى من يشكره و يقدر له جهده و إخلاصه، و يشجعه على الاستمرار، مما يشعره بالتفاؤل في المقابل فإن الموظف الذي يعيش في عزلة عن زملائه ورؤسائه فإنه يكون غير متوافق نفسيا وبالتالي يؤثر على أدائه في عمله، الأمر الذي يجعله يشعر بالتشاؤم.

و من ثم فإن وجود درجة عالية من الطمأ نينة النفسية و الأمن النفسي في بيئة العمل قد ترسخ إيجابا بتوافقه فيها .

ومنه يمكن تلخيص العلاقة المحتملة بين المناخ التنظيمي و الأمن النفسي و خاصة في تلك البيئات التي يسودها جو الاستثمارات الأجنبية في النقاط التالية :

– توفر السياق النفسي الاجتماعي الذي يشعر فيه الموظف بالأمن و الاطمئنان، ويجد أثناء عمله الاحترام والتقدير والمساواة في المعاملة.

– وجود نشاط إ داري في العمل يحدد فيه اختصاصات ومسؤوليات كل موظف ويمنحه عددا من الصلاحيات والسلطات مما يمكنه من القيام بمسؤولياته وواجباته ، و يتيح له حرية الاتصال مع من هو أعلى منه ، وكذلك حرية التصرف لتمنحه فرصة تأكيد ذاته .

– وجود راتب لائق يتماشى مع تكاليف الحياة و متطلباتها المتزايدة باستمرار. و مع الجهد المبذول في العمل . ووجود سياسة عادلة في الترقية و نظام المكافآت و الحوافز .

– إتاحة الفرصة لتحسين مستواه العلمي و الوظيفي و ذلك عن طريق الالتحاق بالدورات التدريبية .

منهج الدراسة :

يعتبر المنهج الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسة المشكلة و ذلك لاكتشاف الحقيقة ،و يتوقف اختيار نوع المنهج الذي يمكن استخدامه في معالجة تغيرات أي بحث على طبيعة وأهداف المشكلة التي يعالجها، وعلى الإمكانيات المتاحة في جميع المعلومات، وانطلاقا من كون هذه الدراسة ذات طبيعة ترابطية تهدف للكشف عن العلاقة بين طبيعة المناخ التنظيمي والأمن النفسي في ظل الشراكة الأجنبية فقد اعتمادنا على تطبيق الأسلوب **الوصفي التحليلي** باعتباره أكثر ملائمة لهذا النوع من الدراسات .

–عينة الدراسة :

يمثل مجتمع بحثنا جميع الإطارات الوسطى العاملين بمؤسسة أسميدال " فرع **فرتيال بعنابة** "، وذلك طبعا بعد استبعاد العينة التي أجريت عليها قياس تباث الأداة و المتكونة من ١٠ إطارات وعليه قدّرت عينة البحث ب : ٥٠ عاملا من الإطارات الوسطى .

- أدوات جمع البيانات:

لقياس أبعاد المناخ التنظيمي السائد بميدان الدراسة تم بناء استبيان يمثل ٣٦ بندا [عرضا] استخدمت فيها الباحثة سلما وصفيا متدرجا مكونا من خمسة مستويات حسب سلم ليكارت الخماسيَ، و ذلك باختيار واحد من البدائل التالية {موافق بشدة، موافق، محايد، غير موافق بشدة }، وتم إعطاء هذه المستويات الأوزان التالية على الترتيب [١،٢،٣،٤،٥] .

ولمعرفة مستوى الأمن النفس لدى عينة البحث [هيئة الإطارات الوسطى] تم الاعتماد على **مقياس الأمن النفسي**، حيث يعد هذا المقياس أحد مقاييس الصحة النفسية المعروفة باسم مقياس الطمأنينة النفسية، الذي قام بإعداده كل من **فهد الدليم، فاروق عبد السلام**، يتكون من ٢٠ بندا، يعرض على كل بند حالتين على الفرد أن يختار منهما التي يرى إنها تناسب حالته أكثر .

الأساليب الإحصائية:

قد تم استخدام الأساليب التالية :

١.الأسلوب الكمي و الذي يعتمد على:

- النسب المئوية .
- مربع كا .
- معامل بيرسون ومعامل ألفا كرونباخ لقياس ثبات الاستمارة.

٢. الأسلوب الكيفي:

يتمثل في معالجة البيانات و تحليلها تحليلا كيفيا و وصفيا.

تحليل نتائج الدراسة و مناقشتها:

- بعد إتباع كل الخطوات البحثية و حين تفريغ و تبويب البيانات و استقرائها، توصلت هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

- وجود مناخ تنظيمي مفتوح تنظيمي مفتوح [مناخ الإنتاج]. هذا ما تعكسه قيمة المتوسط الحسابي العام للمحاور الخمسة حيث بلغت ٣.٣٨ وهي فوق الحد الفاصل بين المناخ المفتوح والمناخ المغلق لصالح المناخ المفتوح.

- وجود مستوى مقبول من الأمن النفسي و الطمأنينة لدى هيئة الإطارات الوسطى، وهذا ما تعكسه قيمة المتوسط الحسابي العام المقدرة بـ ٣.٠٦، وهي أكبر من الحد الفاصل بين الأمن النفسي وعدمه.

-أما فيما يتعلق بالكشف عن علاقة المناخ التنظيمي بالأمن النفسي في ميدان الدراسة لدى هيئة الإطارات الوسطى، وبعد القيام بالمعالجة الإحصائية، تبين لنا وجود علاقة إرتباطية م توسطة حيث بلغت قيمة معامل الارتباط العام ب ٠.٦٠، وهذا ما يدل على أن منظمة فرتيال بعد الشراكة الإسبانية تجتهد على خلق مناخ تنظيمي ملائم لتحقيق مستوى عال من الأمن والصحة النفسية خال من كل أشكال التوتر و القلق ... و ذلك لبلوغ الأهداف المتفق عليها أثناء عهدة الشراكة وإنجاز مهامها على أحسن وجه، و بالتالي كسب رضا العامل من ناحية و ضمان فعالية الشراكة وإستمراريتها من جهة أخرى.

خاتمة :

من خلال معالجة هذا الموضوع و بعد إجراء دراسة نظرية و تطبيقية تم التوصل إلى فكرة في غاية الأهمية و تتمثل في أن المناخ التنظيمي لأي منظمة عامة كانت أم خاصة له تأثير كبير على الصحة النفسية للأفراد و هذا بدوره يزيد الإحساس والشعور بالطمأنينة و النجاح في إقامة علاقات مع الآخرين و التوافق النفسي و المهني و الانفتاح عن الآخرين و من تم على أدائهم لأعمالهم بعيدا عن كل أشكال التصلب وخاص ة في المنظمات ذات التسيير الأجنبي لمختلف مواردها التنظيمية.

قائمة المراجع :

١ الكبيسي عامر بن خضير ، **التطوير التنظيمي و قضايا معاصرة** ، التنظيم الإداري الحكومي التقليد و المعاصرة ، مطابع دار الشرق ، الدوحة ج٤ ، ط ١ ، **١٩٩٨** .

٢ كامل المغربي ، **السلوك التنظيمي** ، مفاهيم و أسس سلوك الفرد و الجماعة في التنظيم ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، عمان . الأردن ، **١٩٩٤** .

٣ على السلمي ، **تطور الفكر التنظيمي** ، القاهرة ، دار غريب للطباعة والنشر ، **١٩٩١**.

٤ بشير العلاق ، **القيادة الإدارية** ، دار اليازوري العلمية للنشر و التوزيع ، الأردن ، عمان . **٢٠١٠**.

٥ لوكيا الهاشمي ، جابر نصر الدين ، **مفاهيم أساسية في علم النفس الاجتماعي** ، ط ٢ ، مخبر التطبيقات النفسية و التربية ، جامعة منتوري . قسنطينة ، **٢٠٠٦** .

٦ أحمد محمد الزعبي ، **أسس علم النفس الاجتماعي** ، دار الحكمة اليمانية، **١٩٩٤**.

٧ أبو نجا محمد العمري، **الاتصال في الخدمة الاجتماعية**، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٧٦.

٨ أحمد إبراهيم، الجوانب السلوكية في الإدارة المدرسية، دار المفكر العربي، القاهرة، **٢٠٠٠**.

٩ محمد الصيرفي، **السلوك التنظيمي**، حورس للنشر و التوزيع، الإسكندرية، **٢٠٠٥**.

١٠ –شاكر جار الله ،إياد فاضل التميمي:**العوامل المؤثرة في المناخ التنظيمي وعلاقتها بالابتكار،"دراسة استطلاعية في البنوك التجارية الأردنية**"،المجلة الأردنية للعلوم التطبيقية ،الجلد ٩،العدد الأول،٢٠٠٦.

١١ محمد يعقوب، الأخضر عزي، **الشراكة الأورومتوسطية و أثرها على المؤسسة الاقتصادية**، مجلة العلوم الإنسانية، العدد ١٤، أكتوبر **٢٠٠٤**.

١٢ معين أمين السيد، **مفهوم الشراكة و آلياتها** ، ندوة خاصة بالشراكة الأجنبية، الملتقى الثمن، كلية العلوم الإنسانية ، الجزائر، ماي **١٩٩٩**.

١٣ بوعزيز ناصر، **الشراكة الأورومتوسطية و المؤسسة الاقتصادية الجزائرية** ، مذكرة لنيل شهادة المجستير، إشراف لزعر علي، تخصص اقتصاد المعرفة و العولمة، جامعة باجي مختار، عنابة ٢٠٠٦.

14- Bruno PONSON : une typologie des partenariats nord sud IN, Van CHAN, B. PONSON et G HIRCH, partenariats des entreprises et modélisation, Pari : ed KARTHALAUF, **1999**.

١٥ محمد جبر،**القيادة الإدارية و علاقتها بالأمن النفسي للعاملين**، مجلة بحوث كلية التربية، جامعة المنوفية، العدد١٢، **١٩٩٦**.

١٦ حامد عبد السلام زهران، **الصحة النفسية و العلاج النفسي**، جامعة عين شمس، القاهرة، ط، ١٩٩٥.

١٧ علي سعد، **مستويات الأمن النفسي لدى الشباب الجامعي**، مجلة جامعة دمشق، المجلد١٥، العدد الأول، **١٩٩٩**.

١٨ عمار بوحوش، **دليل الباحث في المنهجية و كتابة الرسائل الجامعية** ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الطبعة الثالثة، الجزائر، **١٩٩٠**.

علاقة الضغط المهني بالمساندة الاجتماعية لدى المرأة العاملة: دراسة ميدانية

د. نبيل بحري / أستاذ محاضر "أ" و أ. علي فارس/ أستاذ مساعد؛ جامعة الجزائر٢

ملخص:

تهدف الدراسة الحالية إلى الكشف عن طبيعة العلاقة بين الضغط المهني والمساندة الاجتماعية لدى المرأة العاملة في الجامعة على عينة قوامها (١٢٧) امرأة متزوجة وعازبة، ولجمع البيانات تم استخدام مقياس الضغط المهني الذي أعده **سليم نعامة وأنور جميل علي (٢٠١١)**، ومقياس المساندة الاجتماعية الذي صممه **السيد محمد أبو هشام (٢٠١٠)**، وبعد المعالجة الإحصائية أسفرت الدراسة على النتائج التالية:

٠١- وجود علاقة ارتباطية سالبة بين الضغط المهني والمساندة الاجتماعية لدى المرأة العاملة في الجامعة.

٠٢- وجود فروق في مستوى الضغط المهني لدى المرأة العاملة تبعاً لمتغير الحالة الاجتماعية

٠٣- وجود فروق في مستوى الضغط المهني لدى المرأة العاملة تبعاً لمتغير طبيعة العمل

٠٤- عدم وجود فروق في مستوى الضغط المهني لدى المرأة العاملة تبعاً لمتغير الأقدمية.

وقد فسرت النتائج في ضوء ما أسفر عنه التراث السيكولوجي والتربوي والدراسات السابقة في الموضوع، وتوجت الدراسة في الأخير بجملة من المقترحات.

الكلمات المفتاحية: الضغط المهني، المساندة الاجتماعية، المرأة العاملة.

مقدمة:

مما لاشك فيه أنَّ العمل يمثل محوراً أساسياً في حياة الإنسان، حيث يعد راحته النفسية والاجتماعية والاقتصادية، ومن خلاله يحقق الفرد مطالبه وحاجاته المتزايدة يوماً بعد يوم، وهذا ما جعله من أكثر المجالات المسببة للضغوط، لتعقده وزيادة متطلباته. ولقد أصبحت المرأة الجزائرية تمارس بل شك دوراً بارزاً وهاماً في مختلف ميادين العمل، إلا أنَّ الضغوط والعوامل المختلفة التي تمر بها جعلها تتعرض إلى الضغوط المهنية بمستويات مختلفة، الأمر الذي يؤدي إلى تدني انتاجيتها وعدم رغبتها في العمل، مما يؤثر سلباً على أداء المنظمة . وبالنظر إلى المرأة العربية بشكل عام والمرأة الجزائرية بشكل خاص، نجد أنَّ هناك العديد من الضغوط التي تؤثر عليها، والتي أدت بشكل أو بآخر إلى تعرضها إلى الضغوط المهنية.

ولقد احتل موضوع الضغط المهني مكاناً كبيراً لدى العلماء والباحثين في ميدان علم النفس وخاصة في مجال الصناعة والعمل، حيث اهتم الباحثون في مجال السلوك التنظيمي بموضوع الضغط المهني لما له من آثار سلبية على سلوك الأفراد والعاملين واتجاهاتهم نحو العمل . وبهذا يشكل العمل مصدراً للضغوط والتوترات التي يشعر بها العاملون على مختلف المستويات، كالشعور بالإرهاق أو الاحتراق النفسي وعدم التوازن الجسمي، الأمر الذي يستدعي من المنظمات الاهتمام بموضوع الضغط المهني والبحث عن الحلول والإجراءات الكفيلة للقضاء عليه أو التخفيف منه . ولعل من بين الاستراتيجيات التي تخفف من حدة ضغوط العمل ما يسمى بالمساندة الاجتماعية التي تعبر عن النظام الذي يتضمن مجموعة من الروابط والتفاعلات الاجتماعية مع الآخرين التي تعمل على مساعدة الفرد على حسن التكيف الشخصي والاجتماعي. وعلى هذا الأساس جاءت الدراسة الحالية لتفحص طبيعة العلاقة بين الضغط المهني والمساندة الاجتماعية لدى المرأة العاملة في الجامعة.

١ . إشكالية الدراسة:

نالت الضغوط بشكل عام اهتماماً واسعاً في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين، وظل هذا الاهتمام مستمراً حتى وقتنا الراهن، وتم ذلك مع تطور الحياة وزيادة المطالب التي دفعت بالمنظمات والمؤسسات إلى تنظيم أشكال العمل المختلفة، كما أنَّ تعدد مصادر الضغوط، قد يترك آثاراً سلبية في الفرد وفي المنظمة على حد سواء، مما يؤدي إلى انخفاض الإنتاجية وتدني مستوى الأداء الذي يعبر عن الفلسفة الاقتصادية للدولة . فأي مهنة تتعرض إلى مستوى معين من الضغوط، وهي تختلف بحسب المكانة الوظيفية التي تشغلها تلك المهنة في السلم المهني وتصنيفها، حيث يعاني العديد من العاملين والعاملات في معظم المنظمات أنواعاً كثيرة من الضغوط، قد تكون ناتجة من أسباب كثيرة منها ما يرجع إلى ظروف العاملين أنفسهم، ومنها ما يعود إلى المؤسسات التي يعملون بها، كما تختلف هذه الضغوط بحسب مصادرها، فمنها ما يكون ضغوطاً نفسية أو اجتماعية أو إدارية أو مهنية.[٤٠]

وتعد ضغوط العمل من الموضوعات الهامة والشائعة التي يوليها العلماء والباحثين أهمية خاصة في العصر الحالي، حيث أصبحت بيئة العمل أكثر تعقيداً من أي وقت مضى، وذلك بتزايد حاجات العاملين وتطلعاتهم يوماً بعد يوم .

---

[٤٠]. سليم نعامة وأنور جميل علي (٢٠١١)، **الضغوط المهنية وعلاقتها بالأداء الوظيفي : دراسة ميدانية لدى الموظفين في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق**، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد (٣٣)، العدد (٠٥)، جامعة تشرين الوطنية، دمشق، ص ١٣٣.

وبطبيعة الحال ربما يتم إشباع بعض حاجات ورغبات العاملين والعاملات، ولكن لن يتم إشباع حاجاتهم بشكل دائم، مما يؤدي في النهاية إلى توتر العلاقة بين المؤسسات والعاملين فيها، وتعرضهم إلى الضغوط المهنية أو عدم الرضا المهني أو تدني مستوى الانتماء لتلك المؤسسات، وبالتالي فإنَّ ذلك يؤثر في قلة الإنتاجية وانخفاض مستوى الفاعلية.

كما يعتبر عمل المرأة ضرورة اجتماعية واقتصادية، لما يوفر لها ولأسرتها دخلاً مادياً كما يقوي شخصيتها، وينمي لديها الشعور بالالتزام والاطمئنان والثقة بالنفس، حيث أنَّ انتشار ظاهرة خروج المرأة للعمل أدى إلى حدوث تغيرات عديدة في حياة المرأة على مستوى توزيع الأدوار والمهام داخل الأسرة وخارجها، فتحمل المرأة لأدوار متعددة لوحدها ينقص من مردوديتها، فهي لا تستطيع القيام بجميع الأدو ار على أكمل وجه، حيث أنَّ الحياة الاجتماعية للمرأة العاملة أصبحت معقدة بعدما تحملت مسؤولية القيام بدورين مختلفين يستدعي كل واحد منهما جهد عضلي وفكري كبيرين باختلاف المجتمع الذي تنتمي إليه والثقافة التي تحدد سلوكها وأدوارها، إلا أنَّ صعوبة تأدية الدورين أوقعها في مشاكل عديدة من بينها الضغوط المهنية.[٤١]

وقد ينشأ الضغط المهني عادة م ن عدم التوافق بين الفرد ومهنته، وبذلك تكون الضغوط تجربة ذاتية تحدث اختلالاً نفسياً أو عضوياً. وفي هذا الصدد يعرف **محمود محمد حسني (١٩٩٣)** الضغط المهني على أنه :"**شعور العامل بعجز أو صعوبة في القيام بأداء مهام وظيفته الموكلة إليه للقيام بها، وينتج من مواجهة هذا الموقف حالة من التوتر**". أما (**زهير الصباغ، ١٩٨١، ص ٢٩**) فيعرفه على أنه : "**الموقف الذي يؤثر فيه التفاعل بين ظروف العمل وشخصية العامل، والتي تؤثر على حالته النفسية والبدنية، والتي قد تدفعه إلى تغير نمط سلوكه**".

ومن هنا لقي موضوع الضغط المهني اهتماماً متزايداً من قبل الباحثين، لما له من انعكاسات سلبية على الأفراد واتجاهاتهم وأدائهم في العمل والتأثر بالمثيرات البيئية المختلفة، وهذه الضغوط جعلت الفرد يعيش في حالة قلق وتوتر وانفعال، مما أثر في صحته وجسده، وبالتالي انعكس على مهام وظيفته وعلاقته مع العاملين في المن ظمة أو المؤسسة التي يعمل فيها.[٤٢]

---

[٤١]. نجية مادوي (٢٠١٢)، **إشكالية توفيق المرأة الأم العاملة بين الأدوار الأسرية والعمل الخارجي**، مجلة آفاق علم الاجتماع، العدد (٠٣)، جامعة سعد دحلب البليدة، ص. ١٦١.

[٤٢]. علاء محمود حمايدة (٢٠١١)، **مستوى ضغوط العمل عند معلمي المرحلة الثانوية في المدارس الحكومية في الأردن والمشكلات الناجمة عنها**، دراسات العلوم التربوية، المجلد (٣٨)، العدد (٠١)، الجامعة الأردنية، الأردن، ص ٢٩٩.

وبالمقابل، فإنَّ المساندة الاجتماعية **Social Support** تعتبر مصدراً هاماً من مصادر الأمن الذي يحتاجه الإنسان من عالمه الذي يعيش فيه، فهو متغير أساسي له أهمية كبيرة في حياة الأفراد بصفة عامة، إذ أنَّ المساندة الاجتماعية ترتبط بالصحة والسعادة النفسية، كما أنَّ غيابها يرتبط بزيادة الأعراض المرضية.[43]

ويعرف **(Sarason et al, 1983, p. 128)** المساندة الاجتماعية بأنها: **"تعبر عن مدى وجود أشخاص يمكن للفرد أن يثق فيهم، ويعتقد أنهم في وسعهم أن يعتنوا به ويحبوه ويقفوا بجانبه عند الحاجة"**. كما عرفها **(Cohen et at, 1986, p. 963)** بأنها: **"تعني متطلبات الفرد بمساندة ودعم البيئة المحيطة به للتخفيف من أحداث الحياة الضاغطة التي يتعرض لها، وتمكنه من المشاركة الاجتماعية الفاعلة في مواجهة هذه الأحداث، والتكيف معها"**.

ويتزود الفرد بالمساندة الاجتماعيةِ من خلال شبكة علاقاته الاجتماعية التي تضم كل الأشخاص الذين لهم اتصال اجتماعي منتظم بشكل أو بآخر مع الفرد، وتضم هذه الشبكة في الغالب الأسرة والأصدقاء وزملاء العمل، وليست كل شبكات العلاقات مساندة لأنها أحياناً تعتمد على دعم وصحة متلقي المساندة. [٤٤]

وفي نفس السياق يؤكد **(Spielberger)** على أن العاملات اللاتي فقدن المساندة الاجتماعية أثناء الخبرات المؤلمة التي مرت بهن أتسمن بفقدان الأمن الوظيفي وانخفاض الثقة بالنفس والشعور بالقلق الدائم، وهذه العوامل مجتمعة ساهمت في إيجاد ضغوط العمل لدى النساء العاملات. [٤٥]

وعليه فإن تعدد أدوار المرأة في الأسرة والمجتمع قد يسبب لها الكثير من الضغوط التي تبدو واضحة في سلوكها وتعاملها مع الآخرين. فأعباء العمل ومحاولة التكيف معها، والنجاح وصراع الأدوار والظروف الاجتماعية والبيئية، إلى جانب الضغوط الشخصية تجعل المرأة العاملة بأمس الحـ اجة إلى مساعدة المحيطين بها للتخفيف من حدة الضغوط المهنية وإمكانية التعايش معها، إذ تعتبر المساندة الاجتماعية من الاستراتيجيات الفعالة للتخفيف من حدة الضغط المهني لدى النساء العاملات كما تشير إليه بعض الدراسات والبحوث العلمية. [٤٦]

---

[43] . Cutrona, C (1996), **Social Support**, Cauples, London, Sage Publication, Vol (01), p٢٢

[44] . Lepore, S (1994), **Social support encyclopedia of human behavior**, Vol (04), p. 247.

[٤٥]. علي عبد السلام علي (١٩٩٧)، **المساندة الاجتماعية ومواجهة أحداث الحياة الضاغطة كما تذكرها العاملات المتزوجات** ، مجلة الدراسات النفسية، المجلد (٠٧)، العدد (٠٢)، رابطة الأخصائيين النفسيين المصرية (رانم)، القاهرة، مصر، ص ١٢.

[٤٦]. سامية سعدو (٢٠١٢)، **أهمية الدعم الاجتماعي كإستراتيجية للتخفيف من الضغط المهني لدى الإطارات النسوية**، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد (١٩)، جامعة الجزائر، ص٢٠٣.

وفي سياق الدراسات التي تناولت العلاقة سواء إذا كانت بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بين الضغط المهني والمساندة الاجتماعية نجد نتائج دراسة **سامية سعدو** (**٢٠١٢**) التي أسفرت عن أهمية الدعم الاجتماعي كإستراتيجية للتخفيف من الضغط المهني لدى الإطارات النسوية، وهي نفس النتيجة التي أكدتها نتائج دراسة **حنان سليمان أحمد البراشدي** (**٢٠٠٧**) التي توصلت إلى دور مصادر الدعم الاجتماعي واسهاماتها في التخفيف من ضغوط العمل لدى معلمي التعليم الأساسي في منطقة الباطنة جنوب، فضلاً عن نتائج دراسة **علي عبد السلام علي** (**١٩٩٧**) التي أسفرت عن أهمية المساندة الاجتماعية في مواجهة أحداث الحياة الضاغطة كما تذكرها العاملات المتزوجات هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فهناك بعض الدراسات تناولت العلاقة بين الضغط المهني ببعض المتغيرات الشخصية والمهنية كمتغير الحالة الاجتماعية وطبيعة العمل والأقدمية وغيرها من المتغيرات ذات الصلة التي أولتها الدراسة الحالية أهمية لما لها من تأثير في مستوى الضغط المهني لدى المرأة العاملة .

وفي ضوء الدراسات المشار إليها سابقاً يلاحظ القارئ عدم وجود أي دراسة – في حدود علم الباحثان– تناولت العلاقة بين الضغط المهني والمساندة الاجتماعية لدى المرأة العاملة إلا من خلال الدراسات التي تناولت مدى أهمية المساندة الاجتماعية أو الدعم الاجتماعي في التخفيف من حدة الضغوط المهنية . وذلك إيماناً بضرورة دعم النساء العاملات اجتماعياً لمواجهة الضغوط المهنية، فضلاً عن تناول المعاش النفسي للمرأة العاملة من خلال مقارنة النساء المتزوجات والعازبات في مستوى الضغط المهني، –بالرغم من أنَّ هذه الفئة الأخيرة أصبحت تشكل نسبة عالية من اليد العاملة النسوية في كافة المجتمعات– جاءت الدراسة الحالية لاستقصاء طبيعة العلاقة بين الضغط المهني والمساندة الاجتماعية لدى المرأة العاملة في الجامعة، وهذا من خلال الإجابة على الأسئلة التالية:

١٠–هل توجد علاقة ارتباطية بين الضغط المهني والمساندة الاجتماعية لدى المرأة العاملة في الجامعة؟

٢٠–هل توجد فروق في مستوى الضغط المهني لدى المرأة العاملة تبعاً لمتغير الحالة الاجتماعية؟

٣٠–هل توجد فروق في مستوى الضغط المهني لدى المرأة العاملة تبعاً لمتغير طبيعة العمل؟

٤٠–هل توجد فروق في مستوى الضغط المهني لدى المرأة العاملة تبعاً لمتغير الأقدمية؟

٢٠– فرضيات الدراسة:

١٠ –توجد علاقة ارتباطية بين الضغط المهني والمساندة الاجتماعية لدى المرأة العاملة في الجامعة .

٢٠ –توجد فروق في مستوى الضغط المهني لدى المرأة العاملة تبعاً لمتغير الحالة الاجتماعية.

٣٠ –توجد فروق في مستوى الضغط المهني لدى المرأة العاملة تبعاً لمتغير طبيعة العمل .

٠٤ –توجد فروق في مستوى الضغط المهني لدى المرأة العاملة تبعاً لمتغير الأقدمية.

٠٣– أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية إلى تحقيق جملة من الأهداف التالية:

٠١–الكشف عن طبيعة العلاقة بين الضغط المهني والمساندة الاجتماعية لدى المرأة العاملة في الجامعة.

٠٢–الكشف عن طبيعة الفروق في مستوى الضغط المهني لدى المرأة العاملة تبعاً لمتغير الحالة الاجتماعية.

٠٣–التأكد من طبيعة الفروق في مستوى الضغط المهني لدى المرأة العاملة تبعاً لمتغير طبيعة العمل.

٠٤–الكشف عن طبيعة الفروق في مستوى الضغط المهني لدى المرأة العاملة تبعاً لمتغير الأقدمية.

٠٥ –أهمية الدراسة:

يمكن توضيح أهمية الدراسة من خلال التأكيد على النقاط التالية:

٠١ –إلقاء الضوء على العلاقة بين الضغط المهني والمساندة الاجتماعية لدى عينة من النساء المتزوجات والعازبات العاملات في الجامعة الجزائرية.

٠٢ –أهمية المساندة الاجتماعية للمرأة الجزائرية العاملة خاصة من الزوج أو الأسرة، وجماعة الرفاق وزميلات العمل التي تعتبر كدعم يساعد على التخفيف من الضغوط المهنية.

٠٣ –قلة الدراسات – في حدود علم الباحثان– التي اهتمت بمتغير الضغط المهني والمساندة في البيئة العربية عموماً، وعلى وجه الخصوص في الجزائر مما يجعل من الأهمية ضرورة التعرف على نوعية العلاقة بين تلك المتغيرات.

٠٤ –قد تفيد نتائج هذه الدراسة في تحقيق استقرار المرأة الجزائرية العاملة، وذلك من خلال الإسهام في التخفيف من حدة الضغوط المهنية التي قد تتعرض لها، من خلال إشاعة روح التعاون والعلاقات الودودة والبعد عن الصراعات الوظيفية.

٠٥ –تحديد مفاهيم الدراسة:

٥–١– الضغط المهني: يعرف الضغط المهني بأنه : **"شعور العامل بعجز أو صعوبة في القيام بأداء مهام وظيفته الموكلة إليه للقيام بها، وينتج من مواجهة هذا الموقف حالة من التوتر"**. [٤٧]

ويعرفها الباحثان إجرائياً بالدرجة الكلية التي يحصل عليها المبحوث عند إجابته على عبارات مقياس الضغط المهني المستخدم في الدراسة الحالية.

[٤٧] محمود محمد حسني (١٩٩٣)، **ضغوط العمل لدى المعلمين**، مجلة كلية التربية، العدد (٣٤)، القاهرة، مصر،ص ١٩.

٥-٢- المساندة الاجتماعية: تعرف المساندة الاجتماعية "**بأنها وجود أو توفر الأشخاص الذين يمكن للفرد أن يثق فيهم، وهم أولئك الذين يتركون لديه انطباعاً بأنهم في وسعهم أن يعتنوا به، وأنهم يقدرونه ويحبونه**". [٤٨]

ويعرفها الباحثان إجرائياً بالدرجة الكلية التي يحصل عليها المبحو ث عند إجابته على عبارات مقياس المساندة الاجتماعية المستخدم في الدراسة الحالية.

٥-٣- المرأة العاملة: وهي المرأة المتزوجة والعزباء التي تشغل منصباً أو مهنة في التعليم الجامعي أو تعمل كمتصرفة إدارية داخل الجامعة.

إجراءات الدراسة الميدانية:

أولاً- منهج الدراسة:

تعد الدراسة الحالية من البحوث الوصفية الارتباطية، حيث استخدم الباحثان المنهج الوصفي لأنه يُوفر فهماً عن علاقة الضغط المهني بالمساندة الاجتماعية لدى المرأة العاملة في الجامعة . وبالتالي تم تبني هذا المنهج لأنه يقوم بدراسة متغيرات البحث كما هي لدى أفراد العينة دون أن يكون للباحث دور في ضبط المتغيرات موضوع القياس.

ثانياً- حدود الدراسة:

اقتصرت الدراسة الحالية على الحدود التالية:

- **الحدود البشرية**: تم إجراء الدراسة الحالية على المرأة العاملة المتزوجة والعازبة.
- **الحدود المكانية**: تم إجراء الدراسة الحالية بجامعة لونيسي علي (جامعة البليدة٢).
- **الحدود الزمانية**: تم إجراء الدراسة الحالية في الموسم الجامعي ٢٠١٣- ٢٠١٤.

ثالثاً-مجتمع الدراسة:

يشمل مجتمع الدراسة كافة النساء العاملات المتزوجات والعازبات في جامعة لونيسي علي (جامعة البليدة ٢)، والذين يمثلون المجتمع الإحصائي للدراسة الحالية.

رابعاً- عينة الدراسة:

بعد تعذر بل استحالة تطبيق الأسلوب العشوائي في الاختيار، وهذا للاعتبار المنهجي المرتبط بالعشوائية ذاتها، والتي تقتضي منح نفس الفرص لكل مفردات المجتمع الإحصائي حتى تختار ضمن عينة الدراسة، تكونت عينة الدراسة

[48] . Sarason et al (1983), **Assessing social support. The social support questionnaire**, Journal of personality and social psychology, Vol (44) , N (01), p١٢٩.

من (١٢٧) امرأة عاملة متزوجة وعازبة أبدين رغبتهن في مشاركتهن في الدراسة من خلال الإجابة عن المقياسين المستعملين لتجميع البيانات، وعليه يمكننا القول أننا اعتمدنا الطريقة العرضية في اختيار أفراد العينة.

الجدول رقم (٠١): يوضح توزيع أفراد العينة حسب متغير الحالة الاجتماعية.

متغير الحالة الاجتماعية	التكرار	النسبة
متزوجة	٥٤	%٤٢.٥١
عازبة	٧٣	%٥٧.٤٨
المجموع	١٢٧	%١٠٠

نلاحظ من خلال الجدول رقم (٠١) أنّ ما يمثل (%٥٧.٤٨) من المبحوثات عازبات كحد أعلى، وبالمقابل نجد أنّ (%٤٢.٥١) من المبحوثات متزوجات كحد أدنى.

الجدول رقم (٠٢): يوضح توزيع أفراد العينة حسب متغير طبيعة العمل

متغير طبيعة العمل	التكرار	النسبة
أستاذة جامعية	٤٥	%٣٥.٤٣
متصرفة إدارية	٨٢	%٦٤.٥٦
المجموع	١٢٧	%١٠٠

نلاحظ من خلال الجدول رقم (٠٢) أنّ ما يمثل (%٦٤.٥٦) من المبحوثات تعملن كمتصرفة إدارية كحد أعلى، وبالمقابل نجد أنّ (%٣٥.٤٣) من المبحوثات تعملن كأساتذة جامعيات كحد أدنى.

الجدول رقم (٠٣): يوضح توزيع أفراد العينة حسب متغير الأقدمية

متغير الأقدمية	التكرار	النسبة
أقل من ٠٥ سنوات	٤٧	% ٣٧.٠٠
أكثر من ٠٦ سنوات	٨٠	%٦٢.٩٩
المجموع	١٢٧	%١٠٠

نلاحظ من خلال الجدول رقم (٠٣) أنّ ما يمثل (%٦٢.٩٩) من المبحوثات تزيد مدة عملهن عن ٠٦ سنوات كحد أعلى، وبالمقابل نجد أنّ (%٣٧.٠٠) من المبحوثات تقل مدة عملهن عن ٠٥ سنوات كحد أدنى.

خامساً: أدوات الدراسة:

لجمع البيانات قام الباحثان باستخدام الأدوات التالية:

٥-١-مقياس الضغط المهني :

قام الباحثان **سليم نعامة وأنور جميل علي (٢٠١١)** ببناء مقياس الضغط المهني، الذي يتكون من (٤٢) عبارة تتوزع على (٠٨) أبعاد:

١-الضغوط الناتجة من العبء الوظيفي، وعباراته (٠٦) تحمل الأرقام التالية: (١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦).

٢-الضغوط الناتجة من عدم وجود الدعم الإداري، وعباراته (٠٥) تحمل الأرقام التالية: (٧، ٨، ٩، ١٠، ١١).

٣-الضغوط الناتجة من عدم وضوح الأدوار وتعددها، وعباراته (٠٦) تحمل الأرقام التالية : (١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧).

٤-الضغوط الناتجة من الاتصال الإنساني، وعباراته (٠٦) تحمل الأرقام التالية: (١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣).

٥-الضغوط الناتجة من عملية تقويم الأداء الوظيفي، وعباراته (٠٤) تحمل الأرقام التالية: (٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧).

٦-الضغوط الناتجة من المورود المادي، وعباراته (٠٤) تحمل الأرقام التالية: (٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١).

٧-الضغوط الناتجة من التطور المهني، وعباراته (٠٤) تحمل الأرقام التالية : (٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥).

٨-الضغوط الناجمة من بيئة العمل، وعباراته (٠٧) تحمل الأرقام التالية: (٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢).

ويصحح المقياس عبارة عبارة وفق البدائل التالية : (٥، موافق بشدة، ٤ موافق، ٣ أحيانا، ٢ غير موافق، ١ غير موافق بشدة)، وانطلاقاً من ذلك تكون أعلى درجة يمكن أن يحصل عليها المبحوث على هذا المقياس هي (٢١٠) درجة، وأقل درجة يمكن أن يحصل عليها المبحوث هي (٤٢) درجة.

وللتأكد من صلاحية المقياس للتطبيق تم حساب خصائصه السيكومترية المتمثلة في كل من الصدق والثبات :

أ **-صدق المقياس**: استخدم الباحثان طريقة الصدق الظاهري لقياس صدق المقياس، حيث تم عرض المقياس على عدد من أعضاء الهيئة التدريسية بكلية التربية في جامعة دمشق لبيان رأيهم في صحة كل عبارة، ودرجة ملائمتها للمجال الذي تنتمي إليه، بالإضافة إلى ذكر ما يرونه مناسباً من إضافات أو تعديلات . وبراء على ملاحظات المحكمين لم يتم استبعاد أي عبارة من المقياس، ولكن تم تعديل بعضها من حيث الأسلوب والصياغة، وبالتالي بلغ مجموع عبارات المقياس ككل بصورته النهائية (٤٢) عبارة.

ب- ثبات المقياس: اعتمد الباحثان في حساب ثبات المقياس على الطرق التالية:

- طريقة التطبيق وإعادة التطبيق : تم حساب معامل الثبات عن تطبيق المقياس وإعادة تطبيقه على عينة قوامها (١٢٠) عاملاً وعاملة بعد أسبوعين، وقد أظهرت النتائج تمتع المقياس بدرجة عالية من الثبات التي بلغت (٠.٨٢).

– **طريقة التجزئة النصفية**: قام الباحثان بتقسيم عبارات المقياس إلى نصفين متساويين، ضم النصف الأول العبارات الفردية، وضم النصف الثاني العبارات الزوجية، حيث تم حساب معامل الارتباط سبيرمان براون (٠.٨٣)، ومعامل الارتباط جيتمان (٠.٨٦) وجميعها كانت دالة عند مستوى الدلالة (٠.٠١).

٥–٢–مقياس المساندة الاجتماعية:

قام **Zimet & Canty, Mitchell (2000)** بإعداد مقياس المساندة الاجتماعية، والذي يتكون من (١٢) عبارة تتوزع على (٠٣) أبعاد:

١- المساندة من العائلة Family Support ، وعباراته تحمل الأرقام التالية: (٣، ٤، ٨، ١١).

٢- المساندة من الأصدقاء Friends Support، وعباراته تحمل الأرقام التالية: (٦، ٧، ٩، ١٢).

٣- المساندة من الأخرين Others Support، وعباراته تحمل الأرقام التالية: (١، ٢، ٥، ١٠).

ويصحح المقياس عبارة عبارة وفق (٠٥) بدائل: (١ لا أوافق بشدة، ٢ لا أوافق، ٣ محايد، ٢ أوافق، ١ أوافق بشدة)، وتمثل الدرجة المرتفعة على المساندة الاجتماعية المرتفعة والعكس بالعكس.

وقد قام **السيد محمد أبو هشام (٢٠١٠)** بتعريب هذا المقياس وعرض الترجمة والنسخة الأصلية على (٠٤) من أعضاء هيئة التدريس المتخصصين في اللغة الإنجليزية وعلم النفس، وتم تعديل صياغة بعض العبارات . وللتحقق من صلاحية المقياس للتطبيق تم التأكد من خصائصه السيكومترية المتمثلة في كل من الصدق والثبات.

أ– صدق المقياس:

– **طريقة الاتساق الداخلي**: وتم التحقق من الاتساق الداخلي للمقياس بطريقتين:

– حساب معامل الارتباط بين كل عبارة والبعد الذي تنتمي إليه على عينة تكونت من (١٥٣) مبحوثاً، حيث انحصرت قيم معاملات الارتباط بين (٠.٨٩، ٠.٩٠)، وهي دالة إحصائياً عند مستوى (٠.٠١)

–حساب معامل الارتباط بين الدرجة الكلية للبعد والدرجة الكلية للمقياس، حيث انحصرت قيم معاملات الارتباط بين (٠.٧٧، ٠.٨٦)، وهي جميعها دالة إحصائياً عندى مستوى (٠.٠١).

ب– ثبات المقياس:

تم حساب معامل ألفا كر ونباخ لعبارات كل بعد من أبعاد المقياس، فكانت معاملات الارتباط على الترتيب : (٠.٨٦، ٠.٨٥، ٠.٨٨)، وكانت قيمة معامل ألفا كرونباخ للمقياس ككل (٠.٩٠).

وأخيراً نشير على أننا اعتمدنا المقياسان في صيغتهما العربية دون إعادة النظر في خصائصهما القياسية باعتبارنا نرقى إلى نفس السياق الثقافي والحضاري، مع كل ما يمكن أن يوجد من خصوصيات ذات الطابع المحلي التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار عند تحليل وتفسير البيانات، وهذا بعد تأكدنا من وضوح عبارات المقياسين وسلامة لغتهما من عملية التطبيق التجريبي.

سادساً: تقنيات التحليل الإحصائي:

لتحليل البيانات المجمعة تم استخدام الأساليب الإحصائية التالية:

- **الإحصاء الوصفي:** والمتمثل في كل من: التكرارات، النسب المئوية، المتوسطات الحسابية، الانحرافات المعيارية ...

- **الإحصاء الاستدلالي:** والمتمثل في كل من: معامل الارتباط بيرسون Pearson، اختبار "**ت**" لدلالة الفروق، وذلك من خلال الاستعانة ببرنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية **SPSS.**

سابعاً: نتائج الدراسة الميدانية

قبل عرض النتائج نشير إلى أننا حرصنا أن تتم الإجابة على المقياسين في أحسن الظروف الممكنة، كما تأكدنا من فهم أفراد العينة لتعليمة المقياسين، خصوصاً ما تعلق بالهدف من عملية القياس بمعنى ضرورة أن تعكس إجابة المبحوث المطلوب في كل عبارة من عبارات المقياس ما هي عليه الأمور في الواقع لا كما يتمنى أن تكون عليه، ولا كما يتوقع أننا ننتظره . وبعد الانتهاء من عملية التطبيق والتأكد من احترام أفرا د العينة للتعليمة في شطرها المتعلق بالإجابة على كل عبارة من عبارات المقياس، وضرورة تفادي الإجابة النمطية كاختيار الخيار الأوسط في الإجابة عن كل العبارات مثلاً، قمنا بعملية التصحيح، ثم شرعنا في المعالجة الإحصائية لكافة البيانات المجمعة للتحقق من صحة فرضيات الدراسة. وعليه سنتناول فيما يلي تحليل ومناقشة النتائج المتعلقة بكل فرضية من فرضيات الدراسة في ضوء الدراسات السابقة والإطار النظري الذي يُفسر متغيرات الدراسة:

٧-١-عرض ومناقشة نتيجة الفرضية الأولى:

تنص الفرضية الأولى على أنه **توجد علاقة ارتباطية بين الضغط المهني والمساندة الاجتماعية لدى المرأة العاملة في الجامعة** .وللتحقق من صحة هذه الفرضية تم استخدام معامل ارتباط بيرسون لفحص العلاقة الارتباطية بين الدرجات التي تحصل عليها المبحوثين على مقياس الضغط المهني، وبين الدرجات التي حصلوا عليها على مقياس المساندة الاجتماعية، حيث تحصلنا على النتائج التالية:

الجدول رقم (٠٤): يوضح معامل ارتباط بيرسون بين الضغط المهني والمساندة الاجتماعية

المتغير	العينة	معامل الارتباط	مستوى الدلالة	القرار
الضغط المهني – المساندة الاجتماعية	١٢٧	-٠.٣٢	٠.٠٠١	دالة

نلاحظ من خلال نتائج **الجدول رقم (٠٤)** وجود علاقة ارتباطية عكسية سالبة بين الضغط المهني والمساندة الاجتماعية لدى المرأة العاملة في الجامعة، حيث بلغ معامل الارتباط (-٠.٣٢) عند مستوى الدلالة (٠.٠١)، بمعنى كلما زاد مستوى الشعور بالمساندة الاجتماعية كلما قل مستوى الضغط المهني . وتتفق النتيجة المتوصل إليها في الدراسة الحالية مع نتائج بعض الدراسات السابقة كنتائج دراسة **سامية سعدو (٢٠١٢)** التي أكدت على أهمية الدعم الاجتماعي كإستراتيجية للتخفيف من الضغط المهني لدى الإطارات النسوية، وهي نفس النتيجة التي أكدتها أيضاً نتائج دراسة كل من **حنان سليمان أحمد البراشدي (٢٠٠٧)**، ونتائج دراسة **علي عبد السلام علي (١٩٩٧)**. ويمكن تفسير هذه النتيجة في ضوء الواقع الاجتماعي والمعاناة التي تعانيها المرأة العاملة في المجتمع الجزائري نتيجة العديد من العوامل كتعدد الأدوار من خلال التداخل بين البيت والعمل الذي يظهر من جراء التصادم بين طموح المرأة العاملة العائلية مع أهداف حياتها المهنية، حيث يصعب عليها التوفيق بينهما . فالمرأة على غرار الرجل، تؤدي عمل مضاعف، تمضي ما بين ثماني ساعات إلى عشر ساعات يومياً في عملها أي بمعدل (٤٠) ساعة أسبوعياً، بمعنى أنَّ جل وقتها تمضيه وتقضيه في العمل، الذي لا ينتهي عند نهاية الدوام الرسمي، بل أنها تحمل عبء وهموم العمل معها إلى المنزل لتجدها هموماً أخرى وواجبات منزلية وأسرية تنتظرها، فهي لا ترتاح إلا لتنام متأخرة وتنهض باكرة، فهن يسعون إلى رضا المحيطين بهن على حساب راحتهن وصحتهن النفسية والجسدية، لكن هذا يمكن أن يخفف من خلال ما تلقاه المرأة العاملة من دعم ومساندة اجتماعية من طرف أفراد عائلتها أو زوجها أو حتى أبنائها. فالمساندة الاجتماعة تعتبر كصمام الأمان وكإستراتيجية ناجعة تساعد على التخفيف من الضغط المهني، حيث تشعر بنوع من الرضا والطمأنينة والسعادة النفسية التي تنسيها هم وعبء العمل . وفي هذا الصدد يرى كل من **(Coyne & Downey, 1991, p. 402)** أنَّ المساندة الاجتماعية من الآخرين الموثق فيهم لها أهمية في مواجهة الأحداث الضاغطة، من خلال التخفيف أو استبعاد عواقب هذه الأحداث، وهي نفس الفكرة التي أكدها كل من **(Turner & Maino, 1994, p. 203)** أنَّ المساندة الاجتماعية تؤثر بطريقة مباشرة على سعادة الفرد عن طريق الدور المهم الذي تلعبه حينما يكون مستوى الضغوط مرتفعاً أو كمتغير وسيط مخفف من الآثار السلبية الناتجة عن هذه الضغوط . ومن ثم نقبل فرضية البحث التي تنص على وجود علاقة ارتباطية بين الضغط المهني والمساندة الاجتماعية لدى المرأة العاملة.

٧-٢-عرض ومناقشة نتيجة الفرضية الثانية:

تنص الفرضية الثانية على أنه **توجد فروق في مستوى الضغط المهني لدى المرأة العاملة تبعاً لمتغير الحالة الاجتماعية**. وللتحقق من صحة هذه الفرضية تم الاعتماد على المعالجة الإحصائية **T test** لدلالة الفروق، بعد التأكد من التجانس بين المجموعتين من خلال حساب الفروق في الدرجة الكلية للمقياس، حيث تحصلنا على النتائج التالية:

الجدول رقم (٠٥): يوضح دلالة الفروق في مستوى الضغط المهني لدى المرأة العاملة تبعاً ل متغير الحالة الاجتماعية.

المتغير / المقياس	المرأة العاملة المتزوجة ن=٤٥		المرأة العاملة العازبة ن=٨٢		درجة الحرية df	الفروق	ت المحسوبة	ت المجدولة	مستوى الدلالة
	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري					
الضغط المهني	١٣١.٦	١٧.٦	١١٢.٤	١٤.٦	١٢٥	٠.٩١	٠٦.٣	٠٢.٦	٠.٠

نلاحظ من خلال نتائج **الجدول رقم (٠٥)** وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الضغط المهني تبعاً لمتغير الحالة الاجتماعية، حيث بلغت قيمة ت المحسوبة (٠٦.٣٦) وهي أكبر من ت المجدولة (٠٢.٦١) عند df = (١٢٥) عند مستوى الدلالة (٠.٠١)، بمعنى أنَّ الفروق دالة إحصائياً، حيث لم تتفق نتائج الدراسة الحالية مع ما توصلت إليه بعض نتائج الدراسات كنتائج دراسة **سامية سعدو (٢٠١٢)**، ويمكن تفسير هذه النتيجة في ضوء المحيط الاجتماعي والوسط الأسري الذي يلعب دوراً لا يستهان به في كيفية إدراك الفرد لمحيط عمله، فالحياة الاجتماعية للمرأة العاملة متباينة، فيما إذا كانت هذه الأخيرة متزوجة أو عازبة . إذ أنَّ درجة ونوع مسؤولية كل منهما تختلف، حيث تؤكد نتائج دراسة **إحسان محمد الحسن (٢٠٠٨)** أنَّ المرأة العاملة المتزوجة تعاني من مشكلة تشتت جهودها بين العمل المنزلي والعمل المهني فضلاً عن تربية الأبناء وتلبية متطلبات أزواجهن، وكل هذا من شأنه أن يدخل المرأة العاملة المتزوجة في صراع دائم لإحساسها بالتقصير نحو أبنائها وزجها مقارنة بالمرأة العاملة غير المتزوجة، وهي نفس النتيجة التي أكدتها نتائج دراسة **عبد الفتاح خليفات وشرين المطارنة (٢٠١٠)**، ونتائج

دراسة **Baruch (1987)** التي أكدت على أنَّ عمل المرأة كزوجة وأم يؤدي إلى صراع الأدوار الذي يعرض المرأة إلى كثير من الاضطرابات النفسية مقارنة بالمرأة العاملة العازبة. وفي هذا الصدد يبين **Neveu (1995)** وجود علاقة دالة بين الوضعية العائلية ودرجة الشعور بالضغط، ويمكننا تفسير ذلك أيضاً على أساس المشاكل الاجتماعية في المسؤوليات فضلاً عن وجود الضغوط نتيجة صراع الأدوار وزيادة متطلبات الحياة التي تتمثل في الواجبات الكثيرة الملقاة على عاتقهن في عملهن، والمسؤوليات التي يحملنها بالنسبة لحياة أزواجهن وأبنائهن، ومن ثم يمكن الحكم على وجود فروق في مستوى الضغط المهني تبعاً لمتغير الحالة الاجتماعية.

٧-٣-عرض ومناقشة نتيجة الفرضية الثالثة:

تنص الفرضية الثالثة على أنه **توجد فروق في مستوى الضغط المهني لدى المرأة العاملة تبعاً لمتغير طبيعة العمل.** وللتحقق من صحة هذه الفرضية تم الاعتماد على المعالجة الإحصائية **T test** لدلالة الفروق، بعد التأكد من التجانس بين المجموعتين من خلال حساب الفروق في الدرجة الكلية للمقياس، حيث تحصلنا على النتائج التالية:

الجدول رقم (٠٦): يوضح دلالة الفروق في مستوى ا لضغط المهني لدى المرأة العاملة تبعاً لمتغير طبيعة العمل.

المتغير / المقياس	المرأة العاملة (أساتذة جامعية) ن=٥٤		المرأة العاملة (متصرفة إدارية) ن=٧٣		درجة الحرية df	الفروق	ت المحسوبة	ت المجدولة	مستوى الدلالة
	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري					
الضغط المهني	١٢٨.١	١٩.٢٥	١١٢.٣	١٣.٨٩	١٢٥	٠٥.٧	٠٥.٣٦	٠٢.٦١	٠.٠٠

نلاحظ من خلال نتائج **الجدول رقم(٠٦)** وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الضغط المهني تبعاً لمتغير طبيعة العمل، حيث بلغت قيمة ت المحسوبة (٠٥.٣٦) وهي أكبر من ت المجدولة (٠٢.٦١) عند df =(١٢٥) عند مستوى الدلالة (٠.٠١)، بمعنى أنَّ الفروق دالة إحصائياً، حيث تتفق نتائج الدراسة الحالية مع ما توصلت نتائج بعض الدراسات كنتائج دراسة **Turcotte (١٩٩٨)** التي أسفرت عن تأثير متغير طبيعة العمل في مستوى الضغط المهني لدى العمال، كما تختلف

هذه النتيجة ما توصلت نتائج دراسة **أحمد فاروق محمد صالح (٢٠)** التي انتهت إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى ضغط العمل اليومي لدى المهنيين بقطاع الرعاية الصحية بمحافظة الفيوم. ويمكن تفسير النتيجة المتوصل إليها في ضوء الواقع الذي تعيشه الأساتذة الجامعيات، وذلك نظراً للأعباء المهنية الكبيرة التي تحملنها على عاتقها فضلاً عن اختلاف الأدوار والمسؤوليات، فالأساتذة الجامعية لديها عدة مسؤوليات داخل الجامعة وخارجها من ضغط التدريس وتصحيح أوراق الطلبة والحراسة في الامتحانات بالإضافة إلى إجراء البحوث الميدانية التي تحتاج إلى وقت وجهد كبيرين، فالبحث العلمي ليس بالأمر الهين، مقارنة بالسكرتيرة أو المتصرفة الإدارية التي لا ننفي أنَّ لديها أعباء مهنية إلا أنَّ طبيعة العمل ليس بنفس الدرجة من الصعوبة. فالنتيجة المتوصل إليها جد منطقية لأنها تعبر فعلاً عن الواقع الحقيقي الذي تعيشه الأستاذة الجامعية، حيث تشعر بنوع من الضغط المهني في غياب الدعم الاجتماعي من طرف أفراد العائلة أو الزوج أو الزملاء داخل مكان العمل. ومن ثم نحكم بقبول فرضية البحث التي تنص على وجود فروق في مستوى الضغط المهني لدى المرأة العاملة تبعاً لمغير طبيعة العمل.

٧-٤-عرض ومناقشة نتيجة الفرضية الرابعة:

تنص الفرضية الرابعة على أنه **توجد فروق في مستوى الضغط المهني لدى المرأة العاملة تبعاً لمتغير الأقدمية.** وللتحقق من صحة هذه الفرضية تم الاعتماد على المعالجة الإحصائية **T test** لدلالة الفروق، بعد التأكد من التجانس بين المجموعتين من خلال حساب الفروق في الدرجة الكلية للمقياس، حيث تحصلنا على النتائج التالية:

الجدول رقم (٠٧): يوضح دلالة الفروق في مستوى الضغط المهني لدى المرأة العاملة تبعاً لمتغير الأقدمية.

المتغير / المقياس	سنوات العمل أقل من ٥ سنوات ن=٤٧		سنوات العمل أكثر من ٦ سنوات ن= ٨		درجة الحرية df	الفروق	ت المحسوبة	ت المجدولة	مستوى الدلالة
	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري					
الضغط المهني	١٠٩.٣	١٥.٩٩	١٢٤.٨	١٦.٨٣	١٢٥	٠.٣٣	٠٥.١٠	٠٢.٦١	٠.٠٠

نلاحظ من خلال نتائج **الجدول رقم(٠٦)** وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الضغط المهني تبعاً لمتغير طبيعة العمل، حيث بلغت قيمة ت المحسوبة (١.٠٥) وهي أصغر من ت المجدولة (٢.٠٦) عند df =(١٢) عند مستوى الدلالة (٠.٠١)، بمعنى أنَّ الفروق غير دالة إحصائياً، وهي نفس النتيجة التي أكدتها نتائج دراسة **نظمي أبو مصطفى وياسر حسن الأشقر (٢٠)**، **ونتائج دراسة عبد الفتاح خليفات وشرين المطارنة (٢٠)**، كما تختلف مع ما توصلت إليه نتائج دراسة **أحمد فاروق محمد صالح (٢٠)** ونتائج دراسة **عبيد عبد الله العمري (٢٠)** ونتائج دراسة **Smith & Bourake (1992)** التي انتهت إلى تأثير متغير الأقدمية في ضغوط العمل. **(نقلاً عن: جمعة سيد يوسف،٢٠٠٤)** ويمكن تفسير النتيجة المتوصل إليها كون أنَّ متغير الأقدمية ليس له تأثير في حدوث الضغط المهني، لأنَّ الموظف الجديد له نفس امتيازات الموظف القديم ونفس الحقوق والواجبات، وهي نفس الفكرة التي أكدها كل من **علي حمدي وعبد الحميد شاذلي (٢٠)** في قولهما: "**لا ترتبط سنوات العمل – بمعنى الأقدمية– بالضغوط المهنية وإنما هناك متغيرات أخرى تنظيمية وشخصية تحول دون توافق العامل مع مهنته** "، كما يتعرض كل من النساء العاملات الجدد والقدامى إلى نفس الشروط والظروف الفيزيقية السائدة داخل مكان العمل . ومن ثم فكل منهن يقمن بأدوار متعددة تجعل منهن في حالة من القلق والتوتر والانفعال نظراً للمواقف الضاغطة، ومن ثم نحكم برفض فرضية البحث التي تنص على وجود فروق في مستوى الضغط المهني تبعاً لمتغير الأقدمية، ونقبل بالفرضية الصفرية.

خاتمة:

إنَّ التعامل مع الضغط المهني لا يعني التخلص منه أو تجنبه واستبعاده من حياة العامل، بقدر ما يعني أن يعيش ويتفاعل مع الآخرين، ومما لاشك فيه أنَّ المرأة العاملة تتعرض إلى ضغوط ناتجة عن حالة من الصراع النفسي الناجم عن كيفية التوفيق بين جميع المتطلبات المفروضة عليها . فالمرأة العاملة سواء كانت متزوجة أو عزباء تدور في ثلاث دوائر مليئة بالعوائق والعقبات، فهي تغادر البيت في ساعة مبكرة صباحاً لتواجه مشكلات المواصلات وعبء الانتقال إلى مكان العمل، ثم تعود بعد ساعات العمل لتواجه أعباء ال نظافة وترتيب البيت وإعداد الطعام، وبحكم طبيعتها، فهي تحتاج إلى المساندة الاجتماعية والمعاملة الحسنة والرقيقة من طرف المحيطين بها، وبالتالي فالدعم الاجتماعي يلعب دوراً أساسياً في إمكانية تعزيز وتحسين التوافق النفسي والاجتماعي لديها، لتمكينها من مواجهة الضغوط مهما كانت طبيعتها.

وقد تم التوصل في الدراسة الحالية إلى أهمية المساندة الاجتماعية للمرأة العاملة في مواجهة الضغط المهني، ومن ثم فالمرأة العاملة بأمس الحاجة إلى مساعدة المحيطين بها للتخفيف من حدة الضغوط المهنية وإمكانية التعايش معها .

فالمساندة الاجتماعية بأشكالها المختلفة من أهم الاستراتيجيات الكفيلة بالتقليل من الضغوط المهنية فضلاً عن توفير خدمات اجتماعية لها من خلال توفير دور الحضانة وتقليص ساعات العمل، وكذا القيام ببعض النشاطات التوعوية والتحسيسية التي تبين ضرورة الاهتمام بظاهرة الضغط المهني.

مقترحات الدراسة:

في ضوء ما انتهت إليه الدراسة الحالية من نتائج، فإنَّه يُمكن الخروج ببعض الاقتراحات العملية، وذلك من خلال التأكيد على النقاط التالية:

- تنظيم ندوات وورشات عمل عن استراتيجيات التكيف الايجابية مع الضغوط المهنية.
- تحسين ظروف العمل المادية والفيزيقية بالنسبة للمرأة العاملة.
- التأكيد على ضرورة المساندة الاجتماعية في التخفيف من الضغوط المهنية لدى النساء العاملات.
- محاولة الزوج فهم تعدد أدوار ووجبات المرأة العاملة (زوجته)، وتقديم يد المساعدة لها بعدم إجهادها بأعمال يستطيع القيام بها لوحده دون مساعدتها.
- رفع كفاءة المرأة العاملة بما يتناسب والتطور التكنولوجي المعاصر.
- محاولة التخفيف ما أمكن من أعباء العمل التي تزيد من الضغوط المهنية التي تتعرض لها المرأة العاملة.
- إعادة النظر في سن تقاعد المرأة العاملة، وذلك بتشريع الدولة لقوانين تتناسب مع الوضعية الحالية للمرأة العاملة.

قائمة المراجع:

أولاً- المراجع باللغة العربية:

01- إحسان محمد الحسن(٢٠٠٨)، **علم اجتماع المرأة:** دراسة تحليلية عن دور المرأة في المجتمع المعاصر، دار وائل للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن.

02- أحمد فاروق محمد صالح(٢٠٠٩)، **أثر المتغيرات الشخصية والتنظيمية في ضغط العمل اليومي لدى المهنيين: دراسة مطبقة على قطاع الرعاية الصحية**، جامعة الفيوم.

03- السيد محمد أبو هاشم(٢٠١)، **النموذج البنائي للعلاقات بين السعادة النفسية والعوامل الكبرى للشخصية وتقدير الذات والمساندة الاجتماعية لدى طلاب الجامعة**، مجلة كلية التربية، المجلد (٢)، العدد (٨)، جامعة بنها، مصر، ص ص٢٦٨-٣٠٥.

04- جمعة سيد يوسف (٢٠٠٤)، **إدارة ضغوط العمل: نموذج التدريب والممارسة**، ايتراك للطباعة والنشر، ط١ ، القاهرة، مصر.

٠٦ حنان سليمان أحمد البراشدي (٢٠٠٧)، **مصادر الدعم الاجتماعي وإسهاماتها في التخفيف من ضغوط العمل لدى معلمي التعليم الأساسي في منطقة الباطنة جنوب**، جامعة السلطان قابوس.

٠٧ زهير الصباغ (١٩٨٠)، **ضغط العمل**، المجلة العربية للإدارة، المجلد (٠٩)، العدد (٠١)، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٠٨ سامية سعدو (٢٠١٠)، **أهمية الدعم الاجتماعي كإستراتيجية للتخفيف من الضغط المهني لدى الإطارات النسوية**، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد (١٩)، جامعة الجزائر، ص ص: ٢٠٠-٢٢٦ .

٠٩ سليم نعامة وأنور جميل علي (٢٠١١)، **الضغوط المهنية وعلاقتها بالأداء الوظيفي: دراسة ميدانية لدى الموظفين في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق**، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد (٣٣)، العدد (٠٦)، جامعة تشرين الوطنية، دمشق، ص ص: ٣١-١٥٨ .

١٠ عبد الفتاح خليفات وشرين المطارنة (٢٠١٠)، **أثر ضغوط العمل في الأداء الوظيفي لدى مديري المدارس الأساسية الحكومية في إقليم جنوب الأردن**، مجلة جامعة دمشق، المجلد (٢٦)، العدد (١-٢)، ص ص: ٥٩٩-٦٤٠ .

١١ عبيد عبد الله العمري (٢٠٠٩)، **ضغوط العمل عند المعلمين**: دراسة ميدانية، مجلة كلية الآداب، المجلد (١٦)، العدد (٠٢)، جامعة سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٢ علاء محمود حمايدة (٢٠١٠)، **مستوى ضغوط العمل عند معلمي المرحلة الثانوية في المدارس الحكومية في الأردن والمشكلات الناجمة عنها**، دراسات العلوم التربوية، المجلد (٣٧)، العدد (٠١)، الجامعة الأردنية، الأردن، ص ص: ٢٩٨-٣١٦ .

١٣ علي حمدي وعبد الحميد شاذلي (٢٠٠٩)، **سيكولوجية الاتصال وضغوط العمل**، المكتبة الجامعية، ط٢، القاهرة، مصر.

١٤ علي عبد السلام علي (١٩٩٧)، **المساندة الاجتماعية ومواجهة أحداث الحياة الضاغطة كما تذكرها العاملات المتزوجات**، مجلة الدراسات النفسية، المجلد (٠٧)، العدد (٠٢)، رابطة الأخصائيين النفسيين المصرية (رانم)، القاهرة، مصر، ص ص: ٣٠٠-٣٢٣ .

١٥ محمود محمد حسني (١٩٩٣)، **ضغوط العمل لدى المعلمين**، مجلة كلية التربية، العدد (٣٤)، القاهرة، مصر.

١٦ نجية مادوي(٢٠١)، **إشكالية توفيق المرأة الأم العاملة بين الأدوار الأسرية والعمل الخارجي**، مجلة آفاق علم الاجتماع، العدد(٠٣)، جامعة سعد دحلب البليدة، ص ص: ٦٦-١٧.

١٧ نظمي أبو مصطفى وياسر حسن الأشقر(٢٠١)، **الضغوط المهنية وعلاقتها بالرضا الوظيفي لدى المعلم الفلسطيني**، مجلة الجامعة الإسلامية، سلسلة الدراسات الإنسانية، غزة، فلسطين، المجلد(١٩)، العدد (٠)، ص ص: ٢٠٩-٢٣٨.

ثانياً- المراجع باللغة الأجنبية:

18Baruch, C (1987), **Women and gender in reaserch on work and family stress**, American Psychologist, Vol (42).

١٩Cohen et al (1986), **Social Skills and Stress: Protecive role of Social Support**, Journal of personality and Social Psychology, U.S.A, Vol (05).

٢٠Coyne, J & Downey, G (1991), **Social factors and Psychopathology**: **Stress, Social Support and Coping Processes**. Annual Review of Psychology, Vol (42), pp. 401-429.

21-Cutrona, C (1996), **Social Support**, Cauples, London, Sage Publication, Vol (01), pp. 01-38.

22-Lepore, S (1994), **Social support encyclopedia of human behavior**, Vol (04), pp. 247-251.

23-Neveu, J.P (1995), **Equipement professionnelle recherches exploratoire en milieu hospitalier**. the british Library.

24Sarason et al (1983), **Assessing social support. The social support questionnaire**, Journal of personality and social psychology, Vol (44) , N (01), pp. 127-139.

25Turcotte, P (1998), **Qualité de vie au travail anti-stress et créativité**, Paris, Edition, Agence, ARCING.

26Turner, K & Marino, F (1994), **Social Support and Social Structure**: A descriptive epidemiology, Journal of Health & Social behavior. Vol (35), pp. 193-212.

الشباب العربي: وضعيات اجتماعية جديدة وسلوكيات مهيمنة
قراءة في تمثلات الشباب التونسي للمواطنة والمجتمع المدني

د.فاتن مبارك / جامعة قرطاج ،تونس

ملخص:

يعيش الشّباب التّونسي والعربي بصورة عامة، مجموعة من التّحولات في طرق العيش وأساليب التّفكير وأنماط السّلوك، تحوّلات تنطوي على تداخل بين التّقليدي والحديث سواء على صعيد العلاقات الاجتماعية أو الثّقافة أو القيم السّائدةيتعرّض المجتمع التّونسي كغيره من المجتمعات لحالة من التغيّر والحراك الاجتماعي الذي غيّر في خريطة الفئات العمرية وعطّل الخبرات المهنية وأطل في فترة الدّراسة وأخّر الدّخول في الحياة النّشيطة، وأفرز تعبيرات حياتية أثّرت في فئات المجتمع خاصة الشّابة منها التي تحتلّ بثقلها الدّيمغرافي مكانة هامةداخل النّسق المجتمعي التّونسي وما يمكن أن يفرزه كل ذلك في مستوى مؤشرات الإعالة، ومن تغيّر على مستوياتهم والمثل في الأسرة والمجتمع

يبدو إذن، أنّ المجتمع التّونسي بما يمثله من مؤسّسات اقتصادية وسياسية وإجتماعية أمام واقع خاص، ظهر في ظلّه العديدمن المشكلات وأصبح من الضّروري البحث فيها، ويعدّ موضوع الشّباب من المواضيع التي تناولتها عدّة اختصاصاتدراسة والبحث وذلك للإشكالات العديدة التي يطرحها هذا الموضوع بالذّات ومن الخطأ التّعامل مع هذه الفئة على أنّها وحدة متجانسة ومنسجمة ومتساوية، بل إنّها كتلة تتباين من فئة لأخرى ومن مجتمع لآخر حسب المستوى التّعليمي والثّقافي والوضع الاجتماعي والاقتصادي، ليس فقط بالنسبة للشّباب ولكن أيضا، بالنسبة للمجتمع الذي يعيشون فيه

الكلمات المفتاحية: التغير الاجتماعي ،المواطنة ،المجتمع المدني

مقدمة:

يعيش الشّباب التّونسي والعربي بصورة عامة، مجموعة من التّحولات في طرق العيش وأساليب التّفكير وأنماط السّلوك، تحوّلات تنطوي على تداخل بين التّقليدي والحديث سواء على صعيد العلاقات الاجتماعية أو الثّقافة أو القيم السّائدة إلا أنّ الشّباب وبحكم خصائصهم وتطلّعاتهم ومرور نسبة هامة منهم بالتّأهيل المعرفي والاجتماعي، مرشحون لأن يكونوا أكثر تأثراونظرا لهذه التّغيرات هناك عدّة تساؤلات يمكن طرحها شملت المجتمع ككل و"تساؤلات خاصة تتوجّه لفئة الشّباب ولما

يمكن أن يدفع به الشّباب للظّهور على السّطح من تغيراتفي القيم والمواقف والتّصوّرات التي تلخّص النظرة العامة لهذه الفئة تجاه المجتمع"[٤٩]. فحالة التّغير والتّعديل والحركة الدائمة للمجتمعا ت الإنسانية سواء كان ذلك في الجانب الاقتصادي أوالاجتماعي أو السّياسي أو الثّقافي تجعل المجتمعات تمرّ من حالة معيّنة للبناء الاجتماعي إلى حالة أخرى تختلف باختلاف الجماعة وظروف نشأتها، "فهي حالة من التّعديلات والعوامل المتداخلة والمتشابكة بتداخل بعضها في بعض التي تطرأ على أنماط العلاقات الاجتماعية كالسّلوك الاجتماعي، وطبيعة بناء الجماعات ومضمون النّظم من خلال فترة معيّنة من الزمن بحيث يمكن ملاحظتها وتقديرها"[٥٠] ومن خلالها تتجسّد الملامح العامة لأي مجتمع

يتعرّض المجتمع التّونسي كغيره من المجتمعات لحالة من ال تغيّر والحراك الاجتماعي الذي غيّر في خريطة الفئات العمرية وعطّل الخبرات المهنية وأطال في فترة الدّراسة وأخّر الدّخول في الحياة النّشيطة، وأفرز تعبيرات حياتية أثّرت في فئات المجتمع خاصة الشّابة منها التي تحتلّ بثقلها الدّيمغرافي مكانة هامة داخل النّسق المجتمعي التّونسي ، وما يمكن أن يفرزه كل ذلك في مستوى مؤشرات الإعالة، ومن تغيّر على مستوى القيم والمثل في الأسرة والمجتمع . يبدو إذن، أنّ المجتمع التّونسي بما يمثله من مؤسّسات اقتصادية وسياسية وإجتماعية أمام واقع خاص، ظهر في ظلّه الكثير من المشكلات وأصبح من الضّر وري البحث فيها، ويعدّ موضوع الشّباب من المواضيع التي تناولتها عدّة اختصاصات بالدّرس والبحث وذلك للإشكالات العديدة التي يطرحها هذا الموضوع بالذّات ، ومن الخطأ التّعامل مع هذه الفئة على أنّها وحدة متجانسة ومنسجمة ومتساوية، بل إنّها كتلة تتباين من فئة لأخرى وم ن مجتمع لآخر حسب المستوى التّعليمي والثّقافي والوضع الاجتماعي والاقتصادي، ليس فقط بالنسبة للشّباب ولكن أيضا، بالنسبة للمجتمع الذي يعيشون فيه. لذلك فإنّ الإشكالية المطروحة في هذا البحث تتمثل في سؤال هام ورئيسي : **كيف أثرت الوضعيات الاجتماعية الجديدة التي يعيش ها المجتمع التونسي في مواقف وتصورات الشباب نحو مسألة المجتمع المدني ومسألة المواطنة.**

---

[49]-Galland, (Olivier), Roudet, (Bernard), **Les jeunes Européens et leurs valeurs**, Europe occidentale, Europe orientale, Paris, La Découverte, 2005, p.329.

[٥٠]- حسين عبد الحميد، **تطّور النّظم الاجتماعية وأثرها في الفرد والمجتمع**، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٢، ص٥.

١. مظاهر التّغير الاجتماعي داخل المجتمع التّونسي :

١.٢ مظاهر التّغير الاجتماعي في الأسرة التّونسية :

ورد هذا المصطلح في معجم العلوم الاجتماعية على أنّه"صفة أساسية من صفات المجتمع، ولا يخضع هذا التّغير لإرادة معيّنة، بل أنّه نتيجة لتيّارات وعوامل ثقافية واقتصادية وسياسية يتداخل بعضها في بعض، ويؤثّر بعضها في بعض، فما دام الانسان كائناً اجتماعياً، فإنّ التّغير الاجتماعي معناه التّغير الإنساني وكل تغير في المجتمع ينعكس أثره على الانسان بالضّرورة[٥١]. فالتّغير الاجتماعي إذن هو تغيّر في البناء الاجتماعي (متضمنا التّغيرات في حجم المجتمع) وفي النّظم الاجتماعية، والعلاقات بين النّظم الّتي تدفع بالفاعلين إلى التّعديل في أساليب حياتهم الأسرية والاقتصادية والسّياسية واتّخاذ مواقف جديدة تعكس عوامل وأساليب جديدة في الأفكار والقيم الاجتماعية ومن هنا يمكن أن نبيّن أنّ التّغير الاجتماعي يحدث على عدّة مستويات

- مستوى التّغير في الاتجاهات والآراء والأفعال.
- مستوى فردي أيضا يتمثل في الطّريقة والأسلوب الذي ينتشر به تجديد معين متمثلا في فكرة جديدة، أو ممارسة جديدة.
- المستوى المجتمعي وهو تحوّل المجتمع من الحالة التّقليدية إلى الحالة العصرية

حظيت مؤسّسة الأسرة في تونس باهتمام كبير من طرف السلطة منذ الاستقلال "باعتبار أهميتها وحيويتها في تحقيق الاستقرار النفسي والاجتماعي لكلّ أفرادها ولما تتيحه لذلك من استقرار اجتماعي وسياسي"[٥٢]. وعندما نتحدّث عن السلطة في تلك الفترة فنحن نتحدّث عن المسار الاصلاحي والتّحديثي الذي جاء به الفكر البورقيبي من أجل تحديث كلّ المؤسّسات الاجتماعية الفاعلة داخل المجتمع والتي من خلالها يمكن أن نبني الدولة الوطنية. لقد كان التدخل من طرف الدّولة هاما وحاسما رغم كل النّقد الموجه لها والتّشكيك في مدى فاعلية هذا التدخل الذي مسّ الجانب الاجتماعي والدّيني كذلك. وعندما ننظر لهذا التّدخل الفوقي من طرف الدولة على الأسرة التونسية نجده ينقسم إلى مستويين : المستوى التّشريعي إذ تعتبر مجلة الأحوال الشخصية[٥٣] المؤسس لفكرة المساواة تشريعيا"وهي ثمرة قراءة جديدة للنّصوص المقدّسة"[٥٤] ذات نزعة تحديثية وإرادة سياسية .

---

[٥١]– إبراهيم مدكور ونخبة من الباحثين، **معجم العلوم الاجتماعية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥، ص١٦٥.

[٥٢]– نفس المرجع، ص ١٤.

[٥٣]– صدرت في ١٣أوت سنة ١٩٥٦ في تونس، وهي الإطار القانوني المحوري لتأمين ضمان حقوق المرأة والأسرة، والأساس الفعلي للدّفاع عنهم وعن مكتسباتهم "**فهي الدستور التّونسي الحقيقي**" على حدّ وصف محمد الشرفي.

ومستوى الصّحة الإنجابية، إذ تعتبر الأسرة إحدى المؤسّسات الرئيسية لإعادة انتاج الرّموز الثّقافية والقيم الاجتماعية لذلك كان الاهتمام بها من طرف الحكومة التّونسية لمعرفتها بقدرتها على "إعادة انتاج بنية المجال الاجتماعي، بإعتبارها فئة اجتماعية تجمع بين الذّاتي والموضوعي والذّهني"[٥٥] لذلك كان اتباع سياسية تحديد النسّل من المناهج التنموية الاجتماعية التي تهدف إلى الخروج من التخلّف بتهذيب النّسل لأنّ "القوّة اليوم لم تعد بالكم ولا بالعدد ولا بكثافة الشعوب من حيث أفرادها."[٥٦]

٢.٢ الملامح الدّيمغرافية المستقبلية لفئة الشّباب داخل المجتمع التّونسي :

لقد أثّرت السّياسة السّكانية التي اتبعتها تونس في جميع الشرائح الاجتماعية الموجودة داخل المجتمع، خاصة وأنّ هذه السياسة أصبحت ثقافة اجتماعية متبناة من جميع أفراد المجتمع وذلك بحكم التّغيرات الاقتصادية والاجتماعية والثّقافية التي طرأت والتي أثّرت بشكل واضح في المشهد الديمغرافي التّونسي. لذلك فأنّ التّحديد الإحصائي لمرحلة الشّباب كإحدى الشّرائح الاجتماعية المهمة، سيمكننا من استقراء المشهد الديمغرافي العام الذي يتعايش معه هؤلاء الشّباب، والمجتمع التّونسي إحدى هذه المجتمعات التي يحتلّ فيها الشّباب نسبة هامة من المجوعة الاجتماعية من الهرم السكاني . فالطّفرة الديمغرافية التي عرفها المجتمع وضعت أمامه إشكالاجتماعيا وجب تناوله بكلّ جديّة والبحث فيه وفي تحديداته الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وفي وقعه داخل المجتمع وفي علاقته بكلّ ما يحدث من تغيرات وانتفاضات داخل البنى والقيم وعلاقة ذلك بالانفتاح الثقافي وعلاقة ذلك بالدولة وبجميع مؤسّساتها وعلاقة هذه المجمو عة بمجوع القيم والمبادئ التي تؤسس "لمجتمع له جذوره وتاريخه وانتماءاته التي تأثرت بجملة التغيرات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية التي أصابته"[٥٧] . "ورغم أنّ تونس شهدت مبكّرا التّحولات الديمغرافية في جانبها المتعلق بالوفيات، ثمّ بداية السّتينات في جانبها المتع لّق بالولادات، فإنّ البنى الدّيمغرافية مازلت لحدّ الآن بنى شابةهذا من شأنه أن يفرز إشكالات اقتصادية واجتماعية في علاقة بطبيعة احتياجات هذه الفئة العمرية"[٥٨] .

---

[٥٤]– محمد الشرفي، **الأحوال الشخصية بين التشريع والقضاء وبين الإصلاح في الماضي والإصلاح المنشود في المستقبل**، مركز النشر الجامعي، ٢٠٠٨، ص٤٢٧.

[٥٥]– آمال موسى، **بورقيبة والمسألة الدينية**، سراس للنشر، تونس ٢٠١١، ص١٢٢.

[٥٦]– الحبيب بورقيبة، **خطب الجزء التاسع والعشرون**، نشريات وزارة الإعلام، المطبعة الرسمية، ١٩٦٢، ص٩٥.

[٥٧]– مصطفى المصمودي، النظام الإعلامي الجديد، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٥، ص٢٩٣.

[٥٨]– حسان قصار، "**التغيرات الديمغرافية الاجتماعية: تحليل ديمغرافي . اجتماعي للشباب في تونس** " ، وقائع ندوة الشباب ثقافة، بيت الحكمة، تونس، ص ١٠٥.

لقد عرفت التّركيبة العمرية في تونس تحوّلات كانت موجّهة من طرف السّياسة الحكومية بعد الاستقلال التي تدخّلت بشكل مباشر في أغلب المؤسّسات الاجتماعية ولا يمكن أن ننكر أنّ هذا السّلوك الإنجابي أصبح عفويا يتبنّاه عدد لا بأس به من أفراد المجتمع التّونسي وأثّر في التّركيبة السّكانية بشكل واضح الحاضر أو المستقبل وهذا ما يظهر بوضوح من خلال الرّسم البياني التالّي[٥٩]:

رسم بياني:رقم (١) :

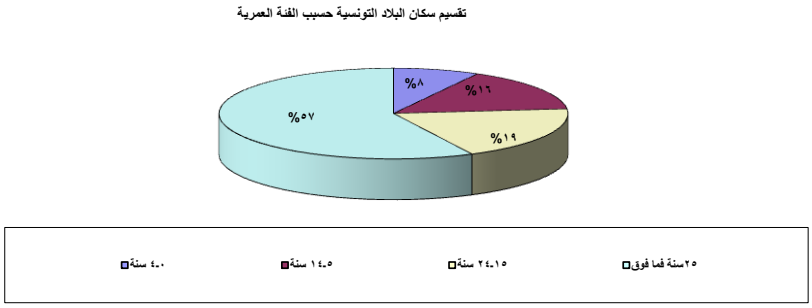

نلاحظ أنّ الفئة العمرية ١٤و٢٥ سنة فما فوق هي التي تشهد تطورا ملحوظا حيث بلغت٦٧% سنة ٢٠١٠ وبذلك فإنّ التّركيبة السكانية كما يظهر في هذا الرسم البياني تركيبة شابة، فليس من المنطق إذن أن نتجاوز هذه الفئة وأن لا نبحث فيها بوصفها تركيبة سكانية أثّرت في الملامح الدّيمغرافية العامة للمجتمع السّكاني وأيضا بوصفها فئة اجتماعية تحتل مكانة متميزة في السّياق العام لجميع المؤسّسات والتّركيبات الاجتماعية والاقتصادية وحتّى الدّيمغرافية المستقبلية فالحراك الاجتماعي الذي يعيشه المجتمع التّونسي خلق تركيبة سكّانية خاصة ومختلفة رأينا من المهم إبرازها في هذا البحث لأنّها

[59]- Source: **Population Division of the Department of Economic and Social Affairs of the United Nations Secretariat**, World Population Prospects: The 2006 Revision and World Urbanization Prospects: The 2005 Revision, http://esa.un.org/unpp

تمثّل قوى ضغط على مؤسّسات المجتمع ككل وهذا ما سنحاول تفسيره إحصائيا باعتماد بعض الدّراسات الإحصائية التي أقيمت في تونس كما يظهر في الرسم البياني الموالي[60] :

رسم بياني:رقم (٢) :

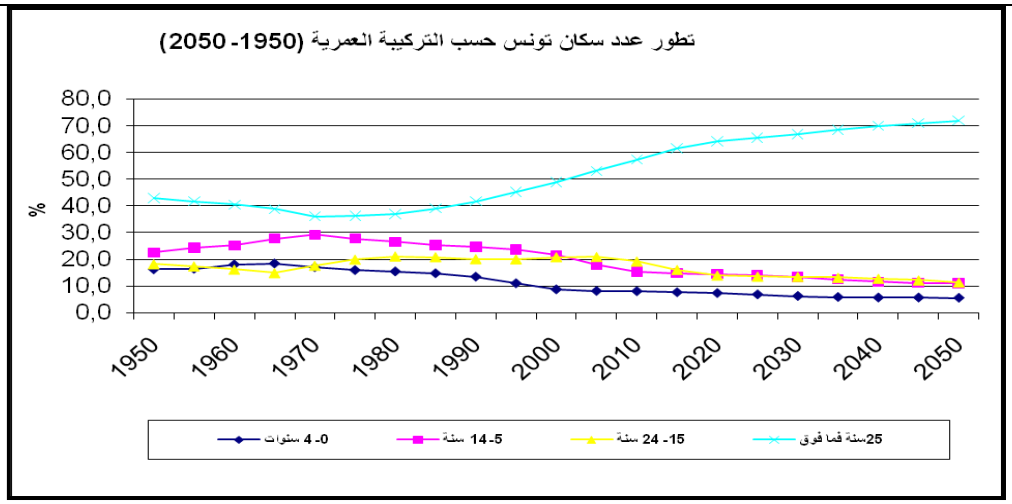

يظهر في هذا الرّسم البياني أنّ الفئة العمرية ١٤-٢٥ سنة بعد ١٠سنوات أي من ٢٠١٠ سنة إلى سنة ٢٠٢٠ ستتساوى مع الفئة العمريةه١٤-٥ سنة ليصل كل منّهما بالنسبة للفئة الأولى١٤% و١٤,٥% بالنسبة للفئة الثانية، أما الفئة العمرية ٢٥ سنة فما فوق فستسجّل ارتفاعا يصل نسبة ٦٤% لنفس السنة ، وهذا ما يعني أنّ التّركيبة السّكانية بدأت في التحوّل وستسجل تغيرا كاملا لملامحها خلال العشرية القادمة إذ ستسجل الفئة العمرية ٠-٤ سنوات انخفاضا يصل ٧,٣% في نفس السّنة،كلّ هذه التحوّلات تظهر مدى تأثير هذه الفئات العمرية على للتّركيبة السّكانية في المجتمع وكذلك علاقتها المباشرة بالتّحولات الثّقافية والاجتماعية المصاحبة،وبالتالي فإنّ فهم مرحلة الشّباب والإحاطة بأبعادها ومستوياتها المختلفة يتطلب اعتماد مقاربة متعدّدة الأبعاد تتناسب مع الطّابع المتداخل لحياة الشّباب وسلوكهم وهو ما يشكّل شخصيتهم الإنسانية كأفراد وأعضاء داخل الجماعة الاجتماعية

[60]- *Source*: **Population Division of the Department of Economic and Social Affairs of the United Nations Secretariat**, World Population Prospects: The 2006 Revision and World Urbanization Prospects: The 2005 Revision, http://esa.un.org/unpp

٣. المجتمع المدني والسياقات المنتجة لقيم المواطنة في المجتمع التونسي :

شهدت السنوات الأخيرة في تونس نقاشا حول موضوع المجتمع المدني والإشكاليات المرتبطة به،"وتزداد أهمية مفهوم المجتمع المدني نتيجة تلك النّزاعات التي ارتسمت في الفترة الأخيرة والمتعلقة بتطور الدولة وكذلك العلاقات النّاشئة بينها وبين المجتمع"[٦١]، حيث تجري بلورة العلاقات الضّرورية بين المجتمع المدني والمجتمع السّياسي، وتبذل جهود فكرية لتأصيل نظري لتلك العلاقات، لقد أضحى لعبارة المجتمع المدني حيز واسع النّطاق لدى الاجتماعيين والسّياسيين ورجال القانون خاصة وقد اعتبره الكثيرين طرف مهم في التنمية، ورغم ذلك فانه مفهوم مصبوغ ببعض الغموض والإشكال وتتمحور حوله عديد التّساؤلات: هل هناك مجتمع مدني وآخر ليس كذلك، لماذا أضحت كثرة منظمات المجتمع المدني مؤشر تنموي هام.

كان من الضّروري في إعتقادنا أن نطرح السّؤال حول أهمية مكوّنات المجتمع المدني لدى الفئات الاجتماعية وهل لديها من المكانة في التصورات الاجتماعية للشباب حتّى تلعب دورا في تشكيل آرائهم ومواقفهم الاجتماعية والسياسية، يمكن أن نخفي الصعوبة التي إعترضتنا عند طرحنا لهذا الموضوع الذي يمثّل إحدى المواضيع الغامضة والمهمّشة في البعد المعرفي لدى العديد من الشّباب التّونسي، فهو "يعبر عن تطور مجتمعي تصبح فيه العلاقات الرابطة بين العناصر الفردية تراعي مصالح كل هذه العناصر بدون استثناء، بل وتسمح لها بالمساهمة في فحص هذه العلاقات وتطويرها وتغييرها"[٦٢]، إذ يمكن لكل تشكيلة اجتماعية أو فئة أو جهة، المساهمة في تسيير وسطها، فتتعدّد بذلك مراكز القول والفكر والفعل،ولقد عبّر مجموع الشباب[٦٣] عن بعض ما يحملونه من تصورات ومواقف حول دور المجتمع المدني ومكوناته في تحقيق بعض من الاجتماعية وتشكيل المجال العام للأطر والأبنية الاجتماعية التي يتعايشون معها، وضمنها، والتي تقوم بدور هام في تشكيل مستقبلهم الاجتماعي والمهني وسنلاحظ في الجدول التّالي من خلال ما تمّ ترتيبه من طرف أفراد العيّنة، نوعية الأولويات

---

[٦١] – صالح ياسر،"**المجتمع المدني والديمقراطيّة** منشورات طريق الشعب، سلسلة قضايا فكرية، بغداد، ٢٠٠، ص ٢.

[62]-Cicchelli (V.), « **Liens entre générations et médiation ou de quelques paradoxes dans l'analyse de l'autonomi des jeunes** » texte présnté au troixiéme Rencontres Jeunes et sociétés, Marseille, Octobre 2007, http://jeunes-et-sociétés.cereq.fr/archives3.htm»,CNRS, 2003, p.20.

[٦٣]. مؤشرات إحصائية مقتطفة من دراسة قامت بها الباحثة في تونس معنونة **بتونس منظورا إليها من قبل شبابها : التصورات والانتظارات**، على ٢٠٠ شاب في تونس.

التي يحاولون إيجادها والتعايش معها ضمن المجتمع الذي ينتمون إليه وسنحاول أن نظهر أولويات مهمة المجتمع المدني في المجتمع حسب الفاعلين الذين تمّ إستجوابهم بإعتماد متغيّر العمر وهذا ما سيظهر في الجدول التّالي

جدول رقم: (٣)

أولويات عمل المجتمع المدني داخل المجتمع حسب متغيّر العمر

مهمة المجتمع المدني / الفئة العمرية	تكافؤ الفرص	ضمان الشغل لطالبيه	المشاركة السّياسية	مقاومة المحسوبية	المجموع
٢٠– ٢٤ سنة	١٨.٧٥	٣٦.٢٥	١٠	٣٥	١٠٠
٢٥– ٢٩ سنة	٢١.٧٣	٤٣.٤٧	٢١.٧٣	١٣	١٠٠
٣٠–٣٥ سنة	٢٤.٣٢	٣٢.٤٥	٢٩.٧٢	١٣.٥١	١٠٠

المصدر:الدراسة الميدانية

نلاحظ أنّ هناك تباين في آراء المبحوثين عندما أدخلنا متغيّر العمر لأهميته في إعطاء صورة تقريبية لمواقف الشباب من مختلف الفئات العمرية المكوّنة لعينة البحث وقد تبيّن أنّ أغلب الفئات العمرية تتفقّ تقريبا حولرأيْن إثنين الأول يتمثل في أن من أولويات المهام التي يمكن أن يظطلع به المجتمع المدني هو ضمان الشغل لطالبيه وهذا ما عبّر عنه٣٦,٢٥% من الفئة العمرية ٢٠– ٢٤سنة. فهذه الفئات الاجتماعية ترى أن مساهمة مؤسسات المجتمع المدني تتجسّد في إيجاد حلول لبعض الأزمات الهيرية في مستقبل الأفراد منها البطالة وأزمة التشغيل

أما الأمر الثاني الذي اتفقت عليه الفئات الاجتماعية هو مبدأ تكافئ الفرص بين جميع الشرائح الاجتماعية حيث يرون أنّ مكونات المجتمع المدني إن تمكنت من التحرّك بحرية داخل المجتمع من خلال النّقابات والأحزابوغيرها من التّكتلات الاجتماعية فيمكن أن تكون فعلا أطر راعية لجهاز الدّولة في مختلف اتجاهاته وأن تضمن تعددية الأقوال والأفكار وتعطيهم الفرصة للمشاركة في الحياة الاجتماعية

يمكن أن نستخلص من هذه الأرقام الاحصائية أنّ متغيّر العمر يمكن أن يؤثّر في مواقف المبحوثين فكلّما تقدّم سنّ الفرد زادت تجاربه في الحياة وأصبح أكثر إنفتاحا على المواضيع المعيشية التي تخصه كفرد والتي تخصّ المجتمع ككل أيضا،

لذلك نلاحظ أنّ هذه الفئات العمرية الأكثر تقدما في السن أعطت أهمية نسبية لمسألة المشاركة السّياسية وذلك لإعترافهم بأنّ المجتمع المدني له دور مهم في تشكيل المجال العام للمجتمع، فهو قادر على أن يساعدهم على المشاركة في الحياة الاجتماعية من خلال "مجموعة من الأبنية السّياسية والاقتصادية والاجتماعية والثّقافية والقانونية التي تنتظم في إطار شبكة معقّدة من العلاقات والممارسات بين القوى والتّكوينات الاجتماعية "[٦٤]. إذ يمكن القول أنّ المجتمع المدني هو ذاك الإطار الاجتماعي الخاضع لنظام معين ينضبط له الأفراد المكونون له. "حيث يلتزم الفرد بمجموعة من الضوابط في سلوكه اليومي بشكل إرادي نظرا للاقتناع الذي يحصل عنده بأهميتها بالنسبة للسير الجيد للحياة الجماعية التي توافق إلى درجة كبيرة مصالح الفرد المنتمي إلى هذا المجتمع وأهدافه وطموحاته"[٦٥]، ووفقا لذلك فهو يحمل العديد من الانتظارات من هذه المؤسسات في مجتمعه وهذا ما سنحاول التحقق منه في الجدول التالي

جدول رقم (٤): إنتظارات الشباب من ملؤونات المجتمع المدني حسب متغير المهنة

انتظارات الشباب / المهنة	تدعيم المشاركة الاجتماعية	التعدّدية الحزبية	توزيع عادل للثروات	محاربة الفساد	المجموع
طالب	٣٧,٣١	١٧,٢٢	٢٩,٨٥	١٤,٩٢	١٠٠
عاطل عن العمل	٢٣,٨٠	–	٤٤,٤٤	٣١,٧٦	١٠٠
إطار	–	٤٥	١٧,٥	٣٧,٥	١٠٠
عامل يومي	٤٠	–	٢٦,٦٦	٣٣,٣٤	١٠٠

المصدر: الدراسة الميدانية

تدور انتظارات الشّباب من مكونات المجتمع المدني حول عديد المسائلوقد حاولنا أن نهتم ببعضها و قد تمكّنا أن نحصر بعض من مواقف الشباب بإعتماد متغيّر المهنة و ذلك في محاولة منا لرصد مختلف الآراء، ونلحظ من خلال رصدنا

[٦٤]– توفيق الديني، **المجتمع المدني للدولة والسياسة**، اتحاد كتاب العرب، دمشق، ١٩٩٧، ص ٣٠.

[65]– Muxel, (A.), **L'expérience politique des jeunes**, Presses des Sciences Po, Paris, 2001, p.23.

للإجابات بأن أفراد العينة قد حدّدوا البعض من إنتظاراتهم حسب مواقعهم الاجتماعيةوحسب نتائج الجدول رقم (٤) نلاحظ أنّ الفئات الإجتماعية تعبّر عن مواقفها وإنتظاراتها من خلال مواقعم الاجتماعية ومن خلال المكانة التي يحتلّونها داخل مجموعاتهم الاجتماعية، فهم يصغون مواقفهم من خلال ما يكتسبونه من تجاربهم المعيشية الخاصة لذلك كانت أغلب الفئات الاجتماعية المكوّنة لعينة الدّراسة ركّزت إهتماماتها حول المشاركة الاجتماعية ومحاربة الفساد والتّوزيع العادل للثروات ولم يكن المجال السّياسي من بين الانتظارات التيتأمل أن تخوض فيه من خلال التعدّدية الحزبية مثلاعلى خلاف هذه الفئات الاجتماعية نجد المجموعة الاجتماعية التي تمتلك مكانة إجتماعية أفضل من خلال ما تمتهنه والتي ركزت مواقفها حول التعددية الحزبية وذلك بنسبة ٤% ومحاربة الفساد التي عبّرت عنها بنسبة ٣٧,% (أنظر الجدول أعلاه).

هذه النتائج الاحصائية التي تمّ الحصول عليها تظهر أهمية الافتراض الذي أسّسنا عليه بحثنا منذ البداية والذي يؤكد على أنّ المكانة الاجتماعية للأفراد يمكن أن تتدخّل بقوة في تحديد مواقفهم وتبلور البعض من إنتظاراتهم من المؤسسات الاجتماعية التي يعيشون ضمنها. يمكن أن نستنتج إذن، أنّ الاحتياجات الشّبابية الخاصة التي تطرحها طبيعة الحياة الاجتماعية في عمق الشريحة الشّبابية"تنعكس على هيئة استجابات ثقافية خاصة لمنظومة من الحاجات والمشكلات التي تعترض فئة الشباب وهي تنطوي على منظومة من القيم والمعايير"[٦٦]، وتشكّل ثقافة الشّباب ومضامينها ومنطلقاتها وقيمها إحدى المداخل الأساسية لتحليل وضعيتهم وإدراك قضاياهم من خلال إدراك منظومة المواقف والاتجاهات التي تستجيب لتطلعاتهم في المرحلة العمرية التي ينتمون إليها . إختلفت الآراء بين مختلف المبحوثين حول دورالمجتمع المدني، وحول إنتظاراتهم منه ولكنّهم إتفقوا تقريبا على أنّه "هو مجموعة من المؤسّسات السّياسية والاقتصادية والاجتماعية والثّقافية التي تعمل في ميادينها المختلفة في استقلال نسبي من المجتمع السياسي لتحقيق أغراض متعددة"[٦٧]، منها أغراض سياسية كالمشاركة في صنع القرار على المستوى الوطني، أوالحزبي ومنها أغراض نقابية كالدّفاع عن المصالح الاقتصادية والارتقاء بمستوى المعيشة، ومنها أغراض ثقافية كالجمعيات الثّقافية التي تهدف إلى نشر الوعي الثّقافي وفق اتجاهات كل جمعية، ومنها أغراض اجتماعية كالمساهمة في العمل الاجتماعي لتحقيق التّنمية، فالمجتمع المدني إذن هو مجموع المؤسّسات والمنظّمات التي تتيح للأفراد التّمكن من الخيرات المادية والرّمزية بمعزل عن الدّولة والحكومة.

---

[66]- Roudet (B.), (Dir.), ibid., p.30.

[٦٧] – عبداللطيف أكنوش، "**الديمقراطيةوالدمقرطةوالانتقالالديمقراطي**" ، جريدة المستقل،عدد٣٤٧، ٢٠٠١، ص٣٣.

٤. مفهوم المواطنة ودوره في تشكل تصورات الشباب التونسي

لقد حاولنا أن نركّز كذلك في هذا الجزء من البحث على مفهوم المواطنة ودوره في تأصيل بعض المواقف لدى الأفراد الذين يعيشون داخل مجتمع متغير بشكل مستمر ومتأثر بمجمل التّحولات التي تصيب العالم في جميع مجالاتها . فهؤلاء الفاعلين يشكّلون مجتمع شاب يرى البعض من الباحثين أنهم يحلمون بعالم مثالي "قد يبتعد عن الواقع ويقطع مع الجيل الذي يسبقه ومع بقيّة المجموعة الاجتماعية"[٦٨] ويبتعد بهم عن بعض المفاهيم الهامة التي تساهم في إظهار التّصورات العامّة لمختلف أطيافه وفئاته حول عديد المسائل الاجتماعية والسّياسية الهامة منها مفهوم المواطنة ومكانته وكيف للمجتمع المدني أن يمارس دورا هاما في تأصيل هذا المفهوم لدى مجموع المشاركين في المجتمع،ويكشف الجدول التّالي رأي العينة في مفهوم المواطنة ومتى تتحقّق بشكل فعلي

تركزت أغلب المعاني التي صاغها أفراد العينة حول معنى المواطنة في الحقّ في التشغيل، ونتبيّن هنا أن أغلبية الشباب يحددون مشاركتهم الاجتماعية من خلال مشاركتهم الاقتصادية، "أي أنّ شعورهم بالحياة والمواطنة والمشاركة الفعلية لا يمكن أن تتحقّق إلا من خلال تمكّنهم من شغل يضمن لهم إمكانية المشاركة في جميع المجالات"[٦٩]، "فمشكلة التّشغيل التي تسبّب فجوة إجتماعية، جعلتهم يفقدون الثّقة في مجمل الاصلاحات التي تعد بها الدولة وخاصة الخطابات السّياسية..عدم الثّقة تحوّل بمرور الوقت إلى تشاؤم وخوف من المستقبل"[٧٠]. وما يمكن ملاحظته في نفس الجدول أنّ أفراد العينة قد إختلفوا في بعض المواقف وقد يعود ذلك إلى متغيّر المستوى الدّراسي الذي يمكن أن يؤثّر في الإختيارات والانطباعات فنجد أنّ هناك مجموعة من الشباب من لهم مستوى جامعي يرون أن معنى المواطنة يمكن أن يتحدّد كذلك من خلال الدفاع على حرمة الوطن وإستقلاليته وهم يمثّلون ٤% في حين أنّ بقية أفراد العينة قد إنقسموا بين من يبحث عن الحقّ في الثروات الطبيعيوبين الحقّ في التّشغيل إذ نجد أنّ ٥٠% ممّا من لهم مستوى تعليم ثانوي يركزون على موضوع التشغيل و٦٢,٥% من لهم مستوى تعليم إبتدائي يعبرون على نفس الموقف

---

[68]-Galland (O.), « **Adolescence, post-adolescence, jeunesse, retour sur quelques interprétations** », Revue Française de Sociologie, Vol 42, N°4, 2001, p. 637.

[69] -Galland (O.), **Les jeunes Français ont-ils raison d'avoir peur ?**, Paris, Arrmand Colin, 2009, p.160.

[70] - Bernard (R.), « **Les valeurs des jeunes entre intégration et exclusion** », in Economie et Humanisme, n°367, Institut Nationale de La Jeunesse et de L'Education Populaire, 2003 , p.230.

إنّ أغلب الآراء تتمحور مواطنتها من خلال ضمان حقوقها في المشاركة في الدّورة الاقتصادية أي ضمان الحق في التّشغيل وكذلك من خلال حقها في الثروة الوطنية، وهنا يمكن الإشارة أنّ المجتمع التّونسي تتحدّد صوره الاجتماعية من خلال مجالات تمكين فئاته الاجتماعية وحتّى الشّعور بالمواطنة لا يمكن أن يتحقّق في أغلب الأحيان إلا إذا ضمن الفاعل الاجتماعي أنّ له دور ومكانة اجتماعية واقتصادية داخل المجموعة الاجتماعية التي يعيش معها. ولكن هذا لا ينفي أنّ من له مواقف مختلفة مثلما ذكرنا من قبل ويعود ذلك إلى إرتفاع المستوى الدّراسي لبعض الفاعلين والذي يساعدهم على تفسير الأمور بمنظور مختلف فنلاحظ تنوّعا في إختياراتهم ومواقفهم. وبالتّالي فإنّ "رصد المواقف تجاه عدّة مواضيع مثل درجة الاحساس بالانتماء ودرجة المواطنة والإحساس بها، ا متغيرات ستمكّننا من فكّ شفرة عدّة مسائل وعدّة مواقف متعلّقة بالشّباب"[٧١].

يعي الشباب أن المواطنة قيمة من حيث السّلوك والممارسة كما أنّها صبغة اجتماعيةلا يمكن الشّعور بها إلاّ إذا تمكّن الفرد منهم من الاندماج في الحياة الاجتماعية في جميع النّواحي، ولكن التّهميش والإقصاء الذي يتعرّض له مجموع الشّباب وعدم تمكّنهم في أحيان كثيرة من فرص عمل مهمة رغم أنّ أغلبهم زوال تعليم عالي حسب تقديرهم وحسب ما صرّحوا بها في عديد المقابلات المباشرة التي قمنا بها يجعلهم يشعرون أنّهم قد ابتعدوا عن درجة المواطن الذي يسهم في الدّورة الاقتصادية والّذي يمكن أن يؤسس حياة مستقلة، ولكنهم في ذات الوقت يرون أنّالمواطنة من القيم والمبادئ المهمة التي من الواجب تدعيمها داخل المجتمع وقد تسهم عديد المؤسّسات الاجتماعية الفاعلة داخل المجتمع في ذلك منها المؤسّسات التّقليدية كالمدرسة والأسرة والمؤسسات الحديثة كالمؤسسة الإعلاميّة[٧٢]. يملك الشباب أيضا نفس الوعي الذّاتي تقريبا بالقضايا التي تتعلّق بالكيان أو النّظام السياسي لأنّهم مصدر شرعيته، وهم الذين يمارسون يوميا العمل من أجل صيانته ومراقبته والمشاركة في اتخاذ قراراته مباشرة ، ومن خلال المؤسّسات التّمثيلية. ولكن الوضعيات الاجتماعية المختلفة التي يعيشونها هي التي تحدّد لهم سقف أولوياتهم وإختياراتهم، فتجدهم يبحثون عن الحلول لتحسين معيشهم اليومي في الجانب الاقتصادي على حساب الجانب السّياسي أو المدني ولكن ذلك لا يمنع أنّ هناك من عبّر عن مواقف مختلفة وذلك يعود إلى المستوى الدّراسي الذي يمكن أن يساعدهم على تحديد الأمور من جانب مختلف. وقد حاولنا أن نبحث في بعض العوامل التي يمكن أن تؤثّر في تأصيل مفهومالمواطنة لدى المجموعة الاجتماعية وهذا ما سنوضحه في الجدول التّالي

71- Galland (O.), Roudet (B.), **Les jeunes Européens et leur valeurs, Europe Occidentale, Europe Orientale** , Paris, La Découverte, 2005, p.340.

٧٢– حسين توفيق، "**التطور الديمقراطي في الوطن العربي، قضايا وإشكاليات**"، مجلة السياسة الدولية، عدد ١٤٢، ٢٠٠٠، ص٣٥.

جدول رقم (٥): العوامل الساعدة في تأصيل مفهوم المواطنة حسب متغير العمر

رأي أفراد العينة / الفئة العمرية	التوعية الإعلامية	التّربية الأسرية والمدرسية	تفعيل مشاركة الشّباب	المجموع
٢٠-٢٤	%٥٦,٢٥	%١٨,٧٥	%٢٥	١٠٠
٢٥-٢٩	%٣٤,٧٨	%٢١,٧٣	%٤٣,٤٩	١٠٠
٣٠-٣٥	٤٠,٥٤	%٣٢,٤٦	%٢٧	١٠٠

المصدر: الدّراسة الميدانية

نلاحظ من خلال في هذا الجدول أنّ أغلب الفئات العمرية إتّفقت حول أهمية التوعية الاعلامية في تأصيل مفهوم المواطنة، وما يمكن الوقوف عنده من خلال نفس الجدول أنّ الفئة العمرية الأخيرة ٣٠-٣٥ سنة تتفق مع بقية أفراد العينة في نفس المواضيع ولكنّها أعطت أهمية كبيرة إلى التربية الأسرية والمدرسية إذ أكّد ٣٢,٤٦% من بين المنتمين لهذه الفئة العمرية أنّ التنشئة الاسرية والمدرسية تقوم بدور مهم في تأصيل هذا المفهوم يرون أنّ الأسرة والمدرسة تقوم بدور هام في تأصيل مفهوم المواطنة لدى المجموعة الاجتماعية باعتبارها البيئة الأولى لتنشئة الفاعل الاجتماعي، فهي المؤسّسة الاجتماعية التي تعنى بالتّماسك الاجتماعي لكونها مصدرا لتكوين الشّخصية والانتماء والهويّة الإنسانيةوالوطنية والمحطة الأولى التي يتزود خلالها الفرد أهم أسس التّربية "ومن أهم أدوار الأسرة إعداد الفرد نفسياً وجسمياً وعاطفياً واجتماعياً، وذلك بواسطة تغذيته بالأسس السّليمة للحياة والعمل فيالمجتمع وتزويده بالمهارات والمواقف الأساسية التي يحتاجها الفرد، عبر مزجها بمتطلبات الموقف ومحدّدات الثّقافة المجتمعية "[٧٣]، وبذلك يستطيع الفرد أن يتعايش في مجتمعه ويندمج فيه إندماجا سليما. فالأسرة "تمثّل البيئة الأوّلية التي يتوجّب عليها الوفاء بحاجات الطفل ومتطلباته من الرعاية القائمة على الحب والتّعاطف والأمن النّفسي والاجتماعي، وبغرس الموروثات والقيم الحضارية والوّحية في وجدانه بالصّورة التي تؤهله

[٧٣]– عبد الله المجيدل، "**دراسة في أزمة الانتماء والمواطنة في التربية العربية**"، مجلة الفكر السياسي، سلسلة عدد٨، دمشق، إتحاد الكتاب العرب،٢٠٠٥ ، ص١١.

ليشب ناضجا وراشدا وقادرا على تحمل مسؤولياته وواجباته في المستقبل خالية من الشوائب أو التّبعات السّلبية[٧٤]. أمّا بقية الفئات العمرية (أنظر الجدول رقم ٦) لم تعطي هذا الجانب أهمية كبرى على خلاف إختياراتهم الأخرى لذلك فمن المهمّ أن نتساءل عن درجة الرّضا ودرجة الثّقة التي يكنّها الشّباب لمؤسّسات الدّولة حتّى نتمكّن من فهم تلك الآليات التي تربط الافراد فيما بينهم، ولكي نفهم تلك الآليات علينا أن نقيس درجة الاندماج الاجتماعي ودرجة المواطنة كمتغيرين هامين يمكّنانا من فهم الواقع الحقيقي الذي يتحرّك فيه الشّباب. ففعل الاندماج والقدرة على الاندماج يعود أساسا إلى ذلك الشّعور القوّي بالانتماء والقدرة على مشاركة الآخر قيمه وعلاقاتهذا ما يدعم الثقة بالذّات

والمتمعّن لمجموع هؤلاء الشّباب فسيلاحظ تلك السّلوكيات المهيمنة في تصرفاتهم ومواقفهم نتيجة لوضعية إجتماعية واقتصادية وسياسية داخل المجموعة الاجتماعية التي ينتمون إليها، فالظّروف المحيطة بهؤلاء هي التي تؤثّر بشكل مباشر في تشكّل أرائهم ومواقفهم من أمور عديدة تمسّ مشاكلهم أو تمسّ المجتمع الذي يعيشون فيه وقد حاولنا أن تتبّع أراء الشّباب حول تمثّلات المستقبل لتونس كدولة تنتمي إلى محيط عربي إسلامي لم تسلم كغيرها من الدّول من التّأثيرات العالمية في مجالها الاجتماعي والسّياسي والاقتصادي. يطرح موضوع الشّباب مسألة الآفاق والمكانة التي يفتحها المجتمع للأجيال الشّابة، فعندما يشعر الشّاب أنّه يعيش في مجتمع يحسن الإنصات إليه ويمنحه الاهتمام المستحق والرعاية اللاّزمة، فإنه ينخرط بحماس في العمل السّياسي، والعكس صحيح

الخاتمة :

لقد خلصنا في الحقيقة إلى عدّة إستنتاجات هامة مكنتنا من فهم بعض المواقف التي يحملها الشباب تجاه عديد المسائل، كما تمكّنا من رصد بعض الانتظارات الاجتماعية لهذا النّوع من الفئات داخل المجتمع. فلا يمكن أن نفصل بين وضعيات الواقع الاجتماعي الذي يعيشه الفرد وبين مواقفه، فالوضعية الاجتماعية ونقصد هنا المكانة الاجتماعية، المستوى الدّراسي، الفئة العمرية...وغيرها من المتغيرات التي يمكن أن تؤثّر في بناء التصورات والمواقف الحياتية لهذه الفئة الاجتماعية فلا يمكن أن ننكر أنّ المجتمع التّونسي واجه ولا زال يواجه عدة تغيرات اجتماعية قلبت عدّة موازين اجتماعية تقليدية كانت هي ميزة المجتمعات المحافظة

فالمجتمع التّونسي في حالة تغير طرأت عليه عدّة مفاهيم وسلوكيات جديدة أثرت في الفاعلين الاجتماعيين لذلك من المهم أن نهتم بهذه التّغيرات وأن نؤسّس لتفسيرات تساعد هؤلاء الفاعلين على تخطي هذه المرحلة وتكّمنهم من الاندماج بطريقة سليمة داخل المجتمع، ففئة الشّباب قد تمثل خطرا اجتماعيا في الظّاهر ولكنها يمكن أن تكون وسيلة للتّطور

[٧٤] – المرجع السابق ،ص٢٠.

والتّجديد إن تمكنت الدولة بجميع مؤسساتها من أن تستوعبهم بطريقة سليمة وقد خلصنا في هذا المحور إلى عدّة نتائج نحاول ايضاحها كالتّالي: أحد وظائف المجتمع المدني في رأيهم تقوم على ايجاد تسويات اجتماعية وإقتصادية وسياسية ويظهر ذلك خاصة في الجدولين رقم (٤) ورقم (٥) ،إذ يساهم بعدّة أنشطة اجتماعية واقتصادية وثقافية وإيكولوجية وسياسية وعلمية لإخراج المجتمع من أزماته الخانقة ومشاكله المادّية والمالية والبشرية والمعنوية المحبطة عن طريق رسم خطط إصلاحية وتغييرية جادة حاضرا ومستقبلا لتحقيق التنمية المستدامة وتطوير القدرات البشرية الذّاتية لخدمة الآخر عن طريق الدفاع عن حقوقه المدنية والسّياسيةلقد خضنا في مسألة المواطنة مع أفراد العينة بطرق مختلفة إمّا من خلال الاستبيان أو من خلال بعض المقابلات حتّى نفهم المسألة بشكل أوضح وقد حاولنا أن نستقرأ مجمل التعبيرات التي يمكن أن تبني لنا مواقف واضحة ولقد ساعدتنا النتائجالإحصائية وكذلك النوعية أنّ نفهم الأولويات التي يحملها هؤلاء الأفراد فيمعيشهم اليومي ومن خلالها تبنى تصوّراتهم فالمواطنة في رأيهم هي مجموعة من الحقوق يمكن تلخيصها وترتيبها فيما هو مدني وسياسي واقتصادي وثقافي

قائمة المراجع:

[1]- إبراهيم مدكور ونخبة من الباحثين، **معجم العلوم الاجتماعية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٨٥

[2]- آمال موسى، **بورقيبة والمسألة الدينية**، سراس للنشر، تونس،٢٠١١

[3]- الحبيب بورقيبة، **خطب الجزء التاسع والعشرون**، نشريات وزارة الإعلام، المطبعة الرسمية،١٩٦٢

[4]- حسان قصار، "**التغيرات الديمغرافية الاجتماعية: تحليل ديمغرافي - اجتماعي للشباب في تونس**" ، وقائع ندوة الشباب ثقافة، بيت الحكمة، تونس.

[5] حسين عبد الحميد، **تطوّر النّظم الاجتماعية وأثرها في الفرد والمجتمع**، الهيئة المصرية للكتاب،١٩٨٢.

[6]- حسين توفيق، "**التطور الديمقراطي في الوطن العربي، قضايا وإشكاليات**"، مجلة السياسة الدولية، عدد١٤٢، ٢٠٠٠.

[7]- محمد الشرفي، **الأحوال الشخصية بين التشريع والقضاء وبين الإصلاح في الماضي والإصلاح المنشود في المستقبل**، مركز النشر الجامعي،٢٠٠٨.

[8]- مصطفى المصمودي، النظام الإعلامي الجديد، عالم المعرفة، الكويت،١٩٨٥

[9]- صالح ياسر، "**المجتمع المدني والديمقراطية**"، منشورات طريق الشعب، سلسلة قضايا فكرية، بغداد،٢٠٠٠

[10]- توفيق الديني، **المجتمع المدني للدولة والسياسة**، اتحاد كتاب العرب، دمشق،١٩٩٧

[11]- عبد اللطيف أكنوش، "**الديمقراطيةوالدمقرطةوالانتقالالديمقراطي**" ، جريدة المستقل،عدد٣٤، ٢٠٠٠..

[12]- عبد الله المجيدل، "**دراسة في أزمة الانتماء والمواطنة في التربية العربية**"، مجلة الفكر السياسي، سلسلة عدد٨، دمشق، إتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٥ .

[13]- Bernard (R.), « **Les valeurs des jeunes entre intégration et exclusion** », in Economie et Humanisme, n°367, Institut Nationale de La Jeunesse et de L'Education Populaire, 2003 .

[14]-Cicchelli (V.), « **Liens entre générations et médiation ou de quelques paradoxes dans l'analyse de l'autonomi des jeunes** » texte présnté au troixiéme Rencontres Jeunes et sociétés, Marseille, Octobre 2007, http://jeunes-et-sociétés.cereq.fr/archives3.htm»,CNRS, 2003.

[15]- Galland (O.), **« Adolescence, post-adolescence, jeunesse, retour sur quelques interprétations** », Revue Française de Sociologie, Vol 42, N°4, 2001.

[16]-Galland, (Olivier), Roudet, (Bernard), **Les jeunes Européens et leurs valeurs**, Europe occidentale, Europe orientale, Paris, La Découverte, 2005.

[17] -Galland (O.), **Les jeunes Français ont-ils raison d'avoir peur ?,** Paris, Arrmand Colin, 2009.

[18]- Source: **Population Division of the Department of Economic and Social Affairs of the United Nations Secretariat**, World Population Prospects: The 2006 Revision and World Urbanization Prospects: The 2005 Revision, http://esa.un.org/unpp

[19]- Muxel, (A**.), L'expérience politique des jeunes,** Presses des Sciences Po, Paris, 2001.

مؤثرات التغير الاجتماعي والواقع الزواجي بالجزائر

(سير نحو الفردانية)

أ. باشيخ أسماء / قسم العلوم الاجتماعية جامعة أدرار، الجزائر

ملخص:

تُشكل الأسرة في كل مجتمع النواة الحيوية فيه، اذ منها ترسم ملامحه وبها تتحقق استمراريته وضبطيته، الأمر الذي يعطي أهمية للآلية التي عن طريقها تتكون هذه الأخيرة (الأسرة) .

هذه الآلية التي نعني بها تحديدا عملية الزواج، الذي به نجمع بين طرفين لغرض الانجاب و لتحقيق حاجات سوسيونف سية أخرى، إلا أن الطقوسيات الممارسة في هذا الأخير —الزواج– لم تثبت على حال واحدة، بل لم يترك العامل الزمني مجالا لبقاء الكثير من الممارسات السابقة، وذلك بفعل الثورة التكنولوجية، وتغير الذهنيات والمستويات الاقتصادية....وعوامل أخرى عديدة .

فالتغير الاجتماعي كما هو معلوم حتمية كل شيء في المجتمع ومنها الزواج الذي نحاول من خلال هذا المقال مناقشته وذلك بتبع المحطات الزواجية الكبرى في علاقتها بتأثيرات التغير الاجتماعي في ظل الواقع الجزائري من الاحتضان الأسري الى السلطة الفردانية للزوجين.

مقدمة:

إن اختلاف الممارسات الطقوسية الزواجية من مجتمع لآخر لم يمنع من توحد هذه المجتمعات حول أهمية هذا الموضوع — الزواج– وكتعبير على ذلك تخصه بطقوس خاصة تميزه عن أي حدث آخر عابر في المسار الفردي والمجتمعي، وذلك على اعتبار الزواج هو الرابطة العلائقية التي تجمع الجنسين في شكل م شروع يقره الوسط الاجتماعي الذي يعيشان فيه .

وملم هو معروف أن المجتمعات لحقتها العديد من التغيرات في مختلف المجالات الاقتصادية والسياسية والتكنولوجية والثقافية ...وغيرها، وكلها تغيرات انعكست لا محال على الواقع الاجتماعي المحتوية فيه؛ وطقوسيات الزواج كغير ها من الطقوس الأخرى عرفت تبدلات عديدة بالإضافة أو الحذف أو التعديل، الأمر الذي نناقشه من خلال هذا المقال وذلك بالإجابة عن الاشكال التالي : **ما هي تفاصيل التغير الاجتماعي الطارئة على الممارسات الزواجية في الواقع الجزائري؟** الأمر الذي يتم باعتماد المنهج المقارن الذي يتجسد بابراز فروقات التغير (الماضي/الحاضر) في المحطات الكبرى للزواج؛ كما قد تم هيكلة المقال في مبحثين أولهما عبارة عن مدخل عام حول مفهوم الزواج،والمبحث الثاني يعرض محطات الزواج وما تغير فيها من ممارسات اجتماعية.

١) تعريفات الزواج:

تختلف التحديدات التعريفية للزواج باختلاف المقاربة المعرف من خلالها فالتعريف الاجتماعي يختلف عن القانوني وعن الديني وهكذا، ففي التعريف القانوني مثلا نجده يعرف على أنه «عقد يتم بين رجل وامرأة على الوجه الشرعي»[٧٥].

هذا التعريف الذي تم التركيز فيه على الصيغة التي تتم بموجبها ا لرابطة الزوجية، فهي حسب المشرع الجزائري عقد بين جنسين كأي * **شراكة** * تتم بين طرفين اجتماعيين، إلا أن الزواج شراكة لها صبغتها الخاصة.

و الزواج في تعريف آخر عبارة عن « رابطة مقدسة أو شرعية تجمع بين الرجل والمرأة والتي يترتب عنها وظيفة الانجاب ويتوقف عليها بقاء النوع البشري، ونستطيع أن نقول أنّ تتبع النسب القرابي يكون عبر الروابط الزواجية المختلفة التي تؤدي الى انجاب السلف للخلف الذي يصبح عبر الزمن الأسرة والعشيرة والقبيلة والمجتمع »[٧٦] فهذا التعريف كما نلاحظ حاول التركيز على نواتج الزواج ودوره في تكوين المجتمع وا ستمراريته من خلال الانجاب الذي يحدد بدوره النسق القرابي للأسرة.

وفي تعريف قريب من السابق نجده يعرف الزواج على أنه «علاقة جنسية تقع بين شخصين مختلفين في الجنس "رجل وامرأة " يشرعها ويبرر وجودها المجتمع وتستمر لفترة طويلة من الزمن يستطيع خلالها الشخصان ا لم تزوجان البالغان انجاب الأطفال وتربيتهم تربية اجتماعية وأخلاقية ودينية يقرها المجتمع ويعترف بوجودها وأهميتها»[٧٧] .

---

[٧٥] دلاندة يوسف ،**قانون الأسرة**، دار هومة، الجزائر، ٢٠٠٢، ص٦.

[٧٦] عامر مصباح ، **علم الأنتروبولوجيا**، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ٢٠١٠، ص ٢١٩.

[٧٧] نفس المرجع، ص١٨٢.

كما يعد الزواج أيضا « وحدة جنسية دائمة نسبيا بين فردين أو أكثر على أن تكون هذه الوحدة مقبولة من الناحية الاجتماعية، ومنهم من يعرفه بأنه النمط الا جتماعي الذي على أساسه يتم الاتفاق بين شخصين أو أكثر على تكوين أسرة »[٧٨] .

من خلال التعريفات المذكورة أعلاه نجد الزواج هو أساسا علاقة تقام بين رجل وامرأة **– ليسا من المحارم حسب الشريعة الإسلامية –** بحيث تقوم هذه العلاقة لدوافع عدة أهمها العلاقة الجنسية التي تنظم عن طريق هذا الزواج والإنجاب، ويكون الزواج بمباركة الأهل بحيث تقام له احتفالية خاصة تجسيدا للبعد الديني والاجتماعي له وذلك وفق نمط ثقافي يعترف به المجتمع.

٢) أسباب اللجوء للزواج :

تختلف أسباب الزواج من فرد إلى آخر وذلك باختلاف اعتقادات الفرد وتكوي نه وتنشئته وغيرها من المحددات الأخرى بحيث يرى «**بومان**» أن الناس يتزوجون لعديد من الأسباب مجتمعة أو لسبب واحد أو أكثر وتتمثل هذه الأسباب فيما يلي [٧٩]:

١. الحب. ٢. الأمان الاقتصادي.

٣. الرغبة في حياة المنزل. ٤. الأمان العاطفي .

٥. تحقيق رغبة الوالدين. ٦. الهروب من الوحدة.

٧. الهروب من أوضاع غير مرغوب فيها في منزل الأسرة.

٨. تحقيق مركز اجتماعي معين. ٩. وجود الصحبة والصداقة.

١٠. المغامرة والفضول لما في الزواج.

وبالإضافة الى هذه المحددات العشر التي لا يمكن أن نقول أنها شاملة بل قد تتواجد غيرها وعلى سبيل المثال الحث الديني « فالشريعة الاسلامية مثلا نهت عن العزوبة وحضت على الزواج ومن ذلك قول الرسول صلهم **"تناكحوا تناسلوا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة "** وفي دليل آخر حيث روى «**ابن عبد البر**» أن الرسول سأل عكاف بن وداعة الباهلي: ألك زوجة ؟ قال لا قال ولا جارية؟ قال لا قال وأنت صحيح وموسر؟ قال نعم والحمد لله فقال له

[٧٨] عصام محمد منصور، **المدخل إلى علم الاجتماع** ، دار الخليج، الأردن، ٢٠١٠، ص٩٥.

[٧٩] حسين عبد الحميد رشوان، **الأسرة والمجتمع**، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ٢٠٠٣، ص ١١.

الرسول صلهم :أنت إذن من إخوان الشياطين إما أن تكون من رهبان النصارى فأنت منهم، وإما أن تصنع كما نصنع، وإن من سنتنا النكاح شراركم عزابكم وأراذل موتاكم عزا بكم، ويحك يا عكاف تزوج فقال عكاف لا أتزوج حتى تزوجني من شئت فقال الرسول فقد زوجتك على اسم الله والبركة كريمة بنت كلثوم الحميري»[٨٠] .

فنجد هنا أن المجتمع الاسلامي من بين موجهاته للزواج هو الدين ذاته، وقد تختلف موجهات الزواج باختلاف الجنس أيضا فكثيرا ما تلجأ الفتاة للزواج تجنبا لما يصحب العنوسة من ضغوط اجتماعية، ورغبة في اشباع غريزة الأمومة، وبالنسبة لي الرجل تلحقه ضغوط أيضا واتهامات اجتماعية سواء في قدرته البيولوجية عامة وقدرته الجنسية خاصة أو أحكام اتهامية أخرى، مما يدفعه لزواج لرد تلك الإدعات، كما يعد الزواج بالنسبة للرجل اثبات لرجولته في العديد من المجتمعات .

ثم أن الرجل والمرأة قبل الزواج يبدوان في المخيال الاجتماعي أنهما قاصران وغير راشدان حتى وإن تقدم سنهما في حين تتغير هذه النظرة بعد زواجهما أين يصبح يُنظر لهما بعين النضج، كما نجد أن المجتمع يعطي للمتزوج وقارا وهيبة أكبر من غير المتزوج فالرجل المتزوج أكثر هيبة من غيره والمرأة بنفس الشيء.

٣) أنواع الزواج:

للزواج أنواع عديدة تختلف باختلاف الاعتقادات الدينية والاجتماعية المحفوفة بهذا الموضوع ونحن في هذا الاطار يمكن ذكر الأنواع التالية التي تعتبر أكثرها شيوعا:

الزواج الداخلي: ويسمى أيضا الأندوغاميا **ENDOGAMIE** وهو القاعدة الاجتماعية التي تقتضي الشخص أن يتزوج من داخل الجماعة التي ينتسب إليها (الجماعة القرابية)[81] بمعنى لا يسمح للفرد الزواج من خارج دائرته الاجتماعية القرابية بالدرجة الأولى.

الزواج الخارجي: ويسمى الأكزوغامية **EXOGAMIE** وهو نظام يقضي بضرورة زواج الرجل أو المرأة من أشخاص خارج جماعتهم، وقد يكون هذا النظام من الزواج اختياريا أو اجباريا فقد يختار الرجل امرأة له خارج جماعته أو قد يجبر على الزواج من امرأة خارج جماعته وقد تكون هذه الجماعة جماعة قرابية أو قبيلة أو قرية[٨٢].

---

[٨٠] عبد السلام الترمانيني، **الزواج عند العرب في الجاهلية والاسلام "دراسة مقارنة"**، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٤، ص ٥٠.

[٨١] عبد القادر القصير، **الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية**، دار النهضة، بيروت، ١٩٩٩،ص ١٢٢.

[٨٢] فاروق مداس، **مصطلحات علم الاجتماع**، دار مدني، ب ب، ٢٠٠٣، ص ١٣٠.

وفي حقيقة الأمر كلمة داخلي وخارجي كلمة غير محددة بدقة ولم يتم الاتفاق عليها فماهي الحدود التي على اثرها يتم تحديد ما هو داخلي وما هو خارجي، فأحيانا نشير الى زواج داخلي من نفس (العائلة) أو (القبيلة) و أحيانا أخرى اذا كان من نفس (القرية) وأحيانا من نفس (الثقافة) فمسألة التحديدية مرتبطة أساسا بالطرف الآخر للمقارنة فعندما يكون الحديث عن القبيلة يكون مقابلها خارج القبيلة أي الزواج من داخلها يسمى داخليا ومن خارجها فهو خارجي، وعندما يكون الحديث عن القرية يكون نفس الشيء الزواج من داخلها يعد زواجا داخليا ومن خارجها يعد زواج خارجي وهكذا بالنسبة لغيرها من المتقابلات الممكن طرحها، من ذلك فما سمي أنه زواج خارجي أحيانا قد يكون داخليا في مقاربة أخرى .

التغير الاجتماعي والزواج أي علاقة؟:

١) مفهوم التغير الاجتماعي:

تختلف تحديدات مفهوم التغير الاجتماعي باختلاف مقار بات التعريف فمثلا تعريفات الماركسية تختلف عن الوظيفية وعن غيرها من المقاربات الأخرى وذلك لكون لكل مقاربة افتراضاتها التي لا تخرج عنها تحديداتها المفاهيمية، ومع هذا نحاول تقديم بعض التعريفات التي نرى أنها تخدم مفهوم التغير المراد الاشارة اليه في هذا المقال ؛ ومن بين التعريفات المحددة للتغير الاجتماعي نجده يعرف على أنه «ظاهرة اجتماعية يحدثه المجتمع بقصد ويتغير من حالة إلى حالة وفق خطة مدروسة وهو سمة ملازمة للمجتمعات»[٨٣].

ويعرف على أنه «كل ما يشير الى التباين التاريخي في العلاقات بين الأفراد والجماعات والتنظيمات والثقافات والمجتمعات ...كما يعرف بأنه التبدل في أنماط السلوك والعلاقات الاجتماعية والنظم والبناء الاجتماعي»[٨٤].

أما عن سوسيولوجيا التغير نجده اهتم بهذا الموضوع – التغير الاجتماعي- منذ القرن ١٩ عندما قام أوجست كونت وسبنسر بتفسير أسباب التغير الاجتماعي ونتائجه في المجتمعات[٨٥].

بذلك نجد أن التغير الاجتماعي هو كل وضعية مستحدثة ولم تكون موجودة من قبل بحيث هذه الوضعية استحدثت بفعل عوامل مختلفة (اقتصادية،سياسية،دينية...وغيرها) ،ولا يكون هذا التغير بالضرورة جدريا فقد يكون تغيرا لجوانب والمحافظة على جوانب، كما قد يمس ك ل الفاعلين في المجتمع و قد يعزف عنه البعض ويقبل عليه البعض الآخر

[٨٣] عصام محمد منصور،مرجع سبق ذكره،ص ١١٥.

[٨٤] ابراهيم عثمان، **مقدمة في علم الاجتماع**، دار الشروق، الأردن، ١٩٩٩،ص ٣٣١.

[٨٥] عصام محمد منصور ، مرجع سبق ذكره، ص ١١٦.

(الموضة مثلا كآلية لتغير ...) ونحن من خلال هذا العرض نحاول لمسه تحديدا في الممارسات الزواجية المحددة بمحطاته الكبرى المتعارف عليها اجتماعيا .

٢) التغير الاجتماعي في عملية الاختيار الزواجي:

«تعتبر عد عملية الاختيار الزواجي أول محطات الزواج التي تعد محورية وقد يعلق عليها نجاح الزواج وفشله كما عملية الاختيار الزواجي هي المحطة التي يبدي فيها الفرد نية في تغير وضعه من أعزب إلى متزوج وهو ليس عملية اجتماعية حديثة العهد بل حدث في التاريخ الانساني كل ه وهو سلوك اجتماعي يتضمن فردا ينتقي من جملة من المعروضين له قصد الزواج ،وقد جعلت أعراف الشعوب وتقاليدها الرجل هو البادئ صراحة في عملية التودد الى المرأة التي تنتهي بالزواج لكن ذلك لا ينفي دور المرأة في تطوير العلاقة فهي ليست سلبية دائما كما نظن»[٨٦] حتى أنه هناك مداخل نظرية حاولت تفسير عملية الاختيار الزواجي يمكن أن نذكرها بإيجاز في الآتي[٨٧]:

نظرية التجانس: وهي النظرية التي ترى أن الاختيار الزواجي أساسه التجانس أي أن الفرد يختار من الطرف الذي يشبهه في الخصائص الاجتماعية والعامة وفي الخصائص أو السمات الجسمية أي أ ن يكون هناك تشابه بين الشريك في الدين والمستوى التعليمي والاقتصادي وفي السن والحالة الزواجية الى جانب وجود تشابه في الطول ولون البشرة.

نظرية التجاورالمكاني: وهو ميل الأفراد الى الاختيار من هؤولاء الذين يعيشون قربهم أي هؤلاء اللذين يدرسون معهم في مدرسة أو م عهد واحد أو يعملون معا وغيرها من أشكال التقارب المكاني، وهذا ما يمكن أن نطلق عليه الفرصة الايكولوجية للاختيار فهذه النظرية ترى أن الاختيار يتم بين هؤولاء اللذين تتاح لهم فرصة مقابلة بعضهم بعض.

نظرية القيمة : يكون الاختيار هنا على أساس القيمة التي يحملها ال فرد والتي يعتبرها الفرد المقبل على الزواج ذات أهمية كبيرة في عملية اختياره ونتيجة لذلك إن الفرد يختار شريكة حياته من هؤلاء اللذين يشاركونه أو على الأقل يقبلون قيمه الأساسية.

وجود هذه النظريات في أشكالها الثلاث لا يعني عدم تقاطعها فالفرد قد يأخذ بالنظريات الثلاث في عملية الاختيار.

---

[٨٦] عبد القادر القصير، مرجع سبق ذكره، ص ١٢١.

[٨٧] نفس المرجع، ص ١٢٤.

ودخول التغير الاجتماعي على عملية الاختيار الزواجي يعني أن هناك محطات تقليدية للاختيار تميزها مميزات معينة ومحطات معاصرة تميزها مميزات أخرى وفيما يلي يتم عرض ذلك وذلك بتقسيم التغير الى مرحلتين مرحلة ما قبل التغير "الصورة التقليدية" ومرحلة ما بعد التغير "الصورة الحديثة".

أولا: الاختيار الزواجي التقليدي : (مرحلة ما قبل التغير) بطبيعة الحال فالزواج مسألة لا تخرج عن طقوسيات المجتمع وأعرافه التي تخلع عليه ثوب القداسة والأهمية، «وفي المجتمع العربي عموما نجد أن الاختيار الزواجي لطالما اعتبر شأنا عائليا لهذا كان يرتب من قبل الوالدين والأقارب فالاختيار هو من اختصاص الوالدين حيث تراعى فيه مصالح الأسرة وطموحاتها ومفهوماتها حول الجمال والمال والأخلاق مسترشدة بالتقاليد الموروثة ولا تعطى للعرسين فرصة اتخاذ القرارات المتعلقة بالزواج»[٨٨] .

ولا يختلف الشأن كثيرا في الواقع الجزائري «حيث يعد الزواج أهم حدث في حياة العائلة الجزائرية التقليدية نظرا لكونه القاعدة الأساسية في تكوين العائلة وتحديد مكانتها داخل المجتمع ...من ذلك جعلت مهمة الشروع فيه وإتمامه من المهام الرئيسية المسندة للعائلة بدلا من الأفراد المعنيين بالأمر خاصة وأن الآباء يعتقدون باختيارهم المحكم لزوجة ابنهم أو زوج ابنتهم في عملية المصاهرة سوف يحتفظون بمهمات كبيرة مع أبنائهم كوجودهم بقربهم والحفاظ على مراكزهم الاجتماعية والاقتصادية»[٨٩]

من ذلك يمكن أن نستنتج أن الأسرة الجزائرية التقليدية كانت عملية اختيارها الزواجي محكم بثلاث محكمات كبرى هي:

١) أن يكون الزواج داخليا أي أن يتم اختيار الزوج أو الزوجة من داخل الأطر القرابية.

٢) أن تراعى المصلحة الاجتماعية والاقتصادية للأسرة في الزواج.

٣) ضمان استمرار خدمات الابن للعائلة بعد الزواج.

ولربما يرجع سبب وجود هذه المحكمات الى أن ذلك يضمن للعائلة عديدا من النقاط المفصلية في ذهنية العائلة التقليدي فعلى سبيل المثال الانتقاء الزواجي الداخلي يضمن مايلي[٩٠]:

١) العلم بأخلاق الفتاة وعذريتها.

---

[٨٨] نفس المرجع، ص١٢٤.

[٨٩] مليكة لبديري، **الزواج والشباب الجزائري إلى أين؟**، دار المعرفة، الجزائر، ٢٠٠٥، ص ٥٠.

[٩٠] عبد القادر القصير، مرجع سبق ذكره، ص ١٢٩.

٢) الوالد يشعر بدرجة عالية من الاطمئنان عندما يزوج ابنته بإبن أخيه أو ابن أخته.

٣) أنه أكثر ضمانا وتجنبا للطلاق في حالة عدم الانسجام.

٤) قلة المهر الذي يطلبه أهل الفتاة.

٥) تركز الثورة وعدم بعثرتها في حال الأسرة الغنية.

من ذلك وبما أن العملية الانتقائية هي من وظائف الوالدين بدون منازع «فلا يحق للبالغ إخبار عائلته أو تذكيرهم بضرورة تزويجه فالبنسبة للرجل هم اللذين يقررون موعد زواجه ويختارون الزوجة التي يمكن أن يرتبط بها وكذلك الأمر بالنسبة للفتاة فلا يحق لها هي الأخرى مفاتحة أو مصارحة عائلتها حول موضوع زواجها أو الشخص الذي تود الزواج منه فزواجها أمر يحسم من قبل والديها وأولياء أمرها»[٩١].

نلاحظ من ذلك أن عملية ا لاختيار الزواجي كانت محفوفة بكثير من الحياء والمحافظة والاحتضان الأبوي وكان القهر الدوكايمي هو الحاضر في تلك العملية أين كل شيئ مفروض على الزوجين من أطراف اجتماعية يرى المجتمع أهليتها لذلك، فالفرد لا وجود لصوته إلا ضمن الأسرة «فكما يقول عاطف غيث الفرد في ا لمجتمعات العربية لا قيمة له إلا في العائلة فهو يعمل من أجل العائلة، ويتزوج من أجلها وينجب من أجل العائلة ولهذا كانت شخصية العائلة هي التي تحدد نماذج سلوكه وتعين المسموحات والممنوعات »[٩٢] هذا كصورة عامة عن عملية الاختيار الزواجي التي عرفت تغيرات عديدة يمكن ملاحظتها بشكل جلي وهذا ما نحاول توضيحه من خلال الاختيار الزواجي العصري.

ثانيا: الاختيار الزواجي العصري : (مرحلة ما بعد التغير) وهنا نعني المرحلة التي تلت جملة التغيرات الاجتماعية والتكنولوجية والاتصالية والقيمية في البناء الاجتماعي الكلي حيث هنا نجد تغير في عم لية الاختيار الزواجي التي كما رأينا أنها كانت عملية والدية محضة لنرى الآن العكس من ذلك فقد ظهرت الآن وسائط حديثة للزواج حيث تغير الفاعلين في عملية الاختيار من الوالدين الى أصحاب الشأن أنفسهم «الأمر الذي جعل نظام الزواج يعتمد على مبدأ المثالية الرومانتيكية »[٩٣].

فالشريكين أصبحا هما اللذين يختاران أنفسهما بحيث أصبح أهم معيار للاختيار هو **الميل العاطفي** للطرف الآخر "الحب الرومنسي" ،كما أصبح الأفراد يجدون فضاءات بديلة للتعارف عن الوسط العائلي كالانتقاء الزواجي عن

---

[٩١] مليكة لبديري، مرجع سبق ذكره، ص ٥١.

[٩٢] نفس المرجع، ص ٥٢.

[٩٣] احسان محمد حسن، عدنان سليمان الأحمد، **المدخل إلى علم الاجتماع** ،دار وائل،ط٢، الأردن،٢٠٠٩، ص ١٨٥.

طريق مواقع الأنترنت فهناك مواقع عديدة للتعارف قصد الزواج حيث يتم تواصل الطرفين عن طريق ذلك الموقع ومن هذه المواقع يمكن أن نعرض النماذج التالية:

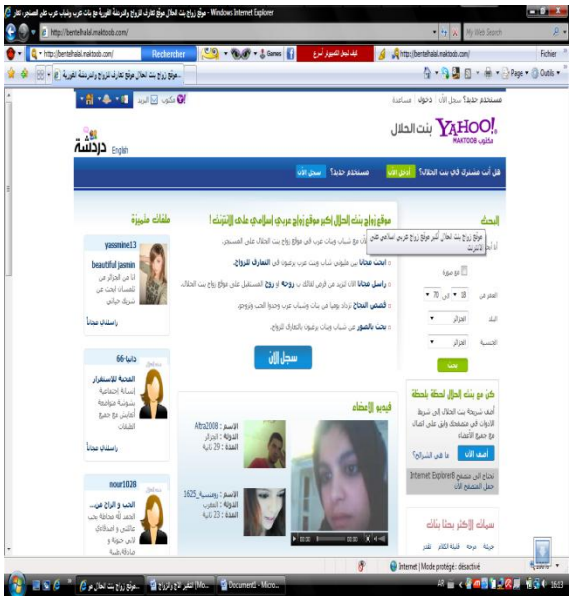

موقع البنت الحلال للزواج

موقع قران للزواج

حتى أنك عند دخول هذه المواقع تجد العديد من التسجيلات الجزائرية، بحيث يتم فيها عرض مواصفات الطالب والمواصفات التي يطلبها في الشريك وعلى كل من تعجبه مواصفات شخص ما ترك رسالة تعارف له توحي بالتجاوب، ومن ما لاحظته أن هذه المواقع لا تعبر عن هويتها صراحة (بلدها، تفاصيل مشروع الموقع ، أهداف جدية للموقع....) بل تصف نفسها أن غرضها التوفيق الحلال ومساعدة الطرفين على التواصل لغرض الزواج وتعرض مواصفات الأفراد مكتوبة مزودة بصورة أو عن طريق فيديو يضعه الطالب أيضا.

وكآلية أخرى للاختيار الزواجي أصبح الآن ما يعرف بالاختيار الزواجي عن طرق الجرائد ففي دراسة سوسيولوجية «**لمليكة لبديري**» حول زواج الشباب الجزائري عن طريق الإعلانات توصلت للعديد من النتائج نذكر منها ما يلي[٩٤]:

-الأسرة الجزائرية المعاصرة تخلت عن وظيفتها التزويجية وتدخلها أصبح قائما فقط على أساس النصح والتوجيه فقط أي التدخل الشكلي بدلا من المساعدة الفعلية .

[٩٤] مليكة لبديري، مرجع سبق ذكره، ص ١٣٠.

– تساهم الوضعية الاجتماعية والاقتصادية والمادية للأفراد في لجوئهم الى الاعلانات عن طريق الجرائد حيث المقبلون عليها هم من وضعهم متوسط أو ضعيف الأمر الذي يتعذر عليهم ايجاد شريك بالشكل المباشر فيستعين بهذه الوسيلة.

وبغض النظر عن الوسيطين السابقين نجد أن الانترنت ذاتها تدخلت في العملية التزوجية والاختيارية تحديدا عن طريق الدردشة والمنتديات والمجتمعات الافتراضية facebook. Tweter وغيرها فهي فضاءات أتاحت التقاء الجنسين وتفاعلها افتراضيا.

٣) **التغير الاجتماعي والخِطبة**: الخطبة هي مرحلة ثانية بعد الاختيار وتعرف بأنها «وعد بالزواج ولكل من الطرفين العدول عنها »[٩٥].

«ويلاحظ أن فترة الخطبة كانت إجمالا قصيرة _ في الأسرة التقليدية– وخلالها كانت لا تتاح الفرصة للخطيبين أن يلتقيا ويدرس كل منهما طباع الآخر وعاداته وميوله لأن التقاليد السائدة في المجتمع لا تتيح هذه الاتصالات إلا في أضيق الحدود وفي المناسبات الرئيسية »[٩٦] حيث يكون للوالدين خطبة الفتاة ولا يرها إلى يوم زفافها عند الذهاب اليه في موكبها، وفي بعض الأحيان يتم أخذ صورة فتوغرافية تعرض على الشاب وأسرته قبل ليلة زفها اليه.

أما في الوقت الحالي فأصبحنا نرى أن فترة الخطبة تطول كثير في أحيان تصل إلى ٤ أو ٥ سنوات خطبة وربما أكثر، بحجة الغلاء وأن التحضير لزواج يتطلب وقتا طويلا لأن الأجر محدود نسبيا، كما ظهرت الآن ممارسة أخرى أين يبقى الرجل والمرأة على اتصال وتعارف متواصل بينهما بنية الزواج الى أن يقرب الموعد الحقيقي لزواجهما يتم المزج بين الخطبة والعرس تفاديا لتكاليف كل واحدة على حدة، وفي الخطبة هو يراها وحتى أنهما يخرجان معا للاستجمام أو التنزه... ولم يعد على الزوج رأيتها في ليلة الزفاف فقط.

وما يمكن ملاحظته أنه في البداية كانت تقام احتفالات خاصة للخطبة وطقوس معينة ويعطى لها الزوجان حقها من الاهتمام ،أما الآن فإما أنها ترفق مع الزواج كما سبق الذكر أو يتم اجراء حفلة صغيرة جدا يحضرها أفراد الأسرة المقربون جدا ولا يتم توسعتها بحيث يتم خلالها تلبيس خاتم الخطبة بحيث يلبس كل طرف الآخر خاتمه فتُلبس المرأة الرجل ويلبس الرجل المرأة ويأكلان من قالب الحلوى بالتبادل أيضا فيقدم الرجل للمرأة نصيبا تعمل هي ع لى قصه ووضعه في فاه الزوج ونفس الشيء بالنسبة لها وهي ممارسات دخيلة على الواقع الجزائري ولكن أصبحت أفعالا مسوقا

[٩٥] دلاندة يوسف ،مرجع سبق ذكره، ص٦.

[٩٦] عبد القادر القصير ،مرجع سبق ذكره، ص ١٢٦.

لها في الفضائيات التلفزية مثل ما يعرض في بعض الأفلام، والأغاني ...وغيرهما، فهي مستنبطة أساسا من الرومنسيات الغربية في عمومها؛ هذا في حين الخطبة التقليدية كانت لا تتم كذلك بل يتم تلبس العروس خاتم الزوج من طرف أمه أو أخته الكبرى أو أحد النساء اللذين لهن وقار في الأسرة فالخطبة التقليدية كانت تتم في نوع من الحشمة والمحافظة في طقوسها وليس فيها الكثير من الممارسات الحالية.

٤) **التغير الاجتماعي والمهور** : نقصد هنا بالمهر المقابل الذي يدفع للمرأة لغرض الزواج والذي أوصى الاسلام بتيسيره على المتقدم والمهر قد عرف تغير بتغير البيئات وبتغير الحقبات التاريخية وما كان يسود فيها بحيث «في الجماعات الصائدة كان الرجل يشتري المرأة بما يقدم لأبيها من صيد، وفي الجماعات الراعية كان الرجل يشتري المرأة بما يقدم لأبيها من رؤوس الماشية، وحين استقر الانسان في الأرض وزرعها وأنشأ المدينة أصبح ثمن المرأة غلالا أو رقيقا أو حيوانا،وبظهور النقد أصبح الثمن نقدا»[٩٧].

من ذلك نجد أن النمط الاقتصادي السائد خلال الحقبات التاريخية أثر بشكل جلي على طبيعة المهر في كل مرة بدأ من غنيمة الصيد إلى النقود.

المرحلة الأولى: مرحلة الصيد ← **غنيمة الصيد**

المرحلة الثانية: مرحلة الرعي ← **الماشية ورؤوس الغنم**

المرحلة الثالثة: مرحلة الزراعة ← **الغلة وقناطير الحبوب مثلا**

المرحلة الرابعة:مرحلة المدينة العصرية ← **النقود**

والآن أصبحت المهور ترتفع وتنخفض بحسب خصائص الفتاة بكر أوثيب، عاملة وغير عاملة، طبقتها الاقتصادية، جمالها، المكانة الاجتماعية لأسرتها....وغيرها من المحددات الأخرى.

٥) **التغير الاجتماعي و حفل الزواج (العرس):**

بعد اتفاق الطرفين والأسرتين يتم الاعداد المسبق لحفل ا لزفاف بشراء العروسين ما يحتاجانه من لوازم العرس تجهيزا لموعد الزفاف، «والعرس الى جانب كونه حفلة اجتماعية فهو حفلة دينية وشرعية وقانونية موقرة لها صفاتها الاجتماعية والأخلاقية التي يقرها المجتمع ويتمسك بها »[٩٨].

[٩٧] عبد السلام التمارمانيني، مرجع سبق ذكره، ص ١٤٥.

[٩٨] احسان محمد حسن، عدنان سليمان أحمد ،مرجع سبق ذكره، ص ١٨٣.

«كما يعتبر حفل الزفاف مثل الخطبة اهتماما أنثويا بالدرجة الأولى وعادة ما تقع مسؤولية الاعداد للحفل على أسرة العروس وتكون العروس عادة هي الشخصية اللامعة والمهيمنة فهي محط الأنظار في الحفل ...وترجع أهمية الأنثى في حفل الزفاف إلى عدة أسباب منها أنها ستترك منزل والديها الى منزل زوجها بالإضافة الى أن هذا الحفل يعتبر احتفالا بدخول الأنثى الى دورها الهام كزوجة وأم »[٩٩] ونفس الشيء بالنسبة لذكر ولكن الانثى قد تحظى باهتمام أكبر من الذكر.

أما عن الزواج التقليدي الذي كانت تقام له وليمة كبيرة لأهل الدوار أو الناحية وترتدي العروس فيه أبهى ما حضرته لهذا اليوم وكان هذا الحفل يقوم بنوع من التساند والمعونة لأهل العرس من الأقارب والجيران والأحباب ويقام العرس على ايقاعات نسوية بأغاني شعبية ممزوجة بالزغاريد والتصفيق وقد يقام طلق البارود أو ركوب الخيل والاستعراض بها .

وبفعل التغير الاجتماعي الراجع لعدة عوامل أصبح العرس أكثر كلفة لأن حفلة العرس أصبحت تقام في قاعات للحفلات باهضة الثمن كما أصبح العرس آلية من آليات التباهي والتعبير عن المكانة الاجتماعية «فحفل الزفاف يؤدي وظائف اجتماعية عديدة ترتبط غالبا بالهيبة والاعتبار ذلك أن ثوب الزفاف والنسيج الذي يصنع منه والحائك الذي قام بصنعه كلها أمور تتصل بالمكانة والهيبة الاجتماعية لأسرة العروسين ...وأصبحت مظهرا من مظاهر التفاخر والتباهي التي تحرص عليها بعض الطبقات الجديدة التي ظهرت مؤخرا والتي تحرص على اقامة حفلات الزفاف في قاعات الفنادق الكبرى مع ما يصاحب هذا من ثياب فاخر وفرق موسيقية ومطربين مشهورين وموائد الطعام ...وقد يلجأ البعض لتحقيق ذلك الى انفاق كل ما معهم من نقود أو ربما الاستدانة على اعتبار أن حفل الزواج هو ليلة العمر»[١٠٠].

كما أن نوع الأغاني الموضوعة للعرس تختلف بدورها وقد لحقها أثر التغير الاجتماعي بحيث كانت كما ذكرنا آنفا أنها أغاني نسوية شعبية أما الآن فنجد أغاني الراي هي سيدة الموقف في أغلب الأعراس من خلال الآلات الموسيقية الضخمة (DJ) مع بقاء بعض العائلات المحافظة على الأغاني الشعبية المحلية أو أغاني الفرقة الدينية (المرشدات كما يسمون في الوقع الجزائري) وقد يبدوا الشما ل الجزائري أكثر تأثرا بعامل التغير (خاصة في جهته الغربية) هذا فيما تبقى مناطق الجنوب لا زالت محافظة نسبيا اذا ما قورنت بالشمال الجزائري .

[٩٩] سناء الخولي، **الأسرة والحياة العائلية**، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، ٢٠٠٩، ص ١٩٦.

[١٠٠] نفس المرجع، ص ١٩٦.

وبطبيعة الحال العرس لا يخلوا من المأكولات فبعد أن كان الكسكس واللحم والحليب هو مائدة غداء وعشاء المدعوين أصبح الآن يتجه الأفراد الى الأطباق أو كما تسمى بالطاجين وترفق معه المشروبات والفواكه وأنواع السلطات كما أصبح يهتم بطريقة تقديم المائدة وألوانها وديكور الصحن المقدم للمدعويين،هذا دون أن ننكر محافظة الكسكس على مكانته في بعض مناطق الجزائر .

من ما سبق نجد أن ممارسات الزو اج بالرغم من محتواها الثقافي المعمم في المجتمع، إلا أن الوقت المعاصر أصبح الفاعلون يضفون لمساتهم الخاصة على هذه الممارسات، بل وأصبح الأفراد يتجهون نحو محاولة تحقيق التميز الاجتماعي ، فالكل يرغب في اقامة زواج لم يقم قبله وأن يكون زواجه حدثا خاصا لا يشبه غير ه من زواجات أصدقاءه أو جيرانه أو حتى أقربائه، وذلك كله راجع للتحول سلطة الفعل من الأسرة (الوالدين) إلى أصحاب الشأن أنفسهم اللذين يضفون على الحدث نوعا من الرومنسية كما تتبدى لهم في منظورهم الخاص.

خاتمة:

إن التغير الاجتماعي حتمية مجتمعية لابد منها ولا يم كن انكارها بأي حال من الأحوال وذلك لكون الانسان مفطور على حب التطور وتحسين ظروفه في كل مرة، الأمر الذي يجعله دائما يبحث عن آليات وأساليب لتكيّف مع مستجدات عصره بالصورة التي تحقق له رفاهية أكبر واشباعات أحسن.

ولربما قد نجد أن الزواج لازال يحافظ على بعض الجزئيات التقليدية ،الأمر الذي لا يمنع وجود الكثير من التغيرات المستحدثة فيه بد أً من الاختيار الزواجي، ثم الخطبة والمهور وحفلة العرس، بل وحتى الثياب والأكل المعد للزواج، وكلها تغيرات اقترحها الأفراد الاجتماعيون بفعل النقل الثقافي والاحتكاك والانفتاح على ا لآخر بفعل تكنولوجيا الاتصال وغيرها من الآليات التي كرست فعل التغيير في الممارسات الزواجية المختلفة، والتي تم من خلال ما سبق من عناصر محاولة مناقشتها وطرح توصيفات لها مبرزين المحطات الكبرى للزواج دون الدخول في بعض الطقوسيات الدقيقة التي نجدها تختلف باختلاف المكان فنحن من خلال العرض السابق ثم التركيز على العموميات الزواجية المتفق عليها لدى الجميع (على الأقل داخل المجتمع الجزائر) .

وكل ما تم مناقشته سابقا أبرز كيف كان الزواج شأنا عائليا من بدايته الى نهايته ثم تدخل التغير الاجتماعي بآلياته (تكنولوجيا الاتصال من فضائيات وأنترنت ...، عمل المرأة تحسن المستوى التعليمي في المجتمع ....وغيرها) ليبدأ على إثرها دور الأسرة في الانكماش فتنسحب الأسرة من العديد من المحطات الزواجية (الاختيار، تفاصيل العرس..)

ويتحول بذلك الزواج الى حدث يخص الزوجين بشكل مباشر وما الأطراف الاجتماعية الأخرى إلا تابعة ومكملة وفي أحيان كثيرة مساعدة لتجسيد تصور الزوجين حول عرسهما، فالزواج بذلك قد انسلخ من محتواه الأسري العائلي وذلك بفعل سيادة المنطق الفرداني في النظرة لهذا الزواج.

قائمة المراجع:

١) ابراهيم عثمان،**مقدمة في علم الاجتماع**، دار الشروق، الأردن، ١٩٩٩.

٢) احسان محمد حسن، عدنان سليمان الأحمد، **المدخل إلى علم الاجتماع** ،دار وائل،ط٢ الأردن،٢٠٠٩.

٣) حسين عبد الحميد رشوان، **الأسرة والمجتمع**، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، ٢٠٠٣.

٤) دلاندة يوسف ،**قانون الأسرة**، دار هومة، الجزائر، ٢٠٠٢.

٥) سناء الخولي، **الأسرة والحياة العائلية**،دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، ٢٠٠٩.

٦) عامر مصباح ، **علم الأنتروبولوجيا**، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ٢٠١٠.

٧) عبد السلام الترمانيني، **الزواج عند العرب في الجاهلية والاسلام "دراسة مقارنة"** ،عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٤.

٨) عبد القادر القصير، **الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية**، دار النهضة بيروت ،١٩٩٩.

٩) عصام محمد منصور، **المدخل إلى علم الإجتماع** ، دار الخليج، الأردن، ٢٠١٠.

١٠) فاروق مداس، **مصطلحات علم الاجتماع**، دار مدني، ٢٠٠٣.

١١) مليكة لبديري، **الزواج والشباب الجزائري إلى أين؟**، دار المعرفة، الجزائر،٢٠٠٥.

البطالة وأثرها على الفرد والمجتمع

أ. هاشمي بريقل / أستاذ مساعد –أ– قسم العلوم الاجتماعية ،جامعة تيارت ، الجزائر

ملخص :

البطالة مشكلة اقتصادية، كما هي مشكلة نفسية، واجتماعية، وأمنية، وسياسية، وجيل الشباب هو جيل العمل والإنتاج، لأنه جيل القوة والطاقة والمهارة والخبرة، و أن تعطيل تلك الطاقة الجسدية بسبب الفراغ، لاسيما بين الشباب يؤدي إلى أن ترد عليه تلك الطاقة لتهدمه نفسياً مسببة له مشاكل كثيرة وتتحول البطالة في كثير من بلدان العالم إلى مشاكل أساسية معقّدة، ربما أطاحت ببعض الحكومات، فحالات التظاهر والعرف والانتقام توجه ضد الحكام وأصحاب رؤوس المال فهم المسئولون في نظر العاطلين عن مشكلة البطالة، وتؤكد الإحصاءات أنّ هناك عشرات الملايين من العاطلين عن العمل في كل أنحاء العالم من جيل الشباب، وبالتالي يعانون من الفقر والحاجة والحرمان، وتخلف أوضاعهم الصحية، و عجزهم عن تحمل مسؤولية أسرهم، كما تفيد الدراسات العلمية أنّ للبطالة آثارها السيّئة على الصحة النفسية، فنسبة العاطلين في أي مجتمع تعتبر مقياس هام لمستوى الصحة النفسية التي يعيشها السكان ،كما لها آثارها أيضا على الصحة الجسدية والاجتماعية، فالبطالة من المظاهر العالمية غير أن حجمها يتفاوت من بلد لآخر كما تتفاوت درجة المعاملة الإنسانية التي يتلقاها الفرد العاطل من مجتمعه.

وسنحاول في هذه المداخلة توضيح بعض النقاط العالقة والمتمثلة في ما يلي:

أولا :

– مفهوم البطالة واقعها وكيفية قياسها؟

– ما هية الأبعاد السوسيواقتصادية للبطالة وأساليب التعامل معها ؟

– ما هي أسبابها واهم آثارها على الفرد والمجتمع؟

ثانيا :

– واقع البطالة في الدول النامية.

– البطالة في الفكر الاقتصادي وسبل علاجها.

- أسباب البطالة في الجزائر وطرق معالجتها .

وفي الأخير وضع أهم الإجراءات والاقتراحات الواجب إتباعها لمعالجة المشكلة.

مقدمة :

تعتبر البطالة من المظاهر العالمية غير أن حجمها يتفاوت من بلد لآخر كما تتفاوت درجة المعاملة الإنسانية التي يتلقاها الفرد العاطل من مجتمعه، و نسبة العاطلين في أي مجتمع تعتبر مقياس هام لمستوى الصحة النفسية التي يعيشها السكان.

من المعلوم أن البطالة مشكلة عويصة تعاني منها كل الشعوب على اختلاف مشاربهم وأجناسهم لكن هذا لا يعني أنه ليس هناك حل ناجع للحد من آثارها على المجتمع.

الجدير بالذكر أن البطالة أصبحت تعد من أخطر المشكلات التي تواجه المجتمع الجزائري لكونها تشكل إهدار لعنصر العامل البشري مع ما يتبع ذلك من آثار اقتصادية و اجتماعية وخيمة كم ا تشكل بيئة خصبة لنمو الجريمة والتطرف وأعمال العنف وسببا رئيسيا في انخفاض مستوى معيشة الغالبية العظمى من المواطنين وفي تزايد أعداد من يقعون تحت خطر الفقر المطلق ، فالبطالة مشكلة اقتصادية، كما هي مشكلة نفسية، واجتماعية، وأمنية، وسياسية . وجيل الشباب هو جيل العمل والانتاج، لأنه جيل القوة والطاقة والمهارة والخبرة . وإن تعطيل تلك الطاقة الجسدية بسبب الفراغ لاسيما بين الشباب يؤدي إلى أن ترتد عليه تلك الطاقة لتهدمه نفسياً مسببة له مشاكل كثيرة . وتتحول البطالة في كثير من بلدان العالم إلى مشاكل أساسية معقّدة، ربما أطاحت ببعض الحكومات، فحالات التظاهر والعنف والانتقام توجه ضد الحكام وأصحاب رؤوس المال فهم المسؤولون في نظر العاطلين عن مشكلة البطالة.

وتؤكد الإحصاءات أنّ هناك عشرات الملايين من العاطلين عن العمل في كل أنحاء العالم من جيل الشباب، وبالتالي يعانون من الفقر والحاجة والحرمان، وتخلف أوضاعهم الصحية، و عجزهم عن تحمل مسؤولية أُسرهم ،كما تفيد نفس الإحصاءات العلمية أنّ للبطالة آثارها السيّئة على الصحة النفسية، كما لها آثارها على الصحة الجسدية.

إذن ما المقصود بمصطلح البطالة وما أنواعها ؟ ما هي أهم الآثار الناجمة عن هذه الظاهرة؟

هل هناك آليات لعلاج مشكلة البطالة ؟

ما هي التحدبات التي تواجهها المنطقة العربية والجزائر بالخصوص من جراء هذه الظاهرة ؟

كيف يمكن تفسير وتحليل واقع البطالة في الدول النامية والوطن العربي من وجهة نظر السوسيواقتصاديين؟

تعريف البطالة :

قد يبدو للوهلة الأولى أن تعريف **العاطل** بأنه من لا يعمل هو التعريف الصحيح والكافي ،ولكن الحقيقة هو أن التعريف غير كاف وغير دقيق، فليس كل من لا يعمل يعتبر عاطلاً، كما أنه ليس كل من يبحث عن عمل يعتبر أيضاً عاطلاً، فدائرة من لا يعملون تعتبر أكبر بكثير من دائرة العاطلين .

فعند إعداد الإحصاءات الرسمية عن البطالة لابد أن يجتمع شرطان أساسيان:

– أن يكون قادراً على العمل و بالتالي يخرج عن دائرة العاطلين كل من العجائز والمرضى.

– أن يبحث عن فرصة للعمل و بالتالي يخرج بذلك من دائرة العاطلين كل من الطلبة في المدارس والمعاهد والجامعات ممن هم في سن العمل، ولكنهم لا يبحثون عنه.

كما يخرج أيضاً بمقتضى هذا الشرط الأفراد القادرين على العمل ولكنهم لا يبحثون عنه لأنهم أحبطوا تماماً نتيجة لفشلهم السابق في الحصول على عمل .

وكذلك يخرج من دائرة العاطلين أولئك الذين لا يبحثون عن عمل نتيجة لكونهم على درجة عالية من الثراء تجعلهم في غني عن العمل [١٠١].

مفهوم البطالة في الشريعة الإسلامية :

فطنت الشريعة الإسلامية الغراء إلى مشكلة البطالة ، وبينت مفهومها وطرق الوقاية منها ومنهج الحد منها في إطار دقيق عز أن نجد له فلقد حث الإسلام أهله على العمل والكسب ونهى عن البطالة بقوله صلى الله عليه وسلم فيما

[١٠١] - عاطف عجوة : **البطالة في العالم العربي وعلاقتها بالجريمة**، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب ،الرياض ، ،١٩٨٥، ص ٢٠.

رواه أبو هريرة (**لأن يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره ، فيتصدق منه ، فيستغني به عن الناس خير من أن يسأل رجلاً أعطاه أو منعه ذلك فإن اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول**) ١٠٢.

- وطبقا **لمنظمة العمل الدولية** فإن العاطل عن العمل هو كل شخص قادر على العمل وراغب فيه ويبحث عنه ويقبله عند مستوى الأجر السائد ولكن دون جدوى.

و قد عرفت البطالة بأنها: "حالة خلو العامل من العمل مع قدرته عليه بسبب خارج عن إرادته ، أما **منظمة العمل الدولية** فقدعرفت المتعطلين عن العمل بأنهم:" الأشخاص الدين هم في سن العمل و الراغبون فيه و الباحثون عنه لكنهم لا يجدونه في فترة الإسناد "١٠٣

التعريف الإجرائي :

البطالة هي كل إنسان قادرا على العمل ، راغبا فيه باحثا عنه، يقع في دائرة القوى المنتجة أي يكون عمره ما بين ١٥ و ٦٠ سنة مدربا على العمل أي له حرفة أو خبرة ما ، و لا تتوفر لديه فرصة للعمل ولا يملك رأس مال نقدا كان أو عينا.

أسباب مشكلة البطالة :

ترجع أسباب مشكلة البطالة في الجزء الأكبر منها إلى أسباب هيكلية تعود إلى طبيعة نمو الاقتصاد كاقتصاد نامي يعاني من اختلالات هيكلية داخلية وخارجية تتمثل في الاختلال في ميزان المدفوعات والاختلال في الموازنة العامة للدولة، إلى جانب وجود فجوة كبيرة بين كل من الإدخار والاستثمار وبالتالي الإنتاج والاستهلاك.

أسباب البطالة :

ترجع الدول الحديثة أسباب البطالة إلى :

١٠٢ – أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي :**الجامع الصحيح**– تحقيق أحمد شاكر– باب ما جاء في النهي عن المسألة ، حديث رقم ٦٧٩ ، دار الكتب العلمية، بيروت ،ص ٢٢٦.

١٠٣ – عاطف عجوة : المرجع السابق ،ص٢٢.

– التخلف الاقتصادي في الدول النامية وهو اجتماعي المنشأ،فكلما زاد التضخم السكاني زادت نسبة البطالة ارتفاعا، ذلك أن الزيادة السريعة في النمو السكاني وما ينشأ عن ذلك من خلل في التوازن بين قوى العرض والطلب وسوق العمل ،فالنمو السكاني يؤدي إلى زيادة نمو القوى العاملة .

– ندرة الموارد الاقتصادية أدت ندرة الموارد الاقتصادية إلى عدم وجود فرص وظيفية للعاطلين خاصة مع التحويلات الكبيرة التي يمر بها الاقتصاد العالمي وانعكاساته على الاقتصاد الوطني ، وهو الأمر الذي يشكل عبئاً إضافياً على الدولة في تمويل عمليات التنمية .

– عجز سوق العمل عن استيعاب الخريجين فهناك أعداد هائلة من الخريجين الحاصلين على مؤهلات بأنواعها المختلفة ومع ذلك يعجز سوق العمل عن استيعابهم .

– عدم تحديث وتطوير أساليب وطرق العمل ،وعدم التوسع في أماكن الإنتاج أو تنفيذ مشروعات جديدة .

– انتشار الأمية أو تدني المستوى التعليمي ، الشيء الذي يحول دون وضع برامج للتدريب والتكوين طبقا لما يتطلبه سوق العمل المتجدد والمتغير باستمرار في ظل الطفرة التكنولوجية.

– توظيف وعمل بعض الشباب في أعمال وأشغال مؤقتة ولا تحتاج لخبرات وب أجور متدنية وبدون عقد وبدون تأمينات مما يزيد في تفاقم مشكلة البطالة .

– انتشار ثقافة احتقار العمل اليدوي العضلي والحط من شأنه، وفي مقابل ذلك تمجيد العمل الذهني المرتبط بالوظيفة العمومية .

– الرد على طالبي العمل بأن التوظيف قد توقف أو عدم وجود مناصب مالية أو قلة مناصب الشغل أو عدم توفر المنصب في الاختصاص المطلوب أو قلة الخبرة أو اشتراط الاعفاء من الخدمة العسكرية.[١٠٤]

– رغم ما تتمتع به الدول العربية من موارد بشرية فهي لم تصل إلى تشغيل كامل للقوى العاملة المتاحة بها حتى بالنسبة للدول خفيفة السكان مثل **الكويت** ،حيث وصل حجم البطالة بها إلى ٨٨٨٦ عاطل عام ١٠٥.١٩٨٠

[١٠٤] – قاسيمي ناصر : **خريجو الجامعة وسوق العمل** ،رسالة ماجستير ،معهد علم الاجتماع ،جامعة الجزائر ١٩٩١ –١٩٩٢ ، ص١٨٠ .

[١٠٥] – الخضري سعيد : **أزمة البطالة وسوء استغلال الموارد العربية** ، القاهرة ،مصر ، دار النهضة العربية ،د ط ، ١٩٨٩ ، ص ٧ .

– عدم قدرة القوانين المنظمة للشغل على التحفيز على الاستثمار ،لأن المستثمر يرى فيها إجحافا خصوصا عندما يقع اختلاف بين العامل ورب العمل ،ولذلك نجد بعض المستثمرين يكتفون بتشغيل أفراد عائلاتهم ويرفضون توسيع مشاريعهم.لأن ذلك يتطلب المزيد من العمال وهذا يعني مزيدا من المشاكل القضائية .

أنواع البطالة :

هناك عدة أنواع للبطالة خاصة تلك التي عرفتها البلدان الرأسمالية و التي نذكر منها :

البطالة الدورية :

تنتاب النشاط الاقتصادي بجميع متغيراته في الاقتصاديات الرأسمالية فترات صعود و هبوط و التي يتراوح مداها الزمني بين ثلاث و عشر سنين ،و التي يطلق عليها مصطلح الدورة الاقتصادية ،و التي لها خاصية التكرار و الدورية ، و تنقسم الدورة الاقتصادية بصورة عامة على مرحلتين : **مرحلة الرواج أو التوسع** ، و التي من مميزاتها الأساسية اتجاه التوظف نحو التزايد، إلى أن تصل إلى نقطة الذروة أو قمة الرواج، و التي تعتبر نقطة تحول ثم يتجه بعد ذلك النشاط الإقتصادي نحو الهبوط بما في ذلك التوظف، وتسمى هذه المرحلة **بمرحلة الانكماش** ،و تبعا لدورية النشاط الإقتصادي، فإن البطالة المصاحبة لذلك تسمى بالبطالة الدورية [١٠٦].

البطالة الاحتكاكية :

تعرف البطالة الاحتكاكية ، على أنها تلك البطالة التي تحدث بسبب التنقلات المستمرة للعاملين بين المناطق والمهن المختلفة، والتي تنشأ بسبب نقص المعلومات لدى الباحثين عن العمل، و لدى أصحاب الأعمال الذين تتوافر لديهم فرص العمل. وبالتالي فإن إ نشاء مركز للمعلومات الخاصة بفرص التوظف من شأنه أن يقلل من مدة البحث عن العمل، و يتيح للأفراد الباحثين عن العمل فرصة الاختيار بين الامكانيات المتاحة بسرعة و كفاءة أكثر[١٠٧].

[١٠٦] – عبد القادر محمد علاء الدين : **البطالة** ، الإسكندرية ، مصر ، منشأة المعارف ،د ط ، ٢٠٠٣ ، ص ٣ .

[١٠٧] – حسين عمر : **موسوعة المصطلحات الاقتصادية** ،جدة ،المملكة العربية السعودية ،دار الشروق ،د ط ، دت ، ص٥٣ .

البطالة الهيكلية :

يقصد بالبطالة الهيكلية ، ذلك النوع من التعطل الذي يصيب جانبًا من قوة العمل بسبب تغيرات هيكلية تحدث في الإقتصاد الوطني، والتي تؤدي إلى إيجاد حالة من عدم التوافق بين فرص التوظف المتاحة ومؤهلات وخبرات العمال المتعطلين الراغبين في العمل والباحثين عنه . فهذا النوع من البطالة يمكن أن يحدث نتيجة لانخفاض الطلب عن نوعيات معينة من العمالة، بسبب الكساد الذي لحق بالصناعات التي كانوا يعملون بها، وظهور طلب على نوعيات معينة من المهارات التي تلزم لانتاج سلع معينة لصناعات تزدهر . فالبطالة التي تنجم في هذه الحالة تكون بسبب تغيرات هيكلية طرأت على الطلب.

كما يمكن للتكنولوجيا أن تؤدي إلى بطالة هيكلية . حيث من النتائج المباشرة للتطور التكنولوجي تسريح العمال وبأعداد كبيرة مما يظطرهم للسفر إلى أماكن أخرى بعيدة بحثا عن العمل أو إعادة التدريب لكسب مهارات جديدة ، بالاضافة للأسباب السابقة يمكن أن تحدث بطالة بسبب تغير محسوس في قوة العمل والناتج أس اسا عن النمو الديمغرافي و ما ينجم عنه من دخول الشباب و بأعداد كبيرة إلى سوق العمل وما يترتب عنه من عدم توافق بين مؤهلاتهم و خبراتهم من ناحية، و ما تتطلبه الوظائف المتاحة في السوق من ناحية أخرى[١٠٨].

وإلى جانب هذا النوع أو مقارب له هو نوع **البطالة الفنية** التي تشير إلى إن التقدم العلمي– التكنيكي لابد وأن يترك آثارا جانبية على المجتمع وبالتالي فإن التطور التكنولوجي له تأثير في نشوء البطالة .

بالاضافة إلى الأنواع السالفة الذكر للبطالة، هناك تصنيفات أخرى للبطالة مثل :

البطالة السافرة و البطالة المقنعة :

يقصد با**لبطالة السافرة**،حالة التعطل الظاهر التي يعاني منها جزء من قوة العمل المتاحة و التي يمكن أن تكون احتكاكية أو هيكلية أو دورية . ومدتها الزمنية قد تطول أو تقصر بحسب طبيعة نوع البطالة و ظروف الاقتصاد الوطني. وآثارها تكون أقل حدة في الدول المتقدمة منها في الدول النامية. حيث العاطل عن العمل في الدول المتقدمة

[١٠٨] – حسين عمر : المرجع نفسه ، ص ٥٣ .

يحصل على إعانة بطالة و إعانات حكومية أخرى ، في حين تنعدم كل هذه المساعدات بالنسبة للعاطل في الدول النامية[١٠٩].

أما **البطالة المقنعة**، فهي تمثل تلك الحالة التي يتكدس فيها عدد كبير من العمال بشكل يفوق الحاجة الفعلية للعمل، أي وجود عمالة زائدة و التي لا يؤثر سحبها من دائرة الإنتاج على حجم الإنتاج، و بالتالي فهي عبارة عن عمالة غير منتجة[١١٠].

البطالة الإختيارية و البطالة الإجبارية :

تشير **البطالة الاختيارية** إلى الحالة التي يتعطل فيها العامل بمحض إرادته و ذلك عن طريق تقديم استقالته عن العمل الذي كان يعمل به . إما لعزوفه عن العمل أو لأنه يبحث عن عمل أفضل يوفر له أجرا أعلى و ظروف عمل أحسن، إلى غير ذلك من الأسباب، في كل هذه الحالات قرار التعطل اختياري.

أما في حالة إرغام العامل على التعطل رغم أنه راغب في العمل و قادر عليه و قابل لمستوى الأجر السائد، فهذه الحالة نكون أمام بطالة اجبارية و مثال على ذلك تسريح العمال كالطرد بشكل قسري ،و هذا النوع من البطالة يسود بشكل واضح في مراحل الكساد، كما أن البطالة الاجبارية يمكن تأخذ شكل البطالة الاحتكاكية أو الهيكلية.

البطالة الموسمية:

وهذه البطالة غالباً ما تظهر في الأنشطة الإقتصادية الموسمية التي يقتصر الإنتاج فيها خلال فصل معين من السنة ،كما هو الحال في القطاع الزراعي وكذلك في بعض الصناعات ففي فصل الشتاء مثلاً غالباً ما يتعطل الفلاحين وعمال الصناعات الاستهلاكية الموسمية[١١١].

[١٠٩] – الأشوح زينب صالح ، **الاطراد والبيئة ومداواة البطالة** ، القاهرة ، مصر ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، د ط ، ٢٠٠٣ ، ص ٧٧ .

[١١٠] – ماهر أحمد : **تقليل العمالة** ، الإسكندرية ،مصر ، الدار الجامعية ، دط ، ٢٠٠٠ ، ص٣٥٣ .

[١١١] – فكري أحمد نعمان : **النظرية الاقتصادية في الإسلام** ، دبي ، الإمارات العربية المتحدة ، دار القلم ، ط١، ١٩٨٥ ، ص ١١٤ .

الآثار الناجمة عن البطالة :

تشكل البطالة سبباً رئيسياً لمعظم الأمراض الاجتماعية في أي مجتمع ، كما أنها تمثل تهديداً واضحاً للاستقرار الاجتماعي والسياسي والاقتصادي ، فالبطالة بمعناها الواسع لا تعني فقط حرمان الشخص من مصدر معيشته ، وإنما تعني أيضاً حرمانه من الشعور بجدوى وجوده .

وفي إجمال للآثار الناجمة عن البطالة يذكر أن معظم المشكلات الاجتماعية والنفسية والأخلاقية التي انتشرت في الآونة الأخيرة في بعض الدول العربية والإسلامية التي تعاني من مشكلة البطالة كانت البطالة هي العامل المشترك في خلقها واستفحال خطرها.

و يمكن تلخيص هذه الآثار في النقاط التالية:

الآثار الاجتماعية الناجمة عن البطالة :

تبرز لنا ظاهرة البطالة كتعبير عن سوء العلاقات الاجتماعية وإجحافها، كوجه آخر لسوء توزيع أو تقسيم العمل الاجتماعي، وسوء توزيع الدخل والثروة، على المستويين المحلي والوطني، وعلى المستوى العالمي بين الدول الغنية والدول الفقيرة، وبالتالي يتضح لنا أيضاً أن البطالة والقهر والحرمان التي تشكل آفات اقتصادية واجتماعية وأخلاقية معاً ليست نتيجة طبيعية للتقدم التاريخي، وبخاصة ليست نتيجة حتمية للتقدم العلمي والتقني، كما يزعم الفكر المحافظ المدافع عن المصالح والامتيازات المكتسبة ضد منطق العلم والتاريخ، وإنما هي ناجمة عن فساد وجور وخلل أساسي في النظام الاجتماعي السائد، في العملية الاقتصادية–الاجتماعية كلها الجارية اليوم في ظل العولمة وعلى جميع الأصعدة، الدولية والإقليمية والمحلية[١١٢].

إذ تترتب على البطالة مجموعة من الآثار الاجتماعية والنفسية ،حيث يشعر العاطلون بالإحباط واليأس وعدم الانتماء للدولة، فتنتشر الجريمة بأنواعها، وخاصة في صفوف العاطلين الذين لا يتلقون إعانة بطالة خلال فترة تعطلهم، ويكون واقع البطالة وما ينجم عنها نتيجة لفقدان مصدر العيش (الكسب) أشد على القطاعات الأضعف في المجتمع، وهم الفقراء والنساء، أضف لذلك الانحرافات الفكرية وانتشار الشعور بالحقد والبغضاء نحو الطبقات التي تحيا في بحبوحة من العيش، ومما هو جدير بالذكر انه كلما طالت فترة التعطل كلما صار ضررها جسيماً حيث تؤثر

[١١٢]– ماهر أحمد : المرجع السابق ،ص ٨١ .

تأثيراً سلبياً على المواهب الفنية والعقلية للعامل فتضمحل مهاراته بل يفقد الإنسان ميزة التعود على العمل وإتقانه وينحط مستواه.

وتساعد البطالة على زيادة حالة ما يسمى بالتشرذم الاجتماعي، وتؤدي حالة التعطل الدائم والمؤقت عن العمل وما يصاحبها من مشكلات اجتماعية وضغوطات اقتصاديتي على إصابة غالبية الشباب المتعطل عن العمل بحالة من الإحباط الشديد المزمن وحالة من عدم الثقة بالنفس وخاصة لدى الشباب من حملة الشهادات المتوسطة والجامعية، مما يدفعهم هذا الشعور إلى التفكير جدياً بالانتقام من المجتمع الذي يرفض منحهم فرصة العيش الكريم، وتحسين أوضاعهم الاجتماعية، وتحقيق ذواتهم وتجسيد طموحاتهم من خلال تحصنهم بالعمل وأيضاً يدفعهم هذا الشعور إلى التفكير جدياً بالهجرة إلى مجتمعات أخرى.

جانب الصحة النفسية :

تؤدي حالة البطالة عند الفرد إلى التعرض لكثير من مظاهر عدم التوافق النفسي والاجتماعي ، إضافة إلى أن كثيراً من العاطلين عن العمل يتصفون بحالات من الاضطرابات النفسية والشخصية فمثلاً ، يتسم كثير من العاطلين بعدم السعادة وعدم الرضا والشعور بالعجز وعدم الكفاءة مما يؤدي إلى اعتلال في الصحة النفسية كما ثبت أن العاطلين عن العمل تركوا مقاعد الدراسة بهدف الحصول على عمل ثم لم يتمكنوا من ذلك يغلب عليهم الاتصاف بحالة من البؤس والعجز

ويعد من أهم مظاهر الاعتلال النفسي التي قد يصاب بها العاطلون عن العمل .

– **الاكتئاب** : تظهر حالة الاكتئاب بنسبة أكبر لدى العاطلين عن العمل مقارنة بأولئك الذين يلتزمون بأداء أعمال ثابتة ، وتتفاقم حالة الاكتئاب باستمرار وجود حالة البطالة عند الفرد ، مما يؤدي إلى الانعزالية والانسحاب نحو الذات ، وتؤدي حالة الانعزال هذه إلى قيام الفرد العاطل بالبحث عن وسائل بديلة تعينه على الخروج من معايشة واقعه المؤلم وكثيراً ما تتمثل هذه الوسائل في تعاطي المخدرات أو الانتحار .

– **تدني اعتبار الذات** : يخلق العمل لدى الإنسان روابط الانتماء الاجتماعي مما يبعث نوعاً من الإحساس والشعور بالمسؤولية ، ويرتبط هذا الإحساس بسعي الفرد نحو تحقيق ذاته من خلال العمل ، وعلى عكس ذلك فإن البطالة تؤدي بالفرد إلى حالة من العجز والضجر وعدم الرضا مما ينتج عنه حالة من الشعور بتدني الذات وعدم احترامها .

جانب الصحة الجسمية والبدنية :

إن الحالة النفسية والعزلة التي يعانيها كثير من العاطلين عن العمل تكون سبباً للإصابة بكثير من الأمراض وحالة الإعياء البدني كارتفاع ضغط الدم وارتفا ع الكولسترول، والذي من الممكن يؤدي إلى أمراض القلب أو الإصابة بالذبحة الصدرية ، إضافة إلى معاناة سوء التغذية أو الاكتساب عادات تغذية سيئة وغير صحية [١١٣].

الآثار الأمنية و السياسية:

نلاحظ أحيانا بعض الفئات العاطلة و التي يكون قد نفذ صبرها ولم تعد تؤمن بالوعود والآمال المعطاة لها وهي ترفع شعار التململ والتمرد، و مع ذلك لا يمكن لومها ولكن لا يعني ذلك تشجيعها على المس بممتلكات الوطن وأمنه، ولكن لابد أن نلتمس لهم العذر، فمقابل مرارة ظروفهم هناك شواهد لفئات منغمسة في ترف المادة، ومن الطبيعي أن ينطق لسان حالهم متسائلا أين العدالة الاجتماعية والإنصاف؟ كما أن سياسة العنف المفرط في مقابل حركة العاطلين لا تخلق إلا المزيد من العنف والاضطراب وتفاقم الأزمة، فهناك حاجة إلى التعقل وضبط الموقف والنظر إلى القضايا من منظور واسع وبعين تقصي الأسباب في محاولة لتفهم موقف الآخرين ، حيث أن مبدأ إرساء العدالة الاجتماعية تملي على الجميع تكريس حق إبداء الرأي ورفع راية المطالبات بالوسائل السلمية المشروعة، كما أنها تلزم الأطراف المعنية متمثلة بالحكومة باحترام هذه الحقوق واتساع الصدر للآراء المختلفة، لأن المواطن في نهاية المطاف لا يطالب إلا بحق العيش الكريم والحفاظ على كرامته وإنسانيته في وطنه، وهي من جوهر حقوق المواطن والتي يجب على الحكومة أن تكفلها وتحرص عليها، لا أن تتكالب عليها فتكون هي والقدر مجتمعان على المواطن المستضعف.

الآثار الاقتصادية:

إحدى نتائج ظاهرة البطالة زيادة حجم الفقر، الذي يعتبر أيضًا من العوامل المشجعة على الهجرة ، ويقول الخبراء بأن مشكلة الهجرة إلى أوروبا تكاد تكون مشكلة اقتصادية بالأساس، فبالرغم من تعدد الأسباب المؤدية إلى هذه الظاهرة، إلا أن االدوافع الإقتصادية تأتي في مقدمة هذه الأسباب ، ويتضح ذلك من التباين الكبير في المستوى الإقتصادي بين البلدان المصدرة للمهاجرين، والتى تشهد غالبًا افتقارًا إلى عمليات التنمية، وقلة فرص العمل، وانخفاض الأجور ومستويات المعيشة، وما يقابله من ارتفاع مستوى المعيشة، والحاجة إلى الأيدي العاملة في الدول

[١١٣] - ماهر أحمد : المرجع نفسه ،ص ٨١ .

المستقبلة للمهاجرين، حيث تقدر منظمة ا لعمل الدولية حجم الهجرة السرية بما بين ١٠ – ١٥% من عدد المهاجرين في العالم.. البالغ عددهم حسب التقديرات الأخيرة للأمم المتحدة حوالي ١٨٠ مليون شخص.

أما فيما يتعلق بالآثار الاقتصادية للبطالة على المستوى الكلي فالكل يعرف أن أهم مؤشر في اتجاهات الطلب على العمل هو نموّ الانتاج، و بالتالي فإن تباطؤ النموّ الاقتصادي يعني ارتفاعا في معدّلات البطالة ، وهكذا فإن الوضع في المنطقة العربية بصورة عامة و منذ التسعينات تلخص في ضعف أداء الانتاج مقارنة بنمو سريع في القوة العاملة، كما تبين الاحصائيات أن النمو في القوة العا ملة قد فاق الزيادة التي طرأت على فرص التوظيف في المنطقة العربية[١١٤].

البطالة في الدول النامية :

تعتبر مشكلة البطالة في الدول النامية من المشكلات المستعصية ، ولذلك نجد أن معدلات نسبة البطالة فيها أكثر ارتفاعًا من الدول المتقدمة والدول الصناعية ،ذلك أن البطالة في الدول النامية تعد انعكاسا لمشكلة أكبر هي مشكلة التخلف في حين أن البطالة في حالة البلدان الصناعية تعبر عن أحد تناقضات التقدم الر أسمالي ،بالإضافة إلى أن البلاد تضع نظما للحماية الاجتماعية للعاطلين .

مثل إعانات ومشروعات الضمان الاجتماعي وهي توفر حدو دا دنيا إنسانية لمعيشة العاطلين ،أما في حالة الدول النامية فلايوجد مثل هذه الأنظمة الجبائية ،ومن هنا تكون البطالة معناها الجوع والحرمان والمعاناة والتسول .[١١٥]

الجدول التالي يوضح معدلات البطالة في الدول النامية حتى سنة ١٩٩٠ (% من قوة العمل)[١١٦]

الدولة	١٩٨١	١٩٨٥	١٩٩٠
النيجر	٣٩.٩	٥٦.٣	٤٦.٨
جزيرة شيشل	٣.٨	٢٢.٥	...
الصومال	٢٢.٣	...	...

[١١٤] – ماهر أحمد : المرجع نفسه ،ص ٨٣ .

[١١٥] – مرسي كمال الدين عبد الغني : **الحل الإسلامي لمشكلة البطالة** ،الإسكندرية ، مصر ،دار الوفاء ،ط١،٢٠٠٤، ص٢١.

[١١٦] – مرسي كمال الدين عبد الغني : نفس المرجع ، ص ٢١.

السودان	...	٢١.١	...
تونس	...	...	١٣.٤

الملامح الاقتصادية المميزة لاقتصاديات الدول النامية :

– أهم ما يميز الدول النامية عمومًا هو ازدواج الهيكل الاقتصادي، أي وجود قطاعين أساسيين كل منهما بجوار الآخر و لكنهما يختلفان تماما في التنظيم و في وسائل الانتاج.

– الاعتماد الكبير على التجارة الخارجية فكل أو معظم السلع الصناعية سواء الاستثمارية أو الاستهلاكية ذات مرجع خارجي.

– انخفاض الدخل القومي للفرد ، حيث أن الدخل القومي يمثل الناتج الناشيء من تفاعل و نشاط جميع القوى الإقتصادية في المجتمع مع ملاحظة الحرص التام في استخدام هذا المؤشر عند عمل المقارنات الدولية.

البطالة في الوطن العربي:

تعتبر البطالة إحدى أخطر المشكلات التي تواجه الدول العربية، حيث توجد بها أعلى معدلات البطالة في ال عالم، وحسب تقرير لمجلس الوحدة الاقتصادية التابع لجامعة الدول العربية الصادر عام ٢٠٠٤ قدّرت نسبة البطالة في الدول العربية ما بين ١٥ و ٢٠%، وكان تقرير منظمة العمل الدولية قد ذكر في عام ٢٠٠٣، أن متوسط نسبة البطالة في العالم وصل إلى ٦.٢% ، بينما بلغت النسبة في العالم العربي في العام نفسه ١٢.٢%، وتتزايد سنويًا بمعدل ٣%. وما يجعل هذه القضية من أكبر التحديات التي تواجه المجتمعات العربية، هو أن ٦٠% تقريبا من سكانها هم دون سن الخامسة والعشرين.

معدلات البطالة في البلدان العربية خلال الفترة ١٩٨٤– ١٩٩٣ :

إن متابعة معدلات البطالة في البلدان العربية تعطي نسبا تقريبية ولا تمثل الحقيقة الكاملة ، وقد تتضارب الأرقام في بعض الأحيان بحسب التصريحات الحكومية أو تلك التي تجريها المنظمات المختلفة التي من شأنها متابعة أحوال البطالة في العالم العربي ، وتأتي فترات ترتفع فيها نسبة ا لبطالة للظروف التي يمر بها كل بلد ، كما أن هناك أيضا فترات

انقطاع المتابعة ، وسوف نحاول رصد ما تيسر لنا ابتداءً من ١٩٨١ ،و سوف يتضح لنا كيفية تفاقمت البطالة في بعض البلاد على مرور الزمن .

ففي **الأردن** وصل معدل البطالة إلى ٨.١٨ %من قوة العمل في عام ١٩٩١ ، وفي **الجزائر** ارتفع المعدل إلى ٢٤.٣% عام ١٩٩٣،وفي **المغرب** ارتفع إلى ١٦%عام ١٩٩٢ ، أما **تونس** ١٥% عام ١٩٩١ وفي جمهورية **مصر** وصل معدل البطالة إلى ١٧.٥% طبقا للنتائج الأولية لبحث العمالة بالعينة للفترة ١٩٨٩/١٩٩٢ .[١١٧]

الجدول يوضح معدلات البطالة في بعض البلاد العربية[١١٨]

السنوات	الأردن	الجزائر	تونس	المغرب
١٩٨٤	٠.٤	...	١٢.٩	...
١٩٨٥	٦.٠	٩.٨	...	...
١٩٨٦	٨.٠	...	...	...
١٩٨٧	٨.٣	٢١.٤	...	١٤.٣
١٩٨٨	٨.٣	١٢.٦	...	١٣.٩
١٩٨٩	١٠.٣	١٨.١	١٣.٤	١٩.٣
١٩٩٠	١٩.٨	١٩.٨	...	١٥.٤
١٩٩١	١٨.٨	٢٠.٧	١٠.٠	١٧.٣
١٩٩٢	...	٢٣.٨	...	١٦.٠
١٩٩٣	...	٢٤.٣	...	...

من خلال الجدول نرى بشكل عام زيادة معدلات الطالة من سنة إلى اخرى، مما يشير إلى خطورة المشكلة .

وتذكر الإحصاءات للسنوات الأخيرة أن معدلات البطالة بين الشباب بلغت مستويات غير مسبوقة فقد وصلت إلى ٥٤.١% عام ٢٠٠٠ في الجزائر ،وفي **لبنان** ترتفع نسبة للشباب اليافع (١٥-١٩)سنة إلى ٢٨.٦% لكنها

[١١٧] – المرسي كمال الدين عبد الغني : نفس المرجع ، ص٢٣.

[١١٨] – التقرير الإقتصادي العربي الموحد لعام ١٩٩٦ ،نقلا عن كتاب الحل الإسلامي لمشكلة البطالة لمرسي كمال الدين عبد الغني ، ص٢٣.

تنخفض عند الفئة (٢٠-٢٤)سنة الى ١٧.٨% وترتفع في المغرب إلى ٣٨% وتبلغ نسبة ٦٥%في **البحرين** وتقارب ٤٠%في **فلسطين** [١١٩].

و الواقع أن ظاهرة البطالة باتت تؤرق أغلب البلدان العربية، وتوضح إحصاءات منظمة العمل العربية مدى خ طورة هذه الظاهرة على النحو التالي:

أ – تصل نسبة البطالة حاليًا إلى ١٥% من إجمالي القوى العاملة العربية، أي ما يعادل حوالي ١٨ مليون عاطل يبحثون عن العمل و قادرون عليه و لا يجدونه، ويتوقع ارتفاع هذا العدد بالنظر إلى أن حجم القوى العاملة العربية في ازدياد مطرد. ففي الدول العربية فرادى يتراوح معدل البطالة في الفترة ٢٠٠٠-٢٠٠٣ ما بين ١.١ % و ٣.٩ % من إجمالي القوى العاملة في **الكويت**، و**الإمارات** و**البحرين** و**قطر**، وما بين ٢٦ % و ٢٨ % في **الجزائر** و**العراق** و**فلسطين**. وتعاني فئة خرجي التعليم العالي من أعلى معدل للبطالة مقارنة بالفئات التعليمية الأخرى، واستفحلت هذه الظاهرة في العديد من الدول العربية؛ حيث تبلغ معدلاتها الضعفين في **الأردن**، وثلاثة أضعاف البطالة بين الأميين في الجزائر، وخمسة أضعاف في **المغرب**، وعشرة أضعاف في **مصر**. مما دفع بأعداد متزايدة من هذه الفئة للعمل خارج تخصصهم. ويتوقع أن يصل عدد العاطلين عن العمل إلى ٢٥ مليونًا في العام ٢٠١٠، فيما يقدر حجم الداخلين الجدد في سوق العمل العربية بنحو ٣ ملايين عامل سنويًا، وتقدر حجم الأموال اللازمة لتوفير فرص عمل لهم ١٥ مليار دولار سنويًا.

ب – غالبية العاطلين عن العمل من الداخلين الجدد في سوق العمل، أي من الشباب، ويمثل هؤلاء تقريبًا ثلاثة أرباع العاطلين عن العمل في دولة البحرين و ٨٤% في الكويت، وما يزيد على الثلثين في مصر والجزائر . أما معدلات البطالة بين الشباب نسبة إلى القوى العاملة الشابة فقد تجاوزت ٦٠% في مصر والأردن وسورية وفلسطين و ٤٠% في تونس والمغرب والجزائر.

ج – تستحوذ دول اتحاد المغرب العربي على الجانب الأكبر من قوة العمل العربية بنسبة ٣٧.٨%؛ حيث يوجد بها حاليًا ٣٣.٥ مليون عامل، من المتوقع زيادتها إلى ٤٧ مليونًا عام ٢٠١٠، ثم دول مصر والأردن واليمن والعراق، وبها ٢٥.٢ مليونًا تصل إلى ٣٥ مليونًا عام ٢٠١٠ بنسبة ٢٧.٧ %، ودول مجلس التعاون الخليجي، وبها ٨.٣ ملايين

[١١٩] – المرسي كمال الدين عبد الغني : المرجع السابق ، ص٢٩.

تصل عام ٢٠١٠ إلى ١١.٤ مليونًا بنسبة ٩.٣ % من قوة العمل، فيما يتوزع الباقي، وهم ٢٢.٦ مليونًا، على بقية الدول العربية، ومن المنتظر زيادتهم إلى ٣٠ مليونًا عام ٢٠١٠.

وتتفاوت معدلات البطالة من دولة عربية لأخرى؛ ففي الدول ذات الكثافة السكانية العالية، ترتفع حدة الظاهرة؛ حيث تبلغ ٢٠% في اليمن، و٢١% في الجزائر، و١٧% في السودان، و٩% في مصر، و٨% في سوريا. وفي المقابل تنخفض في دول الخليج العربي ذات الكثافة السكانية المنخفضة؛ ففي سلطنة عمان يوجد نحو ٣٣٠ ألف عاطل عن العمل، وفي السعودية نحو ٧٠٠ ألف، وفي الكويت يصل العدد إلى ٣ آلاف فقط.

و كذلك ترتفع معدلات البطالة المقنعة في جميع الدول العربية، وتختلف دول مجلس التعاون الخليجي بالمقارنة مع بقية الدول العربية في كون أن معدلات البطالة المقنعة تتجاوز كثيرا معدلات البطالة السافرة بين المواطنين.

تحديات التشغيل والبطالة في الدول العربية :

برغم أن المنطقة العربية من أسبق مناطق العالم النامي في استحداث وظائف جديدة، فقد استطاعت أن توجد سنويًا ما يزيد عن ثلاثة ملايين وظيفة جديدة، وهو إنجاز كبير، إلا أنه غير كاف، وغير متوازن في البلدان العربية، وتبقى المنطقة في عمومها محتفظة بأعلى معدلات البطالة بين مناطق العالم، إذ تجاوزَ معدلُ البطالة العامة فيها ١٤%، كما تبقى المنطقة ذات أعلى المعدلات في البطالة بين الشباب خاصة،إذ تجاوز معدلها ٢٥%.

تحليل البطالة في الجزائر و الدول العربية :

لعل الشيء المميز للاقتصاديات الدول العربية هو الارتفاع الغير العادي لنسب البطالة عن المعدلات العالمية حيث جاء في تقرير منظمة العمل العربية، لشهر مارس ٢٠٠٥، تم تقديم تصور متشائم لتطور معدلات البطالة في البلدان العربية. ويرى التقرير أن الوضع الحالي للبطالة هو الأخطر بين جميع مناطق العالم، وأنه يجب على الاقتصاديات العربية استثمار حوالي ٧٠ مليار دولار، ورفع معدل نموها الاقتصادي من ٣% إلى ٧%، وخلق خمسة ملايين منصب عمل، حتى يتم تخفيض نسب البطالة إلى معدلات مقبولة أو طبيعية.

و إذا استثنينا فلسطين و العراق أين تسود ظروف غير عادية، فإن كل الدول العربية تعرف نسب بطالة مرتفعة عن المعدلات العالمية، و هو أمر محير بالنسبة لبعض البلدان التي تتوفر على موارد معتبرة، حيث ترتفع نسبة البطالة في

السعودية إلى حوالي ١٥%، وفي عمان ١٧.٢%، وفي قطر ١١.٦% و كذلك بالنسبة للجزائر ٢٣.٧% في سنة ٢٠٠٣.

و إذا ربطنا معدل النمو بانخفاض نسبة البطالة في الدول العربية فإننا نجد أن العلاقة تكاد تكون ضعيفة بين النسب العالية للنمو ما بين ٤% و ٦% و انخفاض معدلات البطالة ما بين ٢% إلى ٣% في غالبية الدول العربية.

أما الجزائر فهي تعاني كبقية البلدان العربية من ارتفاع غير عادي في نسبة البطالة، و هو أمر يؤثر مباشرة على جهود التنمية و الانفتاح في الاقتصاد الجزائري، و لعل التعامل مع نسب بطالة مرتفعة يختلف كلية عن ما هو سائد في البلدان المتطورة أين تسود معدلات بطالة نوعا ما منخفضة.[١٢٠]

و تحليل نسب النمو و البطالة بالنسبة للجزائر يبين اتجاهين رئيسيين:

-ارتفاع معدل النمو و ارتفاع نسبة البطالة في الفترة ما بين ١٩٩٥ و ٢٠٠٠.

-ارتفاع معدل النمو و انخفاض نسبي في معدل البطالة في الفترة ما بين ٢٠٠٢ و ٢٠٠٥.

الاقتراحات :

كيفية مواجه ظاهرة البطالة ؟

باعتبار كون البطالة تعد بمثابة قنابل موقوتة تهدد الاستقرار في العالم العربي، فإن المطلوب وضع إستراتيجية عربية شاملة في هذا الشأن منها آخذة في الاعتبار عدة أمور منها :

– تأهيل الشباب حديثي التخرج من أهم التحديات التي تواجه المؤسسات وأنظم ة التعليم والتدريب في الدول العربية، حيث يفتقر كثير منها إلى العمالة المتخصصة في المجالات التي يحتاجها سوق العمل، مما يساعد في سد الفجوة بين العرض والطلب على العمالة.

– خلق قاعدة معلوماتية قومية للوظائف المطروحة والباحثين عنها ، و هنا يمكن الاستفادة من تجربة بعض الدول الغربية في إنشاء بنوك قومية للتوظيف توفر قواعد معلومات ضخمة للوظائف الشاغرة في القطاعين العام والخاص، يتم

[١٢٠] – محمد دمان ذبيح : **الآليات الشرعية لعلاج مشكلة البطالة** ،مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير ، إشراف الدكتور حسن رمضان فحلة ، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الاسلامية،جامعة باتنة ،٢٠٠٧–٢٠٠٨ ، غير منشورة ، ص ٤٧ .

تحديثها يوميا، وتكون متاحة من خلال مواقع إنترنت متخصّصة أو دليل شهري يوزع بمقابل مادي رمزي على الباحثين عن العمل.

– تنظيم عملية استقدام العمالة الأجنبية وتقنينها، بحيث تقتصر صلاحيتها حصراً على الأجهزة المختصة فقط، وعدم تعدد الجهات والمصادر التي تقوم بذلك.

– ترشيد عملية استقدام العمالة الأجنبية وذلك من خلال حصرها في مهن محددة.

– تحسين الأداء الاقتصادي العربي، وتحسين مناخ الإستثمار في الدول العربية، وإزالة القيود التنظيمية والقانونية التي تحول دون اجتذاب الأموال العربية في الخارج، والتي يقدرها بعض الخبراء بنحو ٨٠٠ مليار دولار، ولا شك أن عودة هذه الأموال للاستثمار في الدول العربية سوف يساهم في كبح جماح مشكلة البطالة، ويساعد على توفير فرص عمل لا حصر لها للشباب العربي.

– إن تحقيق النمو الإقتصادي أمر لا غنى عنه من أجل تحقيق التنمية المستدامة والقضاء على البطالة والفقر في الوطن العربي والنمو الحالي يبين ضعف المستوى، ولن يتسنى تحقيق ذلك دون أن يكون هناك نمو في القطاع الخاص كأداة أساسية ورئيسية للنمو الاقتصادي ولتوليد فرص العمل، وإزالة كل ما يعترضه من عقبات وضرورة التركيز على المشروعات الصغيرة والمتوسطة والتي من شأنها تشغيل أكبر عدد ممكن من العاطلين عن العمل.

– إن زيادة الإستثمارات تدفع إلى حل مشكلة البطالة التي يمكن أن تزيد من فرص العمل، ولاشك أن وجود عمالة متعلمة يعد مفتاحا للمساهمة في عالم يتسم بالعولمة، فخلق وظائف هي أولوية لا تسبقها أولوية ومن أجل توسيع الفرص لابد من خلق المناخ الذي يتمكن فيه القطاع الخاص و الاستثمارات الأجنبية في الإسهام للقضاء على هذه الظاهرة وتأمين فرص عمل، ولابد من وضع شرطا للقبول في قانون الإستثمار الجديد، وذلك بمنع الشركات الأجنبية من استخدام الأيدي العاملة الأجنبية والإقتصار على العمالة الأجنبية المتخصصة و التي يحتاجها سوق العمل في الوقت الحاضر لحين إعداد وتدريب كوادر وطنية، وعلى أن تعتمد على استخدام كثافة الأيدي العاملة في المشاريع.

– إنشاء هيئة أو مركز متخصص بالسكان النشطين اقتصاديً وإيجاد قاعدة معلومات متكاملة تقوم توفر كافة البيانات عن سوق العمل وإجراء بحوث مسحية و إعداد الدراسات الخاصة بالظاهرة حالياً وبناء التصورات المستقبلية

والتي تساعد على وضع سياسات خاصة بالعمالة ولمجابهة المشكلة والإسراع في وضع الإستراتيجية لضمان توفر فرص العمل مستقبلاً وتحليل الآثار المختلفة للظاهرة وبرامج الحد منها.

– ضرورة مساهمة مؤسسات المجتمع المدني في تدعيم شبكات الأمان الاجتماعي وعقد ندوات فكرية وثقافية لتعريف المواطن بالآثار السلبية لتزايد حجم البطالة على مختلف جوانب الحياة، وكذلك أهمية دور وسائل الإعلام المختلفة .

– تمكين المرأة وتوظيف قدراتها ومشاركتها في الحياة العامة لتصبح عضوا فاعلا في المجتمع وزيادة مجالات فرص عمل المرأة باعتبارها طاقة كامنة مهدورة.

– تشجيع التعليم الفني المهني لكلا الجنسين وبيان أهمية التعليم المهني في تنمية المهارات والقدرات البشرية المعرفية والتقنية للعمالة وسيكون له دور هام في تجهيز العمالة لمواجهة التغيرات الهيكلية والتحولات التي طرأت على طلب اليد العاملة في سوق العمل،كما يتطلب فتح مراكز تدريب لتمكين الاقتصادي للفرد وخصوصا فيما يخص الحاسوب واللغة والذي يساعدهم في الحصول على عمل.

-نظراً لاختلاف التركيبة الحالية للسكان في الوطن العربي من حيث العدد، النوع، الجنسية، والتوزيع في المناطق فإن الواقع يتطلب أن تقوم الجهات المختصة بالعمل على إجراء دراسة مسحية شاملة للسكان، وذلك لما تقتضيه الظروف والدوافع الراهنة سواء ما يتعلق منها بالجانب الأمني، الاقتصادي، الاجتماعي والعلمي.

- دعم عملية التدريب المستمر، وبخاصة التدريب التأهيلي والاستثمار فيه.

-دعم عملية التعليم المستمر للقوى العاملة، وبخاصة لمن هم دون الشهادة الثانوية.

خاتمة :

يمكن القول بأن البطالة هي بقاء الفرد بلا عمل وعجزه عن الكسب بغض النظر عن أسباب ذلك ،كما أن البطالة تاريخيا تحكمت فيها ظروف اجتماعية واقتصادية وسياسية، وبالنظر إلى ما ذكر من أرقام فلا مجال للشك في أن البطالة قد تجاوزت الخطوط الحمراء خاصة في الوط ن العربي ،فللبطالة انعكاساتها على المجتمعات ماديا ومعنويا وعلى جميع المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية ، مما يتوجب على الجميع أفرادا وحكومات الإسراع

إلى تدارك المشكلة واحتوائها عن طريق إيجاد علاج مناسب لها للنهوض بالمجتمع ومؤسساته المختلف ة.

قائمة المراجع :

- عاطف عجوة : **البطالة في العالم العربي وعلاقتها بالجريمة**، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب ،الرياض، ١٩٨٥،.

- أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي :**الجامع الصحيح**– تحقيق أحمد شاكر – باب ما جاء في النهي عن المسألة، حديث رقم ٦٧٩ ، دار الكتب العلمية، بيروت.

- عباس صالح : **العولمة وآثارها في البطالة والفقر التكنولوجي في العالم الثالث** ، الاسكندرية ،مصر ،مؤسسة شباب الجامعة ،دط، ٢٠٠٤ .

- قاسيمي ناصر : **خريجو الجامعة وسوق العمل** ،رسالة ماجستير ،معهد علم الاجتماع ،جامعة الجزائر ١٩٩١ –١٩٩٢ .

- الخضري سعيد : **أزمة البطالة وسوء استغلال الموارد** العربية ، القاهرة،مصر ،دار النهضة العربية ،د ط ، ١٩٨٩ .

- عبد القادر محمد علاء الدين : **البطالة** ، الاسكندرية ، مصر ، منشأة المعارف ،د ط ، ٢٠٠٣ .

- حسين عمر : **موسوعة المصطلحات الإقتصادية** ،جدة ،المملكة العربية السعودية ،دار الشروق ،د ط ، دت.

- الأشوح زينب صالح ، **الاطراد والبيئة ومداواة البطالة** ، القاهرة ، مصر ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، د ط ، ٢٠٠٣ .

- ماهر أحمد : **تقليل العمالة** ، الإسكندرية ،مصر ، الدار الجامعية ، دط ، ٢٠٠٠ ، ص٣٥٣ .

- فكري أحمد نعمان : **النظرية الاقتصادية في الإسلام** ، دبي ، الامارات العربية المتحدة ، دار القلم ، ط١، ١٩٨٥ .

- مرسي كمال الدين عبد الغني : **الحل الاسلامي لمشكلة البطالة** ،الاسكندرية ، مصر ،دار الوفاء،ط١،٢٠٠٤، ص٢١.

- التقرير الإقتصادي العربي الموحد لعام ١٩٩٦ ،نقلا عن كتاب الحل الاسلامي لمشك لة البطالة لمرسي كمال الدين عبد الغني ، ص٢٣.

- محمد دمان ذبيح : **الآليات الشرعية لعلاج مشكلة البطالة** ،مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير ، إشراف الدكتور حسن رمضان فحلة ، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الاسلامية،جامعة باتنة ٢٠٠٧– ٢٠٠٨ ، غير منشورة .

الإستخدامات والإشباعات الإعلامية لذوي الاحتياجات الخاصة بالجزائر

أ. بن سولة نورالدين / طالب دكتوراه إعلام واتصال تخصص : لغة وتحليل نقدي لوسائل الإعلام

جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر

ملخص:

أدى إدراك الفروق الفردية والتباين الاجتماعي بين أفراد الجمهور ، وإدراك السلوك المرتبط بوسائل الإعلام إلى ظهور منظور جديد للعلاقة بين الجمهور ووسائل الإعلام، وابتداءا من نهاية النصف الأول من القرن العشرين ظهر الاهتمام يركز على دراسة استعمال الجمهور لوسائل الإعلام من أجل إشباع رغباتهم وتلبية حاجاتهم انطلاقا من اخ تيارات عدة تمنحها لهم الوسيلة الإعلامية، ومن بين الفئات الاجتماعية التي تحتاج إلى رعاية واهتمام ودفع قوي لتنميتها واستغلال قدراتها هي فئة المعوقين ،والتي اخترناه لتكون موضوع دراستنا نظرا لخصوصيتها في المجتمعات بصفة عامة والمجتمع الجزائري بصفة خاصة بمعنى أن هذه الدراسة تسعى لمعرفة الاستخدامات والإشباعات الإعلامية للفئات ذوي الاحتياجات الخاصة الجزائرية ؟ وعن ماذا تريد الحصول من التعرض للمضامين الإعلامية؟ وفي المقابل هل استطاعت وسائل الإعلام الجزائرية أن تلبي وتشبع الحاجات الإعلامية لهاته الفئة ؟ أم أن فئة ذ وي الاحتياجات الخاصة تلجأ للإعلام الغربي والعربي لتلبية احتياجاتها الإعلامية ؟ أي هل تمكن الإعلام الجزائري من تأدية وظائفه الاجتماعية أمام فئة المعاقين من خلال توفير المضامين الإعلامية التي تهمهم وتجذبهم؟

الكلمات المفتاحية : ذوي الاحتياجات الخاصة، الإستخدامات والإشباعات الإعلامية ، الحاجات والدوافع .

مقدمة :

نظرا للتطور المذهل للتكنولوجيا والتي شملت وسائل الإعلام وعظمت دورها في المجتمع ،أضحى الإعلام ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها في ظل أهداف الحكومات التي تسعى للرفع من مستوى مختلف الفئات الاجتماعية ثقافيا وعلميا ، وتحسين أوضاعها اجتماعيا واقتصاديا وتنمية السلوكيات والقدرات الفردية .

إن تعاظم أهمية الإعلام في المجتمعات راجع إلى قدرته على استيعاب اهتمامات وحاجات الفئات الاجتماعية، الأمر الذي دفع بالمؤسسات الإعلامية الكبرى في الدول الغربية وبعض الدول العربية إلى خوض غمار التخصص من خلال التركيز على مضامين إعلامية محددة لتلبية حاجات فئات محددة .

فالمجتمع ليس شيئا واحدا، بل هو كل مركب من شرائح اجتماعية كثيرة متباينة الصفات والأوضاع والأفكار والأهداف والاتجاهات، وبالتالي يكون لزاما على وسائل الإعلام أن تق وم بصياغة رسائل إعلامية مناسبة لخصائص كل شريحة مستهدفة في إطار تحقيق أهداف ووظائف العملية الاتصالية والإعلامية .

ومن بين الفئات الاجتماعية التي تحتاج إلى رعاية واهتمام ودفع قوي لتنميتها واستغلال قدراتها هي فئة المعوقين ،والتي اخترناه لتكون موضوع دراستنا نظرا لخصوصيتها في المجتمعات بصفة عامة والمجتمع الجزائري بصفة خاصة، حيث تسعى الدراسة في البحث عن الحاجات والاستخدامات الإعلامية للفئات الخاصة الجزائرية ومدى قدرة وتلبية الإعلام الجزائري لتلك الحاجات من خلال تبني قضاياهم وتناولها قصد تحسين صورتهم ومكانتهم ا لاجتماعية، أو بمعنى آخر مدى قيام الإعلام الجزائري بدوره ووظائفه اتجاه الفئات الخاصة.

وعليه تظهر الحاجة لدراسة حول المضامين الإعلامية التي تجذب فئة ذوي الاحتياجات الخاصة الجزائرية والتي تكون حسب خصائصهم سواء الخصائص المشتركة بينهم وبين الفئات الأخرى، أ و الخصائص التي تنفرد بها هده الفئة عن بقية الفئات، والتي تفرض عليها اهتمامات تسعى لإيجادها وحاجات خاصة تسعى لإشباعها من خلال المضامين الإعلامية، بمعنى أن هذه الدراسة تسعى لمعرفة الاستخدامات والإشباعات الإعلامية للفئات ذوي الاحتياجات الخاصة الجزائرية؟ وعن ماذا تريد الحصول من التعرض للمضامين الإعلامية؟ وفي المقابل هل استطاعت وسائل الإعلام الجزائرية أن تلبي وتشبع الحاجات الإعلامية لهاته الفئة؟ أم أن فئة ذوي الاحتياجات الخاصة تلجأ للإعلام الغربي والعربي لتلبية احتياجاتها الإعلامية؟ أي هل تمكن الإعلام الجزائري من تأدية وظائفه الاجتماعية أمام فئة المعاقين من خلال توفير المضامين الإعلامية التي تهمهم وتجذبهم؟

فقد أدى إدراك نتائج الفروق الفردية والتباين الاجتماعي بين أفراد الجمهور، وإدراك السلوك المرتبط بوسائل الإعلام إلى ظهور منظور جديد للعلاقة بين الجمهور ووسائل الإعلام، وكما سبق الذكر فقد أدى هذا إلى التحول من فكرة الجمهور كعنصر سلبي إلى عنصر فاعل في انتقاء واختيار الرسائل والمضامين المفضلة من وسائل الإعلام ،وابتداءا من نهاية النصف الأول من القرن العشرين بدأ الاهتمام يركز على دراسة استعمال الجمهور لوسائل الإعلا م من أجل إشباع رغباتهم وتلبية حاجاتهم انطلاقا من اختيارات عدة تمنحها لهم الوسيلة الإعلامية في حد ذاتها ،ولم يعد هناك حديث عن الآثار التي تخلفها وسائل الإعلام بقدر ما فتحت الدراسات الباب أمام مسألة اختلاف الاستعمالات بين الجمهور، إذ لا حظ النقاد أنه يجب ال نظر إلى الجمهور من منظور فردي، وذلك في حدود الاختلافات بين الاستجابات الناجمة عن الفروق الفردية المكونة للشخصية في حد ذاتها، ومن تم فإن استخدام وسائل الإعلام مرهون

بالتباين في الحاجات والدوافع،التي ما هي في الأساس إلا مجموعة من القوى النفسية التي تساعد على تحديد سلوك الجمهور ،ويفسر التباين في سلوك التعرض بالكثافة الشديدة أو التعرض المحدود نتيجة عدم تلبية الوسيلة لحاجة أو حاجات لدى الفرد ، [١٢١]فالسلوك الاتصالي هو جزء من السلوك الاجتماعي، ويختلف سلوك الأفراد في المجتمع باختلاف سمات وخصائص كل فرد ، سواء كانت ديمغرافية أو فردية أو اجتماعية، كما تتدخل مصالح واهتمامات الجمهور في تعرضهم لوسائل الإعلام،[١٢٢]وهنا نشير إلى أن خصائص الأفراد الأولية تؤثر على عادات اتصالهم وهذه الخصائص الأولية تتمثل في :

أ. **التعليم**: حيث أكد **هوفلاند HOVLAND** أن هناك ارتباطا إيجابيا بين مقدرة الفرد الذهنية ودرجة استيعابه للرسالة الإعلامية، إذ أن جمهور وسائل الإعلام المطبوعة يحتاج إلى قدر معين من المهارات ،ولكن أي شخص تقريبا يمكنه أن يكون جمهور الراديو والتلفزيون، بمعنى أن هناك ارتباط بين التعامل مع الجريدة أو المجلة ودرجة التعليم.

أ. **العمر(السن)** : بينت الأبحاث أن الأفراد الصغار يفضلون المواد الترفيهية أكثر من المواد الجادة،كما تبينت أيضا وجود ارتباط سلبي واضح بين صغر السن وسنوات مرحلة الشباب والاهتمام بالشؤون العامة، فالأفراد في سن الشباب يكونون عادة أقل اهتمام بالشؤون العامة ،وتشير الدلائل إلى انه كلما ا رتفع السن تحول الاهتمام من الخيال إلى الموضوعات غير الخيالية.

أ. **الجنس** : فالإختلاف بين الرجال والنساء له أهمية كبيرة حيث كشفت الدراسات أن النساء أقل اهتماما بالشؤون العامة مقارنة بالرجال، فالإناث يملن على قراءة القصص الخيالية في المجلات ، في حين يميل الذكور إلى قراءة المواد غير الخيالية .

ب. **الخصائص البيولوجية** : فالخصائص البيولوجية ومكونات الشخصية الإنسانية لهم تأثير على طبيعة السلوك الإنساني، إذ أن البنيان العضوي للجسم يؤثر على طبيعة سلوكه وتصرفاته ونظرته إلى نفسه ونظرة الآخرين إليه، ويحدد طبيعة العلاقة القائمة بينه وبين غيره من الأفراد ، **فقد يولد شخص ناقص التركيب البيولوجي أو مشوه الخلقة، وهنا يؤثر في علاقاته الاجتماعية بالآخرين ،فالانعكاسات التي تظهر في سلوك الفرد إنما مردها إلى تكوينه البيولوجي ،وهدا ما يجعل التعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة أمرا بالغ الأهمية ع لى مستوى**

---

[١٢١] حنان شعبان ،**تطور دراسات جمهور وسائل الإعلام"من دراسات التأثير إلى دراسات التلقي** "،مجلة الإذاعات العربية،اتحاد الإذاعات العربية،العدد ٠٢ ،٢٠١٢، ص ٦٩- ٧٠.

[١٢٢] سميرة بلغيثية ،**الدراما التلفزيونية العربية وجمهور النساء الماكثات في البيت**،مذكرة ماجيستر،جامعة الجزائر،٢٠١٠-٢٠١١،ص ٤٧.

الاتصال الشخصي، ومن خلال وسائل الاتصال الجماهيري، فالإعاقة تولد إحساس بالنقص مما يدفع دو الحاجة الخاصة إلى الانسحاب من العلاقات الاجتماعية وتعويضها بالطريقة الاصطناعية من خلال وسائل الاتصال الجماهيري.[١٢٣]

بمعنى أن كل مستخدم لديه سمات خاصة، فالخصائص السوسيوديموغرافية كالسن، الجنس ،الحالة العائلية ... تسمح بتفسير السلوكات الفردية في علاقتها بالإعلام، ويتم تشكيل الجمهور من خلال سمة أو مجموعة سمات خاصة،كجمهور الأطفال، المسنين، الأشخاص المعاقين والمقارنة بين جمهور النساء والرجال ... من جهة أخرى أدت المنفعة المرجوة من الاستخدام إلى التنويع في وسائل الإعلام والتنويع بين الطلب والحاجة للمعلومة،وهدا يعني تجدد في الاستخدامات والمستخدمين،فلا يوجد جمهور واحد بل عدة جماهير، إذ أن المنتجات والخدمات الإعلامية تقوم بتقسيم وتصنيف المستخدمين إلى جماهير متعددة .[١٢٤]

من خلال ما سبق لاحظنا افتقار في البحوث العلمية الإعلامية بالجزائر التي تتناول فئة المعاقين الجزائريين وعلاقتها بالإعلام الجزائري، على العكس من ذلك في بلدان الخليج والأردن وغيرها من الدول العربية وحتى الأجنبية، إذ يوجد دراسات تتناول علاقة فئة ذوي الاحتياج ات الخاصة بوسائل الإعلام من مختلف الزوايا، سواء من المنظور التربوي التعليمي، أو من منظور مسؤولية وسائل الإعلام اتجاه فئة ذوي الاحتياجات الخاصة من خلال تسليط الضوء على قضاياهم أو غيرها من الزوايا التي عالجتها الأبحاث العلمية.

وفيما يلي نعرض مجموعة من الدراسات التي تصب في نفس الاتجاه :

دراسات حول الاستخدامات والإشباعات :أصبحت الدراسات حول الاستخدامات والإشباعات كتقليد في بحوث الإعلام والاتصال في السنوات الأخيرة ،وسنعرض البعض منها فيما يلي :

١) دراسة **أسامة غازي المدني** بعنوان« **استخدامات الشباب السعودي الجامعي للمضمون السياسي للمدونات الإلكترونية و الإشباعات المحققة منها** »[١٢٥] : وهي دراسة وصفية اعتمد فيها الباحث على منهج المسح الوصفي **DESCRIPTIVE SURVEY** ، والاستبيان كأداة لجمع المعلومات لعينة من مجتمع دراسة مشكل من ٢٥٠

---

[١٢٣] منى سعيد الحديدي ، سلوى إمام على،**الإعلام والمجتمع** ،الدار المصرية اللبنانية ،طبعة ١،٢٠٠٤،ص ٩٤ – ١٠٠.

[124] Yves f.le Coadic :usages et usagers de l'information. édition nathan,paris.1997.p p 74-75.

[١٢٥] أسامة غازي المدني ، **إستخدامات الشباب السعودي للمضمون السياسي للمدونات الإلكترونية والإشباعات المحققة منها**، مجلة كلية الآداب، جامعة حلوان،العدد ٢٦،جوان ٢٠٠٩.

مفردة من الشباب الجامعي السعودي، وتم سحب العينة عن طريق توزيع دعوة للمشاركة في دراسة عن شبكة الانترنت بالكليات الجامعية بمدينتي جدة ومكة، وقد ارتكز الباحث في دراسته على نظرية الإستخدامات والإشباعات.

٢) دراسة ميدانية للباحثة **فوزية عبد الله العلي** من جامعة الشارقة بعنوان **استخدام المرأة الإماراتية للقنوات الفضائية بدولة الإمارات** وهي دراسة استطلاعية تتبلور مشكلتها في معرفة مدى تعرض المرأة الإماراتية للقنوات الفضائية وتلبية احتياجاتها في الحصول على المعلومات والمعرفة والترفيه ، والدور الذي يمكن أن تؤديه تلك القنوات في تزويد المرأة الإماراتية بما يمكنها من إشباع حاجاتها ودوافعها .

وقد اعتمدت الباحثة على منهج المسح من خلال القياس الميداني لعينة مكونة من ٢٠٠ مفردة شملت النساء العاملات وربات البيوت بالإمارات، من طبقات اجتماعية واقتصادية مختلفة ومستويات علمية وعمرية مختلفة ومزجت بين الريف والحضر، وقد ارتأت الباحثة استخدام الاستبيان كأداة بحث يتم توزيعه على المبحوثين وقمن بملأه.

٣) دراسة **الدكتورة بارعة حمزة شقير** تحت عنوان « **استخدام أساتذة جامعة دمشق للانترنت والإشباعات المحققة منها** [١٢٦] » منشورة **مجلة جامعة دمشق المجلد ٢٥ العدد الأول والثاني سنة ٢٠٠٩ :**

وتتحدد مشكلة الدراسة في معرفة مدى استخدام أساتذة جامعة دمشق للانترنت ودوافع استخدامهم لها والإشباعات المحققة من وراء هذا الاستخدام .

اتبعت الباحثة خلال دراستها على منهج المسح للكشف عن استخدامات أساتذة جامعة دمشق للإنترنت والإشباعات المحققة منها معتمدة على أداة الاستبيان **QUESTIONNAIR** ضمن مجتمع دراسة يتمثل في أساتذة جامعة دمشق في المراحل العمرية المختلفة ،الكليات العملية والنظرية ،المراتب العلمية المختلفة، وكانت العينة عشوائية لمئة مفردة موزعة على عدة متغيرات كالعمر وطبيعة الكلية، المرتبة العلمية، مستوى إتقان اللغات الأجنبية، المستوى الاجتماعي والاقتصادي، المهمة الإدارية.

وقامت الباحثة بدراستها في ضوء نظرية الإستخدامات والإشباعات.[١٢٧]

دراسات حول فئة ذوي الاحتياجات الخاصة (المعاقين) :

---

[١٢٦] بارعة حمزة شقير، **استخدام أساندة جامعة دمشق للانترنت والإشباعات المحققة منها:** مجلة جامعة دمشق،مجلد ٢٥ ،العدد الأول والثاني ،٢٠٠٩، ص ٤٥٧- ٤٦٦.

[١٢٧] بارعة حمزة شقير،مرجع سابق، ص ٤٧١- ٤٧٤.

٤) دراسة رامي **أسعد إبراهيم نتيل ومحمد وفائي** بعنوان :"**السمات المميزة لشخصيات المعاقين سمعيا وبصريا وحركيا في ضوء بعض المتغيرات** "، تحت إشراف الجامعة الإسلامية ،غزة ،فلسطين.

انطلق الباحثان من الإشكالية التالية :ما السمات المميزة لشخصيات المعاقين سمعيا وبصريا وحركيا في ضوء بعض المتغيرات ؟

هدفت الدراسة للكشف عن أهم السمات المميزة لشخصيات المعاقين سمعيا وبصريا وحركيا في ضوء بعض المتغيرات وهي الجنس، ونوع الإعاقة سمعية، بصرية، حركية، والسن، والمستوى التعليمي.

وقام الباحثان بتوزيع استمارة على عينة قصدية مشكلة من ٥٧٧ معاق وهي تمثل نسبة ١٠% من مجتمع البحث الكلي (العدد الكلي للمعاقين) ، منهم ١٩٢ معاق سمعي، ٢١٣معاق بصري،١٧٢ معاق حركي .[١٢٨]

وتوصل الباحثان من خلال الدراسة إلى تحديد جملة من السمات الخاصة بكل فئة من فئة المعاقين حسب نوع الإعاقة سمعيا، بصريا، حركيا، على رأس هذه السمات التي اشترك فيها المعاقون هي العدوانية بشكل كبير، ومن تم تلتها سمات الثقة بالنفس، الخجل، والتفاؤل والثقة بالآخرين والأمن والطمأنينة.[١٢٩]

دراسات حول الإعلام وذوي الاحتياجات الخاصة :

٥) دراسة **لعلي بن شويل القرني** بعنوان : "**اتجاهات الإعلاميين السعوديين نحو ذوي الاحتياجات الخاصة :دراسة مسحية عن الصورة والاهتمامات في وسائل الإعلام السعودية**"

حيث تناقش الدراسة العلاقة بين وسائل الإعلام وموضوعات وقضايا ذوي الاحتياجات الخاصة، أو بمعنى آخر تسعى الدراسة لتقصي اتجاهات الأسرة الإعلامية في المملكة العربية السعودية نحو الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة، للتعرف على علاقة هذه الاتجاهات بالصورة التي ترسمها وسائل الإعلام عن هذه الفئة .

اعتمد الباحث من خلال دراسته على المنهج المسحي على عينة بلغت ١٤١ مفردة من الأسرة الإعلامية بما فيه الإعلام المقروء والمسموع والمرئي بالمملكة السعودية .

وتوصلت الدراسة إلى أن اهتمام وسائل الإعلام بالمملكة السعودية في مجمله محدود ، ويأتي التلفزيون في مقدمة الوسائل التي تهتم و تعطي اهتماما بهذه الفئة ،تليها الصحافة ثم الانترنت ، وتقدمت الإعاقة الحركية (الجسدية) على

---

[١٢٨] رامي أسعد ابراهيم نتيل ،محمد وفائي .غزة، **المميزة لشخصيات المعاقين سمعيا وبصريا وحركيا في ضوء بعض المتغيرات**،مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)،غزة ،فلسطين.٢٠٠٧. ص ٨٧٥.

[١٢٩] رامي أسعد إبراهيم نتيل ، محمد وفائي ،مرجع سابق،ص ٩١٣– ٩١٨.

باقي الإعاقات ،وتقدمت موضوعات الوقاية من الإعاقة على باقي الموضوعات الأخرى في اهتمامات وسائل الإعلام السعودية .[١٣٠]

٦) دراسة للباحثة **سهير صالح إبراهيم** تحت عنوان :« **الاحتياجات الإعلامية والثقافية للمعاقين من برامج التلفزيون**[١٣١] »:حيث تتبلور مشكلة الدراسة في التعرف على احتياجات المعاقين المصريين الإعلامية على قنواته التلفزيونية الثمانية الأرضية ،وهي دراسة الأولى من نوعها في مصر ومن أوائل الدراسات في الوطن العربي من حيث تناولها لدور وسائل الإعلام في حياة المعاقين .

وهي دراسة من الدراسات الوصفية التي تهدف إلى تحديد احتياجات المعاقين من البرامج التلفزيونية معتمدة على المنهج المسحي من خلال :

– مسح لعينة من البرامج التلفزيونية .

–مسح لجمهور هذه البرامج والمشكل من المعاقين المصريين.

التعليق على الدراسات السابقة :

من خلال عرضنا للدراسات السابقة والتي قسمناها إلى ثلاث أقسام وهي الدراسات الخاصة بالاستخدامات والإشباعات، الدراسات الخاصة بفئة ذوي الاحتياجات الخاصة من المنظور النفسي والاجتماعي، ودراسات متعلقة بالإعلام والمعاقين، يتبين هناك عوامل ومتغيرات تتدخل في عملية استخدام وسائل الإعلام ومضامينها المختلفة، ومجموع هذه المتغيرات يولد نمط معين من الإستخدامات على غرار السن، المكانة الاجتماعية، الحالة العائلية ، وغيرها ،وكل مجموعة من المتغيرات تخلق نمط اس تخدامات مختلف عن مجموعة أخرى من المتغيرات مثلا فئة إناث ماكثات بالبيت تختلف عن فئة الذكور العاملين، وفئة الذكور البطالين تختلف عن الفئتين السابقتين وفئة الأطفال تختلف عن الفئات السابقة وما إلى ذلك ،فكل شريحة اجتماعية لها نمط معين ومختلف من الإستخدامات باخ تلاف الاحتياجات الاجتماعية والنفسية والثقافية لتلك الفئة، وهذا ما توصل إليه رواد نظرية الاستخدامات والإشباعات في علوم الإعلام والاتصال في منتصف القرن العشرين، والذي أصبح تقليد في دراسات الجمهور، لذلك نجد أن كل دراسة من الدراسات السابقة المتعلقة بالاستخدام ات والإشباعات قامت على شريحة معنية أي على مجموعة من المتغيرات التي

---

[١٣٠] علي بن شويل ،**اتجاهات الإعلاميين الس** عوديين نحو د وي الاحتياجات الخاصة ،دراسة مسحية عن الصورة والاهتمامات في وسائل الإعلام السعودية: بحث مقدم للملتقى السابع للجمعية الخليجية للإعاقة عن "الإعلام والإعاقة "، المكتبة الإلكترونية ،مملكة البحرين،٢٠٠٧،ص ٢.

[١٣١] . سهير صالح إبراهيم،**الاحتياجات الإعلامية والثقافية للمعاقين من برامج التلفزيون**،مجلة الفن الإذاعي ،عدد ٠١ ،ص ١٥٩– ١٦٨.

تختلف عن غيرها، على غرار دراسة **غازي المدني** التي تبحث في نمط **استخدام الشباب السعودي للمضمون السياسي للمدونات الإلكترونية والإشباعات المحققة منها** ، ودراسة **فوزية عبد الله العلي** حول **استخدامات المرأة الإماراتية للقنوات الفضائية** بدولة الإمارات ،ودراسة **بارعة حمزة شقير** حول استخدام **أساتذة جامعة دمشق للانترنت والإشباعات المحققة** .

في نفس السياق إطلاعنا على الدراسات المتعلقة بفئة ذوي الاحتياجات الخاصة من المنظور النفسي والاجتماعي ، أي من زاوية الخصائص النفسية والاجتماعية لفئة المعاقين ،كشف لنا عن وجود فوارق نفسية واجتماعية لهاته الفئة عن غيرها من الفئات الأخرى، أي أن الإعاقة تفرض سمات نفسية واجتماعية معينة ومخالفة عن الأشخاص الغير معاقين، الأمر الذي شجعنا في دراستنا أكثر للتعرف عن نمط استخدامات هاته ا لشريحة للوسائل الإعلامية وفق المتغيرات السابقة الذكر (سن ، جنس ...إلخ) إضافة إلى متغير الإعاقة ،ولقد تطرقت بعض الدراسات لهذا على غرار دراسة **سهير صالح إبراهيم** حول : " **الاحتياجات الإعلامية والثقافية للمعاقين من برامج التلفزيون** ، ودراسة **لعلي بن شويل القرني** حول :"**اتجاهات الإعلاميين السعوديين نحو ذوي الاحتياجات الخاصة : دراسة مسحية عن الصورة والاهتمامات في وسائل الإعلام السعودية** "، غير أن هده الاخيرة تناولت العلاقة بين الإعلام والإعاقة من منظور ممارسي مهنة الإعلام في حين أن دراسة **سهير صالح إبراهيم** تناولتها من جانبين، منظور وسائل الإعلام من خلال تحليل برامج تلفزيونية، ومنظور فئة المعاقين لتلك البرامج من خلال الاستبيان .

وعليه تميزت دراستنا عن الدراسات السابقة بما يلي :

–تناولت المتغيرات المستخدمة في بحوث الاستخدامات والإشباعات على غرار السن، الجنس ..الخ، وربطتها بمتغير الإعاقة.

–بحثت في نمط الاستخدامات والإشباعات لفئة المعاقين من منظور المعاقين أنفسهم من خلال توزيع استمارات .

–تحديد المتغير الجغرافي بالجزائر ، حيث أنها تهتم بالمعاقين الجزائريين فقط ، وعلاقتهم بالإعلام الجزائري .

وعليه **تتبلور إشكالية هده الدراسة** كالآتي : ماهي استخدامات فئة ذوي الاحتياجات الخاصة للإعلام الجزائري ؟وهل يشبع الإعلام الجزائري حاجاتها الإعلامية ؟

وتنطوي هده الإشكالية على أسئلة فرعية هي كالتالي :

- ما هي المضامين الإعلامية التي تجدب فئة ذوي الاحتياجات الخاصة الجزائرية ؟

- ما هو موقع فئة ذوي الاحتياجات الخاصة من الإعلام الجزائري خارج نطاق المناسباتية؟*
- هل المعاق الجزائري يتابع المضامين الإعلامية الجزائرية أم أنه يلجأ للإعلام الأجنبي والعربي؟
- ماذا يتوقع المعاق الجزائري من وسائل الإعلام ؟

أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة إلى:

- تحديد الحاجات التي تدفع المعاقين بالجزائر لمتابعة المضامين الإعلامية.
- ترتيب المضامين الإعلامية وفق اهتمام فئة ذوي الاحتياجات الخاصة الجزائرية وحسب مجالها ترفيهية، تعليمية، ثقافية، تربوية، إخبارية، الخ.
- تحديد نسبة متابعة فئة ذوي الاحتياجات الخاصة للإعلام الجزائري .
- تحديد وبلورة الإشكاليات المتعلقة بالإعلام والمعاق .
- تأسيس قاعدة علمية للتعمق في أبحاث لاحقة تتناول دور وأهمية الإعلام اتجاه المعاقين .

-مقترب الاستخدامات والإشباعات **uses & gratifications**:

ترى هذه النظرية أن الجمهور ليس مجرد عنصر سلبي في العملية الاتصالية، بل أن الأفراد هم الذين يحددون المضامين الإعلامية التي يتلقونها والتي يعتقدون أنها هي التي تلبي حاجاتهم النفسية والاجتماعية، وعليه فإن أفراد الجمهور مشاركون فاعلون في عملية الاتصال الجماهيري وهم يستخدمون وسائل الاتصال التي تلبي أهدافهم المتوقعة، كما يختلف استخدام وسائل الا تصال الجماهيري وفقا لتنوع التفاعل الاجتماعي والحاجات النفسية والاجتماعية للأفراد والفروق الفردية بينهم ،[١٣٢] والناس يقومون، باستعمالات واعية وإرادية لوسائل الإعلام بغية الحصول على أشياء خاصة نصيحة مثلا، معلومة ،مساعدة، للترفيه، للتسلية، الخ...[١٣٣]

---

* وصفت ورقة **الدكتور خالد القحص** بعنوان « **الإعلام والإعاقة :علاقة تفاعلية ومسؤوولية متبادلة** » مقدمة إلى الملتقى السابع للجمعية الخليجية للإعاقة في مارس ٢٠٠٨ ، أسلوب وسائل الإعلام في التعامل م ع قضايا المعاقين بالمناسباتية، أي أنها تناول قضايا الإعاقة بحسب المناسبات التي يتم عقدها والأنشطة التي تقوم بها الجمعيات دات الصلة بالمعاقين.

[١٣٢] عبد الرحيم درويش.مقدمة إلى علم الاتصال.مكتبة دنانسي،٢٠٠٥،ص ٢٧.

[١٣٣] **الاتصال :مفاهيمه،نظرياته، وسائله**،دار الفجر للنشر والتوزيع ،٢٠٠٣، ص ٤٣.

ويطلق على هذه النظرية كذلك **بنظرية المنفعة** حيث أنها تساءلت عن كيفية استفادة الجمهور من وسائل الاتصال الجماهيري لتحقيق الكثير من الإشباعات كالتعلم عن النفس وعن الآخرين والتعلم كيفية التصرف في مختلف المواقف،والاسترخاء والنسيان ولقضاء الوقت ، وفي هذه النظرية يعتبر الجمهور نشط من خلال تحديد الإشباعات التي يريد الحصول عليها.[١٣٤]

حسب **willet**، فإن نموذج الاستخدامات الإشباعات هو نتيجة لمزيج من التيار الوظيفي وعلم النفس، وقد ساهم في ظهور هدا النموذج عدة أبحاث ودراسات خلال الأربعينيات من القرن الماضي على غرار أبحاث **إليهو كاتز** LIHU KATZ، **جاي بلومر** JAY BLUMER، فولكس FOULKS، **كورفيتش** GOUREVITCH [135]، **دينيس** DENIS MCQUAIL، **كارل إريك روزنغرين** KARL ERIK ROSENGREN، **ويلبر شرام** WILBUR SCHRAMM،[136]وغيرها من الدراسات التي كانت تسعى للكشف عن دوافع الأفراد لإستخدامهم وسائل الإعلام، على خلاف الدراسات التي سبقتها والتي كانت تركز على الآثار الناجمة من العملية الاتصالية وتجعل المرسل هو المتحكم والمتلقي هو المتحكم فيه ،[١٣٧] وانعكست النظرة المعتادة لوسائل الإعلام ، التي تبحث فيما تفعل وسائل الإعلام بالجمهور، إلى ماذا يفعل الجمهور بوسائل الإعلام .

هذه الأبحاث حاولت ربط توقعات الاستهلاك واللذة و المتعة و الأثر من خلال مؤشرات كمية،وهي أبحاث قائمة على مبدأ الانتقائية أو الاختيار، مع الأخذ في الحسبان حاجات وتطلعات الجمهور، وعليه فوسائل الإعلام تكون بمثابة خدمات عمومية أين يقوم الجمهور باستخدام انتقائي .[١٣٨]

لقد جاءت نظرية الاستخدامات الإشباعات مخالفة لما توصلت إليه نظريات التأثير المباشر، وحاولت تجاوز نظريات التأثيرات الغير مباشرة أو المحدود [١٣٩]، ذلك أن تأثير وسائل الإعلام لا يمكن أن يكون قوي ومباشر لوجود عقبات ولوجود تداخل ، ولأن عملية التأثير تستغرق وقت حسب ما أكده إليهو كاتز **ELIHOU KAATZ**.[١٤٠] وقد وصف **كاتز kaatz** ، **بلومر BLUMER**، و **كورفيتش gurevitch** تيار الإستخدامات الإشباعات أنه

---

[١٣٤] عبد الرحيم درويش.مرجع سابق،ص ٢٧.

[135] Dany therrien.**le phénomène facebook usages et gratification** : mémoires de maitrise. Faculté des arts ,université ottawa.canada.2012 p p 24-30.

[136] Eric maigret.**soiologie de la communication et des médias**.2eme édition. Armand colin.p71.

[137] Dany therrien.ouvrage précedent.p p 24-30.

[138] Eric maigret. ouvrage précedent.**p71.**

[١٣٩] .أرمان وميشال ماتلار،ترجمة نصر الدين العياضي ،الصادق رابح،**تاريخ نظرية الإتصال**،طبعة ٣،بيروت،المنظمة العربية للترجمة،ص ١٦٧.

[140] armand, michèle mattenart.histoire des theories de la communication.casbah editions.pp 87-88

محاولة لشرح ظاهرة من خلال الكيفية التي يستخدم فيها الفرد وسائل الاتصال لتلبية حاجاته وأهدافه، وحسب **لينين** فإن نموذج الاستخدامات الإشباعات يسمح للباحث في ميدان الإعلام والاتصال بإجراء دراسات من خلال الاحتياجات والدراسات النفسية ، القنوات ،الرسائل والمضامين الاتصالية الإشباعات النفسية .

تجدر الإشارة إلى أن الفضل في إعطاء تسمية **الاستخدامات الإشباعات uses & gratifications** تعود لـ **إليهو كاتز ELIHOU KAATZ** سنة ١٩٥٩م ، ومنذ نشأة هذا النموذج أصبح قاعدة هامة من نظريات الاتصال .[141]

خاتمة:

كخلاصة لما سبق ذكره، فإن ضرورة تثمين الرصيد العلمي في حقل الإعلام بالجزائر تقتضي القيام بدراسات أكثر تعمقا للتعرف على العلاقة التي تربط بين الإعلام وفئة ذوي الاحتياج ات الخاصة، واستخدامات هده الفئة للإعلام في محاولة للرفع من قدراتها وتحسين أوضاعها ،لما يلعبه الإعلام من دور هام في المجتمع، ويؤديه من وظائف للربط بين مختلف الأنظمة الاجتماعية ،ورغم أن دراساتنا هده هي من الدراسات الوصفية إلا أننا نسعى من خلالها إلى تأسيس قاعدة علمية، يمكن أن تكون المنطلق لأبحاث لاحقة أكثر تعمقا للتعرف أكثر عن العلاقة بين الإعلام وفئة ذوي الاحتياجات الخاصة .

قائمة المراجع :

١) حنان شعبان ،**تطور دراسات جمهور وسائل الإعلام"من دراسات التأثير إلى دراسات التلقي "**،مجلة الإذاعات العربية،اتحاد الإذاعات العربية،العدد٢ ،٢٠١٢ .

٢) منى سعيد الحديدي ،سلوى إمام على،**الإعلام والمجتمع** ،الدار المصرية اللبنانية ،طبعة٤ ،٢٠٠٤ .

3) Yves f.le Coadic :usages et usagers de l’information. édition nathan,paris.1997.

٤) أسامة غازي المدني ،**إستخدامات الشباب السعودي للمضمون السياسي للمدونات الإلكترونية والإشباعات المحققة منها**،مجلة كلية الآداب جامعة حلوان،العدد٦٢ ،جوان٢٠٠٩ .

٥) بارعة حمزة شقير ،**استخدام أساتدة جامعة دمشق للأنترنت والإشباعات المحققة منها**: مجلة جامعة دمشق،مجلد٢٥ ،العدد الأول والثاني٢٠٠٩ .

[141] Dany therrien. Ouvrage précédent. p 24-30.

٦) رامي أسعد ابراهيم نتيل ،محمد وفائي ،غزة، **المميزة لشخصيات المعاقين سمعيا وبصريا وحركيا في ضوء بعض المتغيرات**،مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)،غزة ،فلسطين،٢٠٠٧.

٧) علي بالإلكترونية، **اتجاهات الإعلاميين السعوديين نحو ذوي الاحتياجات الخاصة** ،دراسة مسحية عن الصورة **والاهتمامات في وسائل الإعلام السعودية**: بحث مقدم للملتقى السابع للجمعية الخليجية للإعاقة عن "الإعلام والإعاقة "،المكتبة الإلكترونية ،مملكة البحرين،٢٠٠٧.

٨) سهير صالح إبراهيم،**الاحتياجات الإعلامية والثقافية للمعاقين من برامج التلفزيون**،مجلة الفن الإذاعي ،عدد١٠ .

٩) عبد الرحيم درويش،**مقدمة إلى علم الاتصال**، مكتبة نانسي،٢٠٠٥.

١٠)**الاتصال ،مفاهيمه،نظرياته، وسائله**،دار الفجر للنشر والتوزيع،٢٠٠٣.

11) Dany therrien.**le phénomène facebook usages et gratification** : mémoires de maitrise. Faculté des arts, université ottawa.canada.2012

12) Eric maigret.**soiologie de la communication et des médias**.2eme édition. Armand colin.

١٣)أرمان وميشال ماتلار،ترجمة نصر الدين العياضي ،الصادق رابح.**تاريخ نظرية الإتصال**.

14) Armand**, michèle mattenart.histoire des theories de la communication**.casbah editions.

تاريخ تُنْبُكْتو منذ نشأتها إلى غاية القرن الحادي عشر الهجريّ

دراسة ثقافية تاريخية

د. الحاج بنيرد / جامعة مولود معمري – تيزي وزو،الجزائر

ملخص :

لقد لعبت مدينة **تُنبكتو** شمالي مالي دورا هامّا في السّاحل الإفريقي، وشكّلت همزة وصل بين الغرب الإسلامي وبين إفريقيا جنوب الصّحراء، ومع ذلك فإنّني لم أقف على دراسة مخصّصة لها، وإنّما ذُكرتْ تبعا لِما يُعرف بالسّودان الغربي، وهذا ما جعلني أقوم بهذه الدّراسة محاولة لنفض الغبار عمّا طالها من الإهمال والنّسيان، فحاولت أن أجمع الإشارات الموجودة في مختلف الكتب والدّراسات، وأن أضعها تحته ا المجهر، فذكرت موقعها وتاريخ نشأتها (القرن الخامس الهجريّ)، وأهمّ عوامل تأسيسها؛ وهي عامل تجاريّ لاشتهارها بتجارة الذّهب والرّقيق والملح، فقصدها الناس من المشرق والمغرب والأندلس . وعامل سياسي تمثّل في انطلاق دعوة المرابطين من التّكرور على سواعد أمازيغ صنها جة (لمتونة وجدالة ومسوفة)، وكانت منطقة تنبكتو حينها من أهمّ مراعيهم وأراضيهم . كما ساهم العامل الدّيني في نشأتها، وهو الرّغبة في نشر الإسلام في إقليم التّكرور وغانة، ومحاربة الوثنيّة في تلك البلاد

وذكرنا في هذا البحث أنّ تُنبكتو تناوبت عليها تقلبّات ك ثيرة، فعرفت أزهى أيّامها في عهد مملكة السُّنغاي في القرن التّاسع الهجري وما بعده؛ في عهد السّلطان موسى مَنْسا الّذي شيّد المساجد، وفي عهد الأسكيا محمّد الّذي اعتنى بالعلماء وأكرمهم، كما أنّها عرفت نكبات كثيرة، أهمّها نكبة سلطان مالي سُنّي علي الّذي حارب عل ماء تنبكتو وشرّدهم، ثمّ في نهاية القرن العاشر الهجريّ على يد السّعديّين الّذين قضوا على إشعاع تُنبكتو، وهذا ما فتح المجال واسعا أمام الوثنيّة، ثمّ حملات التّنصير مع الاستعمار الحديث.

مقدّمة:

تعُدّ مدينة **تُنْبُكْتُو** من أهمّ مدن السّاحل في الماض ي والحاضر وربما في المستقبل، لقّبها المستكشفون بـ "جوهرة الصّحراء"، وقد مثّلت هذه المدينة منذ نشأتها بؤرة صراع ومركز ثقافة واطّلاع، وأثّرت فيما حولها وتأثّرت هي أيضا بما حولها، فغدت من أهمّ مراكز الإشعاع الثقافي والحضاري خصوصا في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين، ومع ذلك بقيت هذه المدينة مغمورة عند المثقفين فضلا ع ن عامة النّاس، ولم تحظ بالكثير من الدّ راسات ولم تنل نصيبها من البحث الأكاديمي، وكلّ ما هنالك أنها معلومات مبثوثة هنا وهناك ومتفرقة بين بطون الكتب، حاولنا جمع ما

أسعفنا الجهد والحظّ لذلك، ثم نسّقنا بينها وأبدينا ملاحظاتنا حولها كلما عنّ لنا في ذلك رأي أو فكرة، فجاءت هذه الدّراسة القصيرة محاولة لنفض الغبار عمّا طالها من الإهمال والنسيان.

ولهذا كان التجرّؤ على اختيارها موضوعا للدّراسة ضربا من التّوغّل في المجهول، ونوعا من المخاطرة العلميّة، بالرّغم لقلّة المراجع في هذا المجال، وبالنّظر أيضا لشحّ المصادر في ذكرها، ولولا الأحداث التي شهدتها في السّنوات الأخيرة ربما لم يسمع بها أحد.

وقد وقفت على بعض أخبارها في كتاب **"وصف إفريقيا"** للحسن بن محمد الوزان الفاسي الشهير بليون الإفريقي (ت حوالي ٩٥٧هـ)؛ ويعدّ كتابه هذا خريطة جغرافية وملخصا تاريخيا اعتمده الرحالة الأوروبيون في رحلات استكشافهم للمنطقة، وكتاب **"تاريخ السودان"** لعبد الرحمن بن عبد الله السعدي التنبكتي (ت ١٠٦٦هـ/ ١٦٥٦م)، كما اعتمدنا في هذا البحث على كتب التراجم التي ألفها علماء المنطقة لنتعرف على علومهم ورحلاتهم؛ ونخصّ بالذكر كتاب **"نيل الابتهاج بتطريز الديباج"** لأحمد بابا التنبكتي (ت ١٠٣٦هـ/١٦٢٧م)؛ ويعد من أشهر علماء المنطقة كما يعد كتابه من أهم كتب التراجم التي لا يمكن أن يستغني عنه الباحث في التراث، ووقفت أيْضا على كتاب **"فتح الشكور في معرفة ع لماء تكرور"** لأبي عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق الولاتي (ت ١١١٩هـ)، وهو كتاب متأثر إلى حد بعيد بكتاب **"نيل الابتهاج"**، إضافة إلى بعض الكتب العامة في التاريخ وبعض الدّراسات التّاريخيّة المتفرقة ككتاب **"العبر"** لابن خلدون (ت٨٠٨هـ)، وكتاب **"الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى"** لأحمد بن خالد الناصري (ت ١٣١٥هـ/١٨٧٩م)، وأيضا بعض الدّراسات التي تحدثت عمّا يُعرف بالسّودان الغربي.

وما يُلاحظ على كتاب **"تاريخ السّودان"** لعبد الرحمان السّعدي هو كثرة التصحيفات والتحريفات فوقع من أخذ منه في ذلك، ولهذا فهو بحاجة إلى إعادة التحقيق، كونه حُقّق في وقت مبكّر على يد المستشرق هوداس في مدرسة اللغات الشرقية بفرنسا.

إشكالية البحث:

متى تأسّست مدينة تنبكتو؟ وماهي مراحل الازدهار في تاريخها؟ وما هي مظاهر الانكسار والتأخر عن دورها الريادي في منطقة الساحل؟ وما علاقتها بمختلف الأقطار وخصوصا بشمال إفريقيا؟

هذه هي الأسئلة التي نحاول الإجابة عنها في هذا البحث.

٢ -موقع مدينة:

أ -كلمة تُنْبُكْتو:

كلمة " تُنْبُكْتو" كلمة أمازيغية باللّهجة الصّنهاجية مكوّنة من كلمتين "تين" و"بكتو"، ومعناها يخصّ العجوز أو خاصٌّ بالعجوز، لأنّها كانت أرضاً مِلْكاً لعجوز من طوارق إيمقشرن [١٤٢].

وقد ضبط ابن بطوطة (ت ٧٧٩ هـ) كلمة "تُنْبُكْتُو" بضمّ التاء المثنّاة وسكون النّون وضمّ الباء الموحّدة وسكون الكاف وضمّ التّاء المثنّاة الثّانية وبعدها واو[١٤٣].

ويكتبها غير واحد من المؤرّخين والعلماء "تُنْبُكْت" بلا واو في الأخير كأبي العباس المقري (ت ١٠٤٠ هـ) في "أزهار الرّياض في أخبار القاضي عياض "، ومحمد أمين المحبي (ت ١١١١ هـ) صاحب "خلاصة الأثر"، ومرتضى الزَّبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) في "تاج العرس"، وعبد الحيّ بن عبد الكبير الكتّاني (ت ١٣٨٢ هـ) في "فهرس الفهارس"[١٤٤].

ومنهم من يكتبها "تمبكتو" بالميم بدل النون [١٤٥]، وذلك ظاهر نتيجة قلب النون ميما لالتقاء النّون السّاكنة بالباء، ومنه أيضاً أُخذ المقابل بالفرنسية "Timbuctu"، ولهذا ترجمها الدكتور زكي نجيب محمود "تمبكتو" بالميم عند ترجمته لكتاب "قصّة الحضارة" لويليام جيمس (ت ١٩٨١ م)[١٤٦].

ب -إقليم تُنْبُكْتُو:

يقع إقليم تُنْبُكْتو في الشمال الغربي لدولة مالي حاليا بمحاذاة الجنوب الجزائري وشرق موريتانيا، في منطقة مترامية الأطراف وسط الصّحراء الكبرى فيما يُعرف بالسّاحل الإفريقي الّذي يضمّ دول موريتانيا وجنوب الجزائر وشمال مالي والنّيجر وتشاد وليبيا إلى غاية سواحل المحيط الأطلسي، وربّما بسبب ذلك أُطلق على المنطقة تسمية منطقة السّاحل.

وكانت تُعرَف هذه المنطقة قديما باسم التكرور [١٤٧]، وباسم صحراء صنهاجة [١٤٨] لأنّ قبائل صنهاجة البربرية أكثر من عمّرها وأشهر من ذُكر بها[١٤٩].

---

[١٤٢]- انظر: **حملة تنصير الطّوارق**، مجلة البيان، السنة الخامسة، ربيع الآخر ١٤١١هـ، العدد ٣٣ ،ص ٦٤.

[١٤٣]- انظر: **رحلة ابن بطّوطة**، ج ٢ ،ص ٥٣٨.

[١٤٤]- انظر: **أزهار الرياض** ٣/٥٧، وخلاصة الأثر ٤/٤٤٨، وتاج العروس ٤/٤٧١ مادّة "تيت"، وفهرس الفهارس ١/١١٤.

[١٤٥]- انظر: **الموسوعة القرآنية**، إبراهيم الأبياري، مؤسّسة سجل العرب، ط ١- ١٤٠٥ هـ، ج ١ ص ٣٩٧، والفكر السّامي في تاريخ الفقه الإسلامي، محمد بن الحسن الحجوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط ١ – ١٤١٦ هـ، ج ٢ ،ص ٣٢٦.

[١٤٦]- انظر: **قصّة الحضارة**، وليام جيمس، ترجمة زكي نجيب محمود وآخرون، دار الجيل – بيروت، ١٩٨٨، ج ٢٣، ص ٥٢.

وقد عَرّف محمد بن أبي بكر الصديق الوُلاتي (ت ١١١٩ هـ) إقليم التّكرور بأنّه إقليم واسعٌ جدّا يمتدّ شرقا إلى أدْغاغ (أدرار الجزائرية)، ومغربا إلى بحر بني زناقية [١٥٠] (المحيط الأطلسي)، وجنوبا إلى بيط (جنوب مالي)، وشمالا إلى أدرار (شمال موريتانيا)[١٥١].

والبلاد الواقعة في أرض السّود ان شديدة الحرارة إلا أنّ بها شيئا من الرطوبة بسبب نهر النّيجر، وكلّ الأقاليم المجاورة لهذا النّهر صالحو جدا للزراعة، وتنمو فيها الحبوب بكثرة، وتوجد من الماشية أعدع لا تُحصى، ويوجد فيها أيضا أنواع الخضر إلا أنّ الفاكهة فيها قليلة أو منعدمة[١٥٢]

أمّا مدينة تنبكتو فتتوسّط هذا الإقليم وتحتلّ موقعا استراتيجيا فيه، فالمارّ من شمال التكرور إلى جنوبه أو من شرقه إلى غربه لابدّ أن يمرّ على تنبكتو، وخاصّة أنه يمرّ بها نهر النّيجر ثمّ ينحني جنوبا إلى مدينة غاو بنحو ثلاثمائة وعشرين كيلومترا، وأمّا في الطريق إلى المحيط الأطلسي فتقع مدينة وُلاتة الموريتانية على الحدود مع الجزائر بنحو ذلك.

٣ -تأسيس مدينة تُنْبُكْتُو:

يُجمع المؤرخون على أن مدينة تنبكتو تأسّست في القرن الخامس الهجري أثناء قيام دعوة المرابطين [١٥٣]، ولم نر من شذّ إلا ما ذكره إبراهيم الأبياري (ت ١٤١٤ هـ) من أنها تأسّست سنة ٦١٠ هـ[١٥٤]، ويبدو أنّه اعتمد على ما ذكره الحسن الوزّان الشهير بليون الإفريقي بأنّ مدينة تُنْبُكْتُو بناها ملك مالي منسا سليمان سنة ٦١٠ هـ على نهر النّيجر[١٥٥].

لقد كانت منطقة تنبكتو معبرا للقوافل بين غرب إفريقيا وشمالها وبين وُلاتة والقاهرة، ومن ثمّة إلى الشام والحجاز، ولهذا كانت محلا للبدو الرحل وخاصّ بعض فروع صنهاجة كلمتونة وجدالة ومسوفة؛ إذ يذكر المؤرّخون بأنّها كانت

١٤٧- انظر: **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور**، محمد بن أبي بكر الصديق الولاتي، ص ٢٦.

١٤٨- انظر: **وصف إفريقيا**، الحسن بن محمد الوزان، ج ٢ ،ص ١٤٨.

١٤٩- انظر: نفسه، ج ٢ ص ١٤٨.

١٥٠- الظاهر أن كلمة زناقة تحريف لنطق كلمة صنهاجة.

١٥١- انظر: **فتح الشكور**، ص ٢٦.

١٥٢- انظر : **وصف إفريقيا**، الحسن بن محمد الوزان، ج ١ ص ٧٧.

١٥٣- انظر: **أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في حركة عثمان بن فودي الإصلاحية في غرب إفريقيا**، مصطفى مسعد، عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ٢ – ١٤١١ هـ، ص ٤٢٩.

١٥٤- انظر: **الموسوعة القرآنية**، ج ١١ ص ٣٩٧.

١٥٥- انظر: **وصف إفريقيا**، الحسن الوزّان، ج ٢ ص ١٦٨.

طريقاً للتّجارة من مدينة غاو وما دونها من بلاد غانا إلى المغرب والقاهرة والشّام والحجاز، وبأنها كانت محلا للظعن والحِلّ والترحال لقبائل صنهاجة، ويقدّرهم ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) بأنّهم ثلث سكّان البربر في المغرب[١٥٦].

ويبدو أنّ بداية الاستقرار بها كان في أواسط القرن الخامس الهجري، وبالضبط عند نزول المرابطين الأوائل بها، فنزل بأحوازها الشيخ المصلح عبد الله بن ياسين (ت ٤٤٩ هـ/١٠٥٧ م) على مقربة من تُنْبُكْتُو[١٥٧]، فوفد عليه كثير من أشراف هذه المنطقة فبلغوا ألفا، وبدأبتغيير المنكر ومحاربة البدع والعادات الوثنية في تلك النّواحي، فحارب جدالة في نحو ثلاثة آلاف مقاتل سنة ٤٣٤ هـ، ثم سار لقتال لمتونة حتى أذعنوا للطاعة ثم مسوفة حتى خضعت قبائل صنه اجة كلها، وبهم سار إلى الشمال في صحراء موريتانيا وسجلماسة وأغمات بالمغرب الأقصى [١٥٨]. وقد قدّر عدد قبائلهم بنحو سبعين قبيلة يعيشون حياة البدو والرعي في تخوم الصحراء[١٥٩].

ونرى بأنّ انطلاق دعوة المرابطين من هذه المنطقة، وظهور دولتهم على سواعد لمتونة وغيرها من قب ائل صنهاجة كان له الأثر الأكبر في تكوّن تجمّع سكّاني مستقرّ بالمنطقة، وعمدته قبائل مسوفة بعد أن انتقل إخوانهم اللمتونيون مع عبد الله بن ياسين إلى المغرب الأقصى ثم إلى الأندلس . ويزيد هذا الطرح جلاء أنّ المؤسّسين لمدين تنبكتو هم التوارق وهم مسوفة الصنهاجية، وهم أغلب سكانها[١٦٠].

وهذا التجمّع السّاذج – على حدّتعبير ابن خلدون – تأسّس على مبادئ الدّين ذات المرجعية السُّنّيّة بعقيدة الأشعري والمذهب المالكي والمنهج الصّوفي، تأثرا بدعوة المرابطين؛ حيث لم تُعبد فيها الأوثان ولاسُجد فيها لغير الرّحمان على حدّتعبير صاحب "تاريخ السّودان"[١٦١].

ويذكر عبد الرحمان التنبكتي السّعدي (ت ١٠٦٦ هـ/١٦٥٦م) بأنّها نشأت على يد توارق إيمقشرن في القرن الخامس الهجريّ، فاختاروا موضع تنبكتو على ضفاف نهر النّيجر، ثمّ اجتمع إليهم من كلّ بلاد من مصر وفزّان وغدامس وتوات ودرعة وسوس وفاس[١٦٢].

---

[١٥٦]– انظر: **تاريخ ابن خلدون**، ج ٦ ص ١٧٦.

[١٥٧]– انظر: **دولة الإسلام في الأندلس**، محمد عبد الله عنّان، مكتبة الخانجي – القاهرة، ط ٤ – ١٩٩٧، ج ٢ ص ٣٠٢، والأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، أبو الحسن علي بن عبد الله ابن أبي زرع الفاسي، تح: كارل نونبرغ، مطبعة أوبسالة، ١٨٤٣، ص ٢٦.

[١٥٨]– انظر: **دولة الإسلام في الأندلس**، ج ٢ ص ٣٠٣.

[١٥٩]– انظر: **تاريخ السّودان**، عبد الرحمن بن عبد الله السعدي، تح: أوكتاف هوداس، مكتبة أمريكا والشرق، باريس، ١٩٨١، ص ٢٠.

[١٦٠]– انظر: **رحلة ابن بطوطة**، ج ٤ ص ٢٦٩.

[١٦١]– انظر: نفسه، ص ٢١.

[١٦٢]– انظر: نفسه، ص ٢١.

ويذكر بأنّ بناءها كان بسيطا في البداية، فكانوا يبنون بالأشواك والجرائد، ثمّ تحوّلوا إلى بناء أسوار قصار بحيث من وقف في خارجها يرى ما في داخلها، ثمّ بنوا المسجد الجامع بحسب ذلك، ثمّ مسجد سانكُري كذلك، وما ثبتت عمارته إلا في القرن التّاسع، وهي بداية العصر الذهبي لمدينة تُنبكتو، وما تكامل بناؤه إلا في أواسط القرن العاشر في عهد حاكمها أسكيا داود[١٦٣].

٤ -عوامل نشأة مدينة تُنْبُكْتُو:

اجتمعت مجموعة من العوامل التي أسّست لمدينة كبيرة في قلب صحراء التّكرور، أهمها عامل تجاري، وسياسي، وديني. سنحاول توضيح كلّ عامل على حِدة:

أ -العامل التّجاري:

يُعتبر العامل التّجاري أهمّ عامل في نشوء مدينة تنبكتو في القرن الخامس الهجريّ، فهذه المنطقة كانت ملتقى القوافل المتجهة من مناجم الذّهب في غانا وغيرها مرورا بغاو إلى الشّمال الغربي باتّجاه سجلماسة ودرعة ومراكش وفاس وتلمسان، وباتّجاه الشّرق نحو توات وميزاب وورقلة وتونس طرابلس والقاهرة ثم بلاد الحجاز والشّام.

وخصوصا بعد ظهور دولة المرابطين في القرن الخامس الهجريّ الذين نشطت بفضلهم التجارة في الجنوب، فهم يعرفون المنطقة جيدا؛ إذ منها خرجوا ومنها تكوّنت نواة دولتهم، فعملوا على تأمين السّبل، فتنوّعت السّلع وكثرت حركة القوافل، وخصوصا تجارة التّبر والذّهب القادم من غانة وضفاف نهر النّيجر والسّنيغال[١٦٤].

ويضاف إلى ذلك تجارة الرّقيق والعبيد، وهي تمثل إحدى أهمّ المعاملات التجارية في بلاد السّودان، ممّا يحرّك همم تجار مختلف الأصقاع نحوها، وهي تجارة رائجة جدا منذ القديم، كما يقول الشريف الإدريسي (ت٥٥٩هـ/ ١١٦٦ م): "ويُباع منهم – أي الرّقيق – في كلّ سنة أمم وأعداد لا تُحصى"[١٦٥].

فاستعملهم المرابطون في جيوشهم، وكانوا ممّن ساهموا في نصر معركة الزلاقة قرب طُلَيْطلة قرب الأندلس سنة ٤٤٦ هـ[١٦٦]، وبالتّالي تمكّنوا من إطالة عُمر العصر الإسلامي بالأندلس لقرون أخرى، ولهذا أيضا نتفهّم رواج تجارة العبيد في المغرب الأقصى خُصوصا، وأنّ ذلك من آثار ونتائج سياسة دولة المرابطين منذ عهودهم الأولى.

---

[١٦٣]– انظر: نفسه، ص ٢١– ٢٢.

[١٦٤]– انظر: **الروض المعطار**، الحميري، ص ٤٢٦.

[١٦٥]– **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الشّريف الإدريسي، عالم الكتب ، بيروت، ط ١ – ١٤٠٩هـ، ج ١ ص ١١٠.

[١٦٦]– انظر: **نفح الطّيب**، ج ٤ ،ص ٣٦٧.

وشملت السّلع الآتية من الجنوب إضافة إلى ما ذُكر الشّبّ وجلود الحيوانات المفترسة وغيرها، فعمّ الثّراء هذه المنطقة وساعد المسوفيّين وغيرهم من قبائل صنهاجة على الاستقرار وترك حياة الظعن والتّرحال بحثا عن الماء والرزق وكلإ مواشيهم.

وأمّا المواد المصدّرة نحو الجنوب فتمثّلت في الملح خصوصا، وكان يُعتبر المادّة الأولى للمقايضة والتّبادلات التّجاريّة عندهم، ويُدّخر منه الكثير باعتباره مادة استراتيجية للسّودانيّين، وفي وقت الحاجة قد يُقا يض مع الذّهب بالمثل، وكان نقد منطقة غاو هو الملح [١٦٧]. ويصدّر إليهم كذلك النّحاس والزّجاج وخشب الصّنوبر وبعض المواد الغذائية كالقمح الذي يحتاجه أهل تُنبكتو وغيرها[١٦٨].

وكانت مدينة تُنبكتو من أهمّ المدن التجارية بالغرب الإسلامي في منطقة الصحراء رفقة مدينة وُ لاتة، وهذا في القرن الرابع عشر الميلادي ممّا أدّى بها إلى الاستقرار والثّراء ونشوء مناخ ثقافي وعلمي هامّ بها فهاجر إليها الكثير من العلماء.

ب عامل سياسي:

يتمثّل العامل السّياسي في قيام دولة المرابطين انطلاقا من أحوازها، ولايخفى أنّ دولة المرابطين قامت على سواعد أشراف صنهاجة، فبعد إقامة المصلح عبد الله بن ياسين بين أظهرهم، وتأسيسه لرباط في الصّحراء، فالتفّ حوله جمع من سادات قبائل لمتونة ومسوفة وجدالة، وهذا الموضع الّذي انقطع فيه عبد الله بن ياسين وأصحابه كان فيما يُرجّح جزيرة تقع في منحنى نهر النّيجر على مقر بة من تنبكتو [١٦٩]، وهذا الرّباط الجديد الّذي لم يألفه قومٌ دأبوا على الحِلّ والتّرحال جعلهم يتجمّعون بعدما كانوا متفرّقين، ويستقرّون بعدما ألفوا كثرة التنقل، وخاصّة بعد قيام عبد الله بن ياسين بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، ومحاربة البدع والوثنيين والظلمة، وهذا بطبيعة الحال أدّى إلى تكتل النّاس استعدادا للأخطار المحدقة بهم، فإمّا أن ينضمّوا إلى صفوفه، وإمّا أن يستعدّوا لمواجهته فيضطرّون بدورهم أيضا إلى التّكتّل، فحارب جدالة في نحو ثلاثة آلاف مقاتل سنة ٤٣٤ هـ، ثم سار لقتال لمتونة حتى أذعنوا للطاعة ثم مسوفة حتى خضعت قبائل صنهاجة كلها، ثمّ صوّب المرابطون أعينهم إلى امبراطورية غانا فتوجّهوا إلى الشّرق نحو منحنى النّيجر سنة ٤٤٧ هـ/ ١٠٥٦م، وخاضوا معارك قاسية هناك خسروا فيها أحد أهمّ المؤسّسين لدعوتهم، ونشر تعاليم

---

[١٦٧]– انظر: **نزهة المشتاق**، ج ١ ص ١٧١، ورحلة ابن بطوطة، ج ٢ ،ص ٢٦٩.

[١٦٨]– انظر: **معجم البلدان**، ياقوت الحموي، ج ٢ ص ١٤، والاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الناصري، ج ٢ ،ص ٣.

[١٦٩]– انظر: **دولة الإسلام في الأندلس**، ج ٢ ،ص ٣٠٢.

الإسلام على منهج المذهب المالكي، فتضاعف عددهم وزاد رصيد بيت المال بأموال الزكاة، وهو الأمر الّذي جعلهم يواصلون حملتهم، وبدأوا يزحفون جهة الشّمال ناحية سجلماسة وأحوازها[١٧٠]، فوصلوا سوس وأغمات، ولما ضاق بهم المكان اختطّوا مدينة مراكش سنة ٤٦٢ هـ/ ١٠٦٩ م، ووقع اختيارهم عليها لأنها مناسبة لما ألفوه في الصّحراء [١٧١]، ولهذا نعتقد بأنّ مدينة تُنبكتو بُنيت في وقت بناء مدينة مرّاكش، لأنّهم ذكروا بأنّ جدالة ولمتونة بنوا مدينة مراكش، بينما بقي إخوانهم مسوفة بالتكرور وذكروا بأنهم بنوا مدينة تُنبكتُو في نفس المرحلة [١٧٢]، ولهذا فبناؤها مرتبط أساسا بقيام دولة المرابطين، والله أعلم.

ج- العامل الدّيني:

تقدّم بأنّ رباط ابن ياسين امتدّ تأثيره إلى كلّ بلاد التّكرور، وأنّ الصّنهاجيّين استبدلوا حياة الكدح والعنت والتّرحال بحياة البذخ والاستقرار، وأنه بقي فئام من الصّنهاجيّين بمواطنهم في بلاد التكرور بعما انتقل إخوانهم إلى بلاد المغرب الأقصى والأندلس، فبنى من بقي منهم من صنهاجة مسوفة ما يحتاج إليه المقيم من دور ومساجد، فشذّت عمّن جاورها من مدن السّودان التي عمرت بالديانات الوثنية، وكما يقول عبد الرّحمان السّعدي : "... ما دنّستها عبادة الأوثان، ولا سُجِد على أديمها قطّ لغير الرّحمان، مأوى العلماء والعابدين، ومألف الأولياء والزّاهدين"[١٧٣]. ولهذا نراهم اعتنوا بناء المساجد كونها دُور عبادة وتعليم وقضاء، وهدا هو الدّور الأساسي الّذي اطّلعت به مساجد تُنْبُكْتو.

-بناء المساجد:

لاشكّ بأنّ المساجد والكتاتيب كانت كثيرة بمدينة تنبكتو، وأشهرها مسجدان؛ الأ ول هو المسجد الجامع الذي يقع في وسطها بناه ملك مالي منسا موسى، وقد وصفه ليون الإفريقي عند زيارته لها، وقال : "في وسط المدينة مسجد مبنيّ بالحجر المركّب بالطّين والجير على يد مهندس أندلسي"[١٧٤]، ويبدو أنّه إلى غاية زمن الحسن الوزّان قد تعرّض إلى البناء عدّة مرّات، الأولى على يد المسوفيّين بالأخشاب وجرائد النّخل، ثمّ على يد الملك منسا موسى، ثمّ في زمن الوزّان أو

---

[١٧٠]- انظر: **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب** ، أبو عبيد البكري، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة، د.ت، ص١٦٨ وما بعدها، وقيام دولة المرابطين، حسن أحمد محمود، مكتبة النهضة المصرية، ط١ ، ١٩٥٧، ص ١٤٩ وما بعدها.

[١٧١]- انظر: **البيان المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والأندلس والمغرب**، ابن عذارى المراكشي، تح: إحسان عباس، دار الثقافة ، بيروت، ط٣،١٩٨٣، ج ٤ ،ص ١٩- ٢٠.

[١٧٢]- انظر: **تاريخ السودان**، ص ٢٠.

[١٧٣]- انظر: نفسه، ص ٢١.

[١٧٤]- **وصف إفريقيا**، الحسن الوزان، ج ٢ ،ص ١٦٥.

قبله على يد هذا المهندس الأندلسي . ثمّ بُني بعد ذلك مسجد سانكُري [١٧٥] على أطراف المدينة، وقد اجتمع فيه الغرباء في بادئ الأمر، ثمّ علا شأنه حتّى صار مركزا ثقافي ا إسلاميا حقيقيا لدراسة العلوم الإسلامية واللغوية والدّينية، ويعدّ أول جامعة بمنطقة الصحراء صار يضاهي كبار جامع العا لم الإسلامي كالأزهر والقرويّين والزّيتونة، وتخرج منه علماء تنبكتو وفقهاؤها، واشتهرت فيه عائلة محمد آقيت التي توارثت العلم كابرا عن كابر، وكا ن منهم العلامة أحمد بابا التُّنْبُكْتي (ت ١٠٣٦ هـ)، وقد نُقِل عن القاضي محمد الكابري أنّه قال : "أدركت من صالحي سنكُري من لا يقدّم عليهم في الصّلاح أحدٌ إلا أصحاب رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– ورضي عنهم أجمعين"[١٧٦] .

وقد بناه أيضا السّلطان منسا الحاج موسى صاحب مالي في وسط مقبرة، وهذا بعدما رجع من الحجّ وتملّك تنبكتو، وبعد ذلك تولّى القاضي العاقب بن محمود آقيت إعادة بنائه فوسّعه سنة ٩٨٥ هـ[١٧٧] .

٥ –**مرحلة الازدهار:**

يُعدّ عصر ملك مالي منسا موسى في القرن الثّامن الهجريّ (١٣١٢م–١٣٣٧م) بداية عصر الازدهار الفكري والحضاري في ما يُعرف بالسّودان الغربي، وفي عهده أصبح الإسلام راسخ الأركان، وساعده على ذلك شُهرة هذا السّلطان في كل العا لم الإسلامي في ذلك الوقت، وخصوصا بعد قيامه سنة ٧٢٤ هـ/ ١٣٢٤ م برحلته الشّهيرة إلى ملكّ لأداء فريضة الحجّ، وقد رافقه في هذه الرّحلة الآلاف من رعاياه، وقام بصرف أموال طائلة أدّت به إلى الإفلاس عند نزوله بمصر، فلجأ إلى الاقتراض من أحد تجّار الإسكندريّة يُدعى سراج الدّين الإسكندري، والذّي لحق به فيما بعد لاسترداد أمواله، وهذه الحادثة تدلّ على مدى الارتباط بين تجّار المشرق وتنبكتو، كما تبيّن مدى التقوى وأخلاق الملوك والرّعيّة الّتي حسُنت أحوالها في هذه المرحلة [١٧٨] . وقد شملت مملكة مالي في عهد منسا موسى بلاد التّكرور والصّحراء الكبرى، ثمّ أخذت هذه الدّولة في الانحطاط في بداية القرن الخامس عشر الميلادي، وفقدت سيطرتها على التّكرور وتنبكتو[١٧٩] .

---

[١٧٥] – يكتب أحيانا: سنكري، وأحيانا: سانكوري، وأحيانا: سانكري.

[١٧٦] – انظر: **تاريخ السّودان**، ص ٢٧.

[١٧٧] – انظر: نفسه، ص ٥٧، وص ١١٠.

[١٧٨] – انظر : نفسه، ص ٢٠.

[١٧٩] – انظر: نفسه، ص ٢١.

-مملكة سُنْغَاي[١٨٠]:

يرى المؤرخون بأنّ مملكة سُنْغَايْ أو امبراطوريّة سُنْغاي من أقوى الممالك الإسلامية التي قامت بالسّودان الغربي، وامتدّ نفوذها إلى جنوب الصّحراء ووصلت إلى كانو بنيجيريا زيادة إلى كلّ إقليم التّكرور، وتحوّلت في عهد ملكها سُنّي [١٨١] علي في القرن التّاسع الهجر ي (١٤٦٤ م – ١٤٩٢ م) إلى امبراطورية عظيمة [١٨٢]. وازدادت قوّتها وأهميتها بعد مجيئ الأسكيا الحاج محمد الذي انقلب على ابن الحاكم السّابق سُنّي علي، وقد بذل جهدا كبيرا في نشر الإسلام في المدن الوثنية جنوب الصّحراء، كما أمِنت في عهد السّبل، وعمرت المساجد، وعلا شأن العلماء وصارت لهم مكانة مرموقة في بلاط الحكم وفي تنظيم شؤون العامّة، وهذا الأمر هو الّذي أدّى إلى رغبة الناس في العلم وتنافسهم في التّحصيل، وفي عهده بلغت مدينة تُنْبُكْتو الغاية في العلم والحضارة، وفي عصر ابنه أسكيا داود بن الحاج محمد وصلت هذه المدينة إلى ذروتها في البناء والتّشييد [١٨٣]. وقد ظلّت مدينة تُنْبُكْتُو طيلة القرنين الخامس عشر والسّادس عشر مركزاً عظيماً لتلقّي العلوم الإسلامية في السّودان الغربي وعموم إفريقيا.

ولهذا تعدّدت الهجرات الكثيرة إليها طلبا للثّراء باعتبارها من أهمّ أسواق الذهب والعبيد، والتي تُدرّ أرباحا طائلة، تجعل التجار يتجشّمون الصّعاب والمشاق للوصول إليها، أو رغبة في العلم والتعلّم والدعوة إلى دين الإسلام، أو هجرة أهلها إلى غيرها من البلدان طمعا في علم أو فرارا من مكروه.

ويبدو أنّها في بداية شأنها ذاع صيتها وهيب جانبها فراسلها السّلاطين والأمراء، وقد وجدنا بأنّ السّلطان محمد الوطاسي المعروف بالبرتغالي (ت ٩٣١ هـ) أرسل إلى الأسكيا الحاج محمد سلطان سُنْغَاي (ت ٩٣٤ هـ/ ١٥٢٨ م) وفدا هاما بهدايا، كان فيهم الحسن بن محمد الوزان الشّهير بليون الإفريقي؛ وكان غلاما ذا ستّ عشرة سنة [١٨٤].

أ -هجرة علمائها إلى غيرها من البلدان:

اختلفت دواعي هجرة علماء تُنبكتو وطلبتها إلى عواصم العالم الإسلامي، فقد تكون لطلب العلم وزيارة العلماء وغالبا للحج، وقد تكون أيضا طلبا للأمن أو فرارا من مكروه أو يؤخذون لإكراها لغيرها من المدن؛ كما حدث مع

---

[١٨٠] – تُكتب: سنغي، وسونغاي، وسنغاي، وبالصاد فيهم أيضا.

[١٨١] – تكتب هذه الكلمة: سن، وصن، وصوني وسوني أيضا.

[١٨٢] – انظر: **تاريخ السّودان**، ص ٢١.

[١٨٣] – انظر: نفسه، ص ٢٢.

[١٨٤] – انظر: وصف إفريقيا، الحسن الوزّان، ج ١ ص ١٧١– ١٧٢.

أحمد بابا التُّنْبُكْتي (ت ١٠٣٦ هـ) مع خيار علماء أهله حين أُخذوا مصفّدين إلى مرّاكش في عهد السّلطان المنصور أحمد السّعدي (ت ١٠١٢ هـ) – وسيأتي مزيد حديث عن ذلك-.

-الهجرة إلى الحجّ والمشرق:

رحل إلى المشرق علما كثيرون من أهل تُنْبُكتو، فأفادوا واستفادوا، وتتبّع جميع هؤلاء ممّا لاتسم ح به هذه الدّراسة، ولكن لا بأس بالتّمثيل:

-فقد رحل الحاج أحمد بن عمر بن محمد آقيت التُّنْبُكْتي (ت ٩٤٣ هـ) جدّ أحمد بابا صاحب "نيل الابتهاج" إلى المشرق للحجّ، فلقي الجلال السُّيوطي (ت ٩١١ هـ) وخالد بن عبد الله الأزهري (ت ٩٠٥ هـ) وغيرهما، فاستفاد منهم ورجع إلى بلده للإفادة والتّدريس[١٨٥].

-ومنهم والد أحمد بابا الذي التقى باللقاني والأجهوري وعبد الرّحمان بن أحمد المغربي الطرابلسي الشّهير بالتاجوري (ت ٩٦٠ هـ)، وابن حجر المكي والفاكهاني و زين بن أحمد بن يونس الجيزي (ت ٩٩٧ هـ) وغيرهم، واستفاد منهم وأجازوه، ثمّ رجع إل بلده واستفاد منه أهل تُنبكتو، ومنهم ابنه أحمد بابا[١٨٦].

-ومنهم الفقيه أحمد بَغْيُع بن محمود التّنبكتي (ت ٩٧٨ هـ) وأخوه محمد بَغْيُع، رحلا إلى الحجّ، ولقيا النّاصر اللقاني والتّاجوري وغيرهما فاستفادا منهم، ولما رجعا إلى تنبكتو جلسا للتّدريس، واستفاد منهم طلبة ت نبكتو، ومنهم أحمد بابا.

-ومنهم المتصوّف أبو بكر بن أحمد بن عمر بن محمد آقيت التُّنْبُكْتِي عمّ أحمد بابا نزيل المدينة المنوّرة مع كافّة عياله، وسكنها إلى أن تُوُفّي بها سنة ٩٩١ هـ، وهو شيخ لأحمد بابا في العربية وغيرها[١٨٧].

-وممّن رحل إلى المشرق زمن أبي القاسم النّويري في أواسط المائة التّاسعة الفقيه عبد العزيز التّكروري، وكان عالما بمختصر خليل استفاد منه أهل مصر، وقد نقل عنه الحطاب في شرح مختصر خليل[١٨٨].

-ومنهم الفقيه محمد بن أحمد بن أبي محمد التّازختي (ت ٩٣٦ هـ) الشّهير بأَيْدَ أحمد، أخذ عن الحاج أحمد بن عمر البُتّكتي ببلده، ثمّ انتقل إلى تكدة بالتكرور فلقي بها محمد بن عبد الكريم المغيلي وحضر دروسه، ثمّ شرّق صحبة الفقيه محمود بن عمر، فلقي القلقشندي والسّنباطي وجماعة، فأخذ عنهم علم الحديث وسمع وروى، ولقي اللقانيين

---

[١٨٥]- انظر: **فتح الشكور**، ص ٢٧.

[١٨٦]- انظر: **نيل الابتهاج**، ص ١٨٢.

[١٨٧]- انظر: نفسه، ص ١٥١، وتاريخ السّودان، ص ٣٢.

[١٨٨]- انظر: نفسه، ص ٢٧٥.

الشمس والنّاصر أخاه، وأجازه من أهل مكّة أبو البركات النّويري وغيره، واجتهد حتى صار من محصّلي العلماء، ثمّ قفل إلى السّودان فنزل بلدة كشن، وأكرمه صاحبها وولاه قضاءها[١٨٩].

-ومنهم قاضي تنبكتو الفقيه أبو المحاسن محمود بن عمر بن محمد آقيت المسوفي الصّنهاجي، عالم التّكرور، ولي القضاء عام ٩٠٤ هـ، وكان أكثر إقرائه من المدوّنة والرّسالة والمختصر في الفقه المالكي؛ وله تقاييد عليه؛ وعنه انتشر إقراء مختصر خليل في ولاتة، وألفية ابن مالك في النّحو، حجّ عام ٩١٥ هـ فلقي السّادات كالقلقشندي واللقانيّين وغيرهم، ثمّ رجع إلى تنبكتو ولزم الإفادة إلى أن تُوُفِّي سنة ٩٥٥ هـ[١٩٠].

-والفقيه العاقب بن عبد الله الأنصمني المسوفي (ت ٩٩١ هـ)، أخذ عن المغيلي عند دخوله لبلاد السّودان، ورحل إلى المشرق فأخذ عن الجلال السّيوطي، له أجوبة على الأسكيا الحاج محمد سمّاها : "أجوبة الفقير عن أسئلة الأمير"، وأجوبة أخرى للقاضي محمد بن محمود سمّاها : "الجواب المجدود عن أسئلة القاضي محمد بن محمود"، وهو من شيوخ أحمد بابا[١٩١].

-**تنويه:** يُعدّ ناصر الدّين محمد بن حسن اللقاني من أهمّ شيوخ علماء تُنبكتو، وقد دارت عليه الفتوى بمصر، وأُستفتي في النّوازل من جميع الأقطار. وقد أخذ عنه الكثير من علماء تنبكتو، منهم أحمد بن أحمد التنبكتي والد أحمد بابا، والقاضي العاقب الأنصمني الّذي أجازه جميع ما يجوز له، والفقيه المجدّد محمد بَغْيُع أهمّ شيوخ لأحمد بابا، وأخوه أحمد بغيع وغيرهم كثير[١٩٢].

-الرّحلة إلى ولاتة من إقليم التّكرور:

فرّ الكثير من علماء تُنْبُكْتُو من مسجدها سانكُري إلى ولاتة بسبب الاضطرابات الّتي شهدتها في عهد ملك مالي سُنّي علي؛ بعد حملته على مدينة تُنْبُكْتو لإخضاعه لسلطته:

-من أبرزهم محمد آقيت المسوفي جدّ الفقهاء والقضاة بتنبكتو، رحل في القرن الثّامن من تنبكتو إلى ولاتة منافرة لبعض أهلها وولاتها، ومخافة أن يتناسل بعض أبنائه معهم، ثمّ رجع إليها بعدما أسنّ، فارتحل مع عياله وسكنها[١٩٣].

---

[١٨٩]- انظر: نفسه، ص ٥٨٧، وتاريخ السّودان، ص ٣٩- ٤٠.

[١٩٠]- انظر: نفسه، ص ٦٠٧، ٦٠٨، وتاريخ السّودان، ص ٣٨- ٣٩.

[١٩١]- انظر: **تاريخ السّودان**، ص ٤١.

[١٩٢]- انظر: **نيل الابتهاج**، ص ٥٩١.

[١٩٣]- انظر: **تاريخ السّودان**، ص ٣٦.

–منهم المختار بن أندغ محمد التُّنْبُكْتِي الشّهير بالنّحوي (ت ٩٢٢ هـ)، وابن أخته الحاج أحمد، والفقيه محمود بن عمر بن محمد آقيت.

–ثمّ تلتها رحلات أخرى منها رحلة محمد بن محمد التُّنْبُكْتي ثمّ الولاتي (ت ١٠٥٠ هـ) الّذي كان بولاتة ثمّ هاجر إلى تنبكتو، وفي فتنة سُنّي علي رجع إلى ولاتة وبها تُوُفّي، ودخل إليها القاضي عمر بن محمّد آقيت الصّنهاجي التّنبكتي، ثمّ رجع ابنه الفقيه محمود بن عمر إلى تُنْبُكْتُو سنة ٨٨٥ هـ[١٩٤].

–وممّن هاجر إلى وُلاتة ببلاد التّكرور الفـقيه المؤرّخ أبو العبّاس عبد الله بن أحمد بن سعيد الزّمّوري (ت بعد ٨٨٨ هـ)، فأقرأ أهلها ولقي فقهاءها وأثنى عليهم في العلم ثمّ رجع إلى بلده[١٩٥].

–الرّحلة إلى المغرب:

هاجر الكثير من علماء تُنْبُكْتُو إلى مدن المغرب لطلب العلم، كفاس ومُراكش وغيرها، منهم الفقيه مخل وف بن علي بن صالح البلبالي التّكروري (ت بعد ٩٤٠ هـ)، أخذ بتنبكتو عن عبد الله بن عمر آقيت الرّسالة وغيرها، ثمّ سافر إلى الشّمال فأخذ عن محمد بن أحمد ابن غازي (ت ٩١٩ هـ) وغيره بفاس، ودخل بلاد السّودان وأقرأ أهلها وجرى له هناك نوازل وأبحاث مع الفقيه العاقب الأ نصمني، ثمّ عاد إلى تُنْبُكْتُو بعدما طوّف البلاد وجلس للتّدريس، ثمّ تحرّكت همّته فعاد إلى مُرّاكش وأقرأ بها إلى أن سُمّ هناك فمرض ورجع إلى تُنبكتو فمات بها بعد ٩٤٠ هـ[١٩٦].

–وأجاز أبو العبّاس أحمد بن محمد المقري التّلمساني (ت ١٠٤٠ هـ) بعض علماء التّكرور، منهم عثمان بن عمر التّكروري (ت ١١٢٨ هـ)، وله إجازات كتب الحديث ومختصر خليل وغيرها[١٩٧].

ب –الرّحلة إليها من باقي الأقطار:

وفد إلى تُنبكتو الكثير من علماء الأقطار، فجاءوها رغبة في نشر العلم، أو لما سمعوا من ثرائها ومكانة العلماء عند أهلها، أو دعوة من سلاطينها للاستفـادة منهم، أو للأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر؛ كما حدث مع الشيخ محمد بم عبد الكريم المغيلي (ت ٩٥٤ هـ).

---

[١٩٤] – انظر: **فتح الشّكور**، ص ١٧٧.

[١٩٥] – انظر: **نيل الابتهاج**، ص ٢٣٤– ٢٧٥.

[١٩٦] – انظر: **نيل الابتهاج**، ص ٦٠٨، وفتح الشّكور، ص ١٤٦.

[١٩٧] – انظر: نفسه، ص ١٩١– ١٩٥.

-الرّحلة من الحجاز إلى تُنبكتو:

وفد على تُنْبُكْتُو عبد الرحمان التّميمي الحجازي (ق ١٠ هـ) مع السّلطان سُنّي موسى حين رجع من الحجّ، فسكن تُنبكتو وأدركها حافلة بالفقهاء السّودانيّين، ولما أتاها وجدهم أكثر منهم علما وفقها، فرحل إلى فاس وتفقّه بها ثمّ رجع إلى تنبكتو فجلس للتدريس، وكان الفقيه الصّالح يحي التّادلسي إذا جاءه الطّلبة أرسلهم إليه، وله بها عقب منهم حفيده القاضي حبيب[١٩٨].

-الرّحلة من توات إليها:

رحل إليها الكثير من طلبة العلم بتوات إلى تنبكتو، فصار لهم بها صيت، وصاروا من أهمّ مكونات المجتمع التنبكتي، فمنهم العلماء والصّلحاء والأئمّة.

-فرحل إليها عل سبيل المثال أحمد بن عمر الحماني التواتي (ت ١١٣٨ هـ)، له مكتبة عامرة خصوصا بكتب التصوّف، من المتصوّفة الّذين استوطنوا تنبكتو[١٩٩].

-ومنهم أيضا أبو القاسم التواتي (ت ٩٢٢ هـ وقيل سنة ٩٣٥ هـ)، والّذي صار إمام المسجد الجامع وسط تُنبكتو، وكان مشهورا بإطعام الطّعام، وأكثر طعامه للمدّاحين، لشدّة محلته للنّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–، ولما دُفِن حُكِي بأنّه أول من دُفِن في المقبرة الجديدة، وقيل إنّ معه في تلك المقبرة خمسين رجلا من أهل توات[٢٠٠].

-ومن أهل سوف شرقي توات رحل إليها أحمد بن آك السّوفي اللغوي الفقيه النّحوي، أخذ عن علامة تُنْبُكْتُو محمد بَغْيُع التّنبكتي[٢٠١].

-الرّحلة من جنج إليها:

ورحل إليها من فضلاء جنج بإقليم التّكرو ر الفقيه صدّيق بن محمد تغل الجنجي ثمّ التنبكتي (ت ٩٧٣ هـ)، رحل إليها بعدما درس عنده أحد الطّلبة في جنج، ثمّ انتقل إلى تُنْبُكْتُو للاستزادة، ولما رجع فاق شيخه صديق الجنجي في بعض المسائل، فقال الشّيخ : ضيّعنا عمرنا باطلا، وارتحل إلى تنبكتو وصادفها في أزهى أيّ امها، فأخذ عن علمائها منهم الفقيه القاضي محمود بن عمر وغيره حتّى صار إماما بالجامع الكبير وسط تُنبكتو .

---

[١٩٨]– انظر: نفسه، ص ١٧٦، وتاريخ السّودان، ص ٥١.

[١٩٩]– انظر: نفسه، ص ٤٢– ٤٣.

[٢٠٠]– انظر: نفسه، ص ٧٠.

[٢٠١]– انظر: نفسه، ص ٥٠.

وعندما ذهب غلى الحجّ اجتمع بالفقها منهم محمد البكري الصّدّيقي، فجعل يسأله عن فقهاء تنبكتو [٢٠٢]، وهذا يدلّ على شهرة علماء تنبكتو في المشرق خلال تلك الفترة.

–الرّحلة من الأندلس إليها:

لقد كانت علاقة الأندلس ببلاد السّودان وثيقة منذ حكم الأُمويّين، وهذا قبل بناء مدينة تنبكتو، وقد انتقل إليها عدد من علماء الأندلس وأدبائها؛ منهم أبو إسحاق السّاحلي (ت ٧٤٧ هـ)؛ وهو من بيت علم وثروة وصلاح، ذهب إلى الحجّ وفي طريق رجوع هـ دخل بلاد السّودان فاستوطنها، وأصبح له جاه عظيم عند سلطانها، فبنى المساجد الكثيرة بها[٢٠٣].

رحل إليها الكثير من أعيان الأندلس بداية من القرن الثّامن الهجريّ، فقد قَدِم إلى التكرور اللغوي النحوي أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الأنصاريّ الأندلسي (ت ٧٢٤ هـ) في القرن الثامن الهجري، فأقرأ أهلها القرآن، ثمّ انتقل منها إلى القاهرة فأخذ عن جمال الدّين الإسنوي[٢٠٤]، وهو والد سراج الدّين ابن الملقن (ت ٨٠٤ هـ)[٢٠٥].

–الرّحلة من فاس إليها:

وممّن رحل إلى السّودان من أهل فاس العلامة أبو محمد سُقَّيْن؛ وهو عبد الرّحمان بن علي بن أحمد القصري الفاسي (ت ٩٥٦ هـ)، أخذ العلم ببلده ثمّ شرّق فأخذ الحديث عن أصحاب ابن حجر كالقلقشندي وغيره، وفي رجوعه دخل إلى بلاد السّودان ووصل كانو، وعظّموه وأعطوه مالاً جزيلا، وبقي هناك مدّة ثمّ رجع إلى فاس سنة ٩٢٤ هـ، وتولّى إمامة جامع الأندلس ثمّ عُزل، وبعدها أكبّ على رواية الحديث وإقرائه إلى أن تُوُفّي سنة ٩٥٦ هـ[٢٠٦].

–رحلة محمد بن عبد الكريم المغيلي إلى تُنْبُكْتُو:

لما انتقل المغيلي من تلمسان إلى توات واستوطنها صادف سيطرة اليهود على توات ومعظم طرق الصّحراء، فصاروا يتحكّمون في التّجارة، فتعاظمت ثروتهم واشتدّت شوكتهم فأعلنوا بدعهم، وبنوا البِيَع وأعلنوا شعائرهم، فقام عليهم المغيلي وحاربهم وهدّم بيعهم، ونازعه في ذلك الفقيه العصنوني قاضي توات، وراسلوا في ذلك علماء فاس وتلمسان وتونس، فكتب الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسي رسالة يُصوّب فيها رأي المغيلي، ووافقه عليها الإمام

---

[٢٠٢]– انظر: نفسه، ص ١٥٤– ١٥٥.

[٢٠٣]– انظر: **انبعاث الإسلام في الأندلس**، علي بن محمد عنّان، ص ٤٠٤.

[٢٠٤]– انظر: نفسه، ص ١٩٦، ١٩٧.

[٢٠٥]– انظر: **إنباء الغمر بأبناء العمر**، ابن حجر، ج ٢ ،ص ٢١٦.

[٢٠٦]– انظر: **نيل الابتهاج**، ص ٢٦٤– ٢٦٥.

محمد بن يوسف السّنوسي (ت ٨٩٥ هـ)، وحين وصل جواب التّنسي ومعه كلام السنوسي لتوات أمر المغيلي أتباعه فلبسوا لأمة الحرب، وقصدوا بِيَعَ اليهود فهدّموها، وأمر بقتل من يعترض طريقهم، ونظم المغيلي قصائد في المديح النّبوي وذمّ اليهود ومن ناصرهم.

ثمّ دخل بلاد السّودان واجتمع بأهلها وانتفعوا به، وشجّعهم على القيام بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر واتّباع أحكام الشّرع، ووصل كانو، ثمّ رجع إلى غاو واجتمع بصاحبها الأسكيا الحاج محمد، وتولّى فيها منصب مستشار في بلاط ملكها الّذي عيّنه ممثلا له، وألّف له تأليفاً أجابه فيه عن مسائل تتعلّق بالسّياسة الشّرعية وتنظيم الشّؤون العامّة[٢٠٧].

وبعدها اجتمع بالفقيه القاضي أبي المحاسن محمود بن عمر التنبكتي بتُنبكتو، وحينها بلغه مقتل ابنه على يد يهود توات، فانزعج وأمسك أهل توات الموجودين هناك، فأنكر عليه القاضي محمود بن عمر؛ إذ لم يفعلوا شيئا، فرجع عن ذلك وأمر بإطلاقهم، ثمّ رجع إلى توات فأدركته المنيّة بها، فتُوُفّي هناك سنة ٩٥٤ هـ، وممّن استفاد منه من أهل توات أَيْدَ أحمد والعاقب الأنصمني ومحمد بن عبد الجبار الفيجي و محمد بن أحمد التّازختي غيرهم[٢٠٨].

٦ -مرحلة الانكسار أو نكبات تُنْبُكْتُو:

كانت مدينة تُنبكتو تمثل مركزا تجاريا وثقافيا هامّا في منطقة السّاحل بداية القرن الثّامن الهجري إلى القرن الحادي عشر الهجري، وبلغت أوج ازدهارها في القرنين التاسع والعاشر الهجريّين، ولهذا كانت مستهدفة من الغزاة، بيد أنّ أكبر الهجمات الّتي تعرّضت لها في هذه المرحلة حملة سُنّي علي سلطان مالي في بداية القرن التّاسع الهجري، وحملة أحمد المنصور الذّهبي سلطان السّعديّين بالمغرب الأقصى في نهاية القرن العاشر وبداية القرن الحادي عشر.

أ -النّكبة الأولى (حملة سُنّي علي):

وهي حملة سُنّي علي سلطان مالي على تُنْبُكْتو لضمّها لمملكته ومحاربة المناوئين له، ويسمّيه عبد الرحمان السّعدي التّنبكتي (ت) بالظّالم الأكبر والفاجر الأشهر، ويسمّيه بالخارجي[٢٠٩]، ويسمّيه صاحب "فتح الشّكور" بالظالم الفاجر[٢١٠]، كان متسلّطا جبّارا سفّاكاً للدّماء، تسلّط على العلماء بالقتل والإهانة والإذلال، واشتهر في الآفاق بذلك، وقد استشهد السّعدي على شهرته بما نقله الحافظ محمد بن عبد الرّحمان العلقمي المصري (ت ٩٦٩ هـ)

---

[٢٠٧]- انظر: **تاريخ السّودان**، ص ٢٢.

[٢٠٨]- انظر: **نيل الابتهاج**، ص ٥٧٧- ٥٧٨.

[٢٠٩]- انظر: **تاريخ السّودان**، ص ٦٥.

[٢١٠]- انظر: **فتح الشكور**، ص ١٧٧.

تلميذ السّيوطي من شرحه على "الجامع الصّغير" للسيوطي قوله: "سمعنا أنّ رجلا ظهر بالتّكرور يقال له سنّي علي أهلك العباد والبلاد ودخل في السّلطنة سنة ٨٦٩ هـ، وتُوُفّي في ٩٢٥ هـ"[٢١١]. ومكث في الحكم نحوا من ثمان وعشرين سنة فاشتغل والغزوات وفتح البلدان ووسّع مملكة مالي، وحارب صنهاجة في إقليم التكرور كله، وفي الرّابع من شهر رجب سنة ٨٧٣ هـ دخل مدينة تُنْبُكْتُو وأحدث فيها فسادا كبيرا، فـحرّق دورها وخرّبها وقتل منها خلقاً كثيرا، ولما علِم أميرها بقدومه أحضر ألف جمل ورحّل فقهاء جامع سنكُري،ومشى بهم إلى وُلاتة، وقال إنّ شأنهم أهمّ عنده[٢١٢]. وهذا يدلّ على ثلاثة أشياء:

-أنّ فقهاء سنكُري كانوا مستهدفين من هذه الحملة، وخصوصا أنهم معروفون بصلابتهم وش دّة إنكارهم على سلاطين زمانهم.

-أنّ عدد هؤلاء الفقهاء كان كثيرا، وأنّهم كانوا يملكون ثروة كبيرة، احتاجوا إلى ألف جمل ليفرّوا مع ممتلكاتهم وكتبهم، كما يدلّ أيضا على الحركة العلمية المعتبرة آنذاك.

-مكانة العلماء عند أمراء تنبكتو كانت عظيمة؛ فهم الثّروة الحقيقي ة الّتي كانت تملكها تنبكتو؛ فالحفاظ على حياتهم أهمّ من الحفاظ على مدينة تنبكتو ذاتها.

وكان منهم الفقيه عمر بن محمد آقيت المسوفي الصّنهاجي وأولاده الثلاثة؛ أحمد وهو أكبرهم سنّا، وعبد الله، ومحمود وهو أصغرهم (خمس سنوات)، ومشى معهم خالهم الفقيه النّحوي الم ختار بن أندغ محمد، وأدركوا الإمام الزّمّوري بولاتة فاستفادوا منه وأجازه كتاب "الشّفا". ولما كان لهم اشتغال بالعلم كانوا يمنعون أبناءهم من اللعب وركوب الخيل والجمال، فأعوزهم ذلك عند الفرار وندموا على حرمانهم من اللعب، وبعدما رجعوا إلى تنبكتو خلوا بينهم وبين اللّعب.

واشتغل سنّي علي بقتل من بقي من الفقهاء بتنبكتو أو لم يسعفه الفرار، وعمد إلى إهانتهم وزعم أنهم أحباب التّوارق وخاصّتهم فأبغضهم لذلك، وكان من بين قتلاه الفقيه محمود بن أندغ محمد وأخوه أحمد، واتّخذ بناتهم جوار ثمذ قتلهنّ جميعا، وسجن والدة الفقيه محمود السيدة سِتَّ بنت أندغ محمد، أحد أهمّ وجهاء تنبكتو[٢١٣].

---

[٢١١]- انظر: **تاريخ السّودان**، ص ٦٥.

[٢١٢]- انظر: نفسه، ص ٦٦.

[٢١٣]- انظر: نفسه، ص ٦٦.

وبعد رحيل الفقهاء قلّد سُنّي علي القضاء للقاضي حبيب بن عبد الرّحمان التّميمي، فأحسن إليه وأكرمه، ولم يزل يُهين فقهاء سنكُري وينكّل بهم إلى سنة ٨٧٥ هـ خرج من بقي منهم إلى ولاتة أيضا، فلحق بهم عامل كُي[٢١٤] المختار محمد بن نض، ومات في ذلك خيارهم، وتتبّع من لم تسقفه النجاة قتلا وتشريدا، وتفرّقوا بين قُرى السّودان، وتعرّض التّوارق والفلانيون لبطش سلطان مالي؛ إذ هم أكبر المستهدفين من هذه الحملة على بلاد التكرور كلها[٢١٥].

وبعد استقرار الأوشاع بتنبكتو لسلطان مالي رجع بعض الفقهاء من ولاتة، ففي شهر شعبان سنة ٨٨٥ هـ خرج الفقيه محمود من ولاتة ورجع إلى تنبكتو، ورجع أيضا خاله المختار النحوي، وأمّ والده عمر بن محمد آقيت فقد توفّي في ولاتة وكذلك ابنه عبد الله[٢١٦].

وبقي شرّه مستطيرا بين قُرى السّودان، فلم يهدأ له بال حتّى دوّخ إقليم التّكرور، وأحدث فيه النّهب والتّخريب والفساد، إلى أن تُوُفّي سنة ٨٩٨ هـ بعدما حارب الزّغرانيّين والفلانيين وغيرهم من أمم التكرور، فخلفه ابنه أبو بكر ووقع الخلاف بينه وبين محمد بن أبي بكر الطوري أحد قيادات سُنّي علي، وبعد معارك كثيرة بي نهما تغلّب الطّوري على سني أبو بكر وتملّك ما تركه سنّي علي، وتلقّب بالأسكيا محمد، وفرّج الله به عن المسلمين الكروب، وأزال به عنهم البلاء والخطوب، واجتهد بإقامة ملّة الإسلام، وإصلاح أمور الأنام، وصاحب العلماء، واستفتاهم فيما يلزم من أمور الحلّ والعقد[٢١٧].

وفي صفر سنة ٩٠٢ هـ مشى الأسكيا الحاج محمد إلى الحجّ، فحجّ البيت مع جماعة من أعين كلّ قبيلة، فتصدّق بمال كثير في الحرمين، واشترى حديقة بالمدينة المنوّرة وحبّسها على أهل التكرور، ولقي الكثير من العلماء والفقهاء منهم الجلال السيوطي، واستفتاهم وتبرّك بهم، وقفل راجعا إلى غاو، فأعلن الجهاد على الوثنيّين في السّودان ودوّخ البلاد، وفي عهده أمنت السّبل واسترجعت تُنبكتو دورها العلمي والحضاري[٢١٨].

وخلفه أبناؤه في الحكم وصارت بينهم صراعات ومطاحنات، لم تنته إلا بحملة أحمد المنصور السّعدي على بلاد التكرور.

---

[٢١٤]– معناه الوالي أو النائب.

[٢١٥]– انظر: نفسه، ص ٦٧.

[٢١٦]– انظر: **فتح الشّكور**، ص ١٧٧، وتاريخ السّودان، ص ٦٩.

[٢١٧]– انظر: **تاريخ السّودان**، ص ٧٠ وما بعدها.

[٢١٨]– انظر: نفسه، ص ٧٢، ٧٣.

ب –النّكبة الثّانية (حملة المنصور السّعدي):

بلاد السّودان كانت مرتبطة في أذهان أهل العصر الوسيط بتجارة الذّهب والرّقيق، وكانت المعلومات وأخبار السّودان تنتقل عن طريق التّجّار [٢١٩]، وكانت أخبارها تُغْري السّلاطين طمعا في خيراتها وثرواتها، وخاصّة بعد رحلة الأسكيا الحاج محمد إلى الحجّ سنة ٩٠٢ هـ، والّذي وزّع ذهبا كثيرا في رحلته تلك، ولما آنس السّلطان المنصور السّعدي في نفسه القوّة واستتبّ له أمر المغرب الأقصى، وخصوصا بعد انتصار دولتهم على البرتغاليين والمناوئين في معركة الملوك الثّلاثة سنة ٩٨٦ هـ، لا زالت نفسه تحدّثه بالغزو وتوسيع مملكته، فامتدّت عينه إلى جهة الجنوب، لأنّها طريدة سهلة بالإضافة إلى ما ذُكر عن ثرواتها وكثرة العبيد والجواري بها، فلا زال المنصور يتحيّن الفرص، إلى أن كانت سنة ٩٩٩ هـ فجهّز جيشا من المرتزقة وجعل عليهم القائد الأندلسي جودار باشا.

والسّبب المباشر لهذه الحملة هو أنّ السلطان السّعدي أرسل إلى الأسكيا إسحاق ليسلّمه خراج الذّهب بمنطقة تغاز، فلم يوافق الأسكيا على ذلك بل قبّح له الكلام في الجواب، فلمّا وصله الجواب عزم على غزو السّودان بعدما كان متردّدا، وفي فاتح سنة ٩٩٩ هـ أرسل إليهم جيشا كبيرا مسلّحا بأسلحة نارية، ومعهم الأطباء والصّنّاع والكثير من المرتزقة الأندلسيّين والبرتغاليّين والأتراك، ولما دخلوا تنبكتو وجدوها أكثر عمارة وأمنا وعافية ورخاء [٢٢٠]. وأثناء هذا الغزو اضطربت الأوضاع وشاعت الفوضى، وصار النّاس يأكل بعضهم بعضا في جميع الأمكنة طولا وعرضا ، بالإغارة والحرابة عل الأموال والنّفوس والرّقاب، فعمّ ذلك الفساد وانتشر، وبالغ واشتهر [٢٢١].

وقد توجّه الباشا جودار إلى غاو لمحاربة جيش الأسكيا إسحاق سلطان السُّنْغَاي على ضفاف نهر النّيجر، وكانت معركة تونديبي يوم الأربعاء السّادس عشر من شهر جمادى الأولى سنة ٩٩٩ هـ، والموافق للثاني عشر من شهر مارس سنة ١٥٩١ م شمال مدينة غاو، وقد كان جيش السّعديّين مكوّنا من حالي ثلاثة آلاف مقاتل يحملون أسلحة نارية والبارود، بينما كان جيش الأسكيا كبيرا لكنّه يقاتل بأسلحة بدائية من الحِراب والسّهام والسّيوف، فكان النّصر حليف السّعديّين ودخلوا مدينة غاو، وفرّ الأسكيا جنوبا إلى الغابات، وكان يناوشهم من هناك.

ولما بلغ السلّطان السّعدي خبر النّصر فرح فرحا عظيما، فأخرج الصّدقات وأعتق الرّقاب وأقام مهرجاناً عظيما، ونظم الشّعراء قصائدهم ورفعوا أمداحهم، وأجازهم بما تحدّث النّاس عنه زمانا طويلا، وأرسل الغُزاة إلى المنصور بهديّة

---

[٢١٩] – انظر: **وصف إفريقيا**، الحسن الوزان، ج ١ ص ٣٣– ٣٤.

[٢٢٠] – انظر: **تاريخ السّودان**، ص ١٤٢.

[٢٢١] – انظر: نفسه، ص ١٤٣.

فيها عشرة آلاف مثقال ذهبا ومائتان من خيار الرّقيق وغير ذلك، ثمّ أردفوا له بهدايا أخرى فيها أحمال من الذّخائر، فيها أربعون حملا من التّبر، وأربعة سروج ذهبا خالصا، وألف ومائتان من متخيّر الرّقيق وغيرها، ولما وصلته هذه الهدايا سُرّ سرورا عظيما، ولأجل ذلك لُقّب بالذّهبي، لأنّهم لم يشهدوا الذّهب الّذي شهدوه أيّام ولايته [٢٢٢].

ولم يكن أهل تنبكتو ينظرون إلى الغزاة بعين الرّضا والقبول، فثاروا عليهم عدّة مرّات، وكان بسبب ذلك خراب تنبكتو، ففي سنة ١٠٠٠ هـ جرى قتال بين أهل تنبكتو والقائد مصطفى التركي عامل السّعديين، فأدّى إلى هلاك النّاس واحتراق الدّور، وتكرّر ذلك في عدّة مناسبات كما حدث سنة ١٠٠٥هـ، ولم يستتبّ الأمر للسّعديّين في التكرور لكثرة الثّورات عليهم من التوارق وقبائل صنهاجة والسّودانيّين، ثمّ توالى ولاة السّع ديين على بلاد السّودان وأكرهوا النّاس على بيعتهم ، فهدّدوهم وفتّشوا دورهم، وحشدوا النّاس في جامع سنكري للمبايعة، ووزّعوهم بحسب قبائلهم في جامع سنكري لذلك في أيّام معلومات، فحلف التواتيون والفزانيون والوجليون في اليوم الأوّل الموافق للثّاني والعشرين من شهر محرّم سنة ١٠٠٢ هـ، ثمّ حلف الولاتيون والوادانيون ومن والاهم في اليوم الثّاني الموافق للثّالث والعشرين، وأمّا الفريق الثّالث فهم العلماء والفقهاء، فأحضروهم في اليوم الثّالث وأسروهم جميعا؛ فريق أُسر في تنبكتو وكان بينهم فيما يظهر العلامة محمد بَغْيع، وفريق آخ ر أُخرج من البلد وأُخذ إلى مرّاكش بطلب من السّلطان السّعدي، وقد قُتل منهم الكثير كالفقيه أحمد مُعْيا، ومحمد الأمين بن محمد بن محمود، ومحمد المختار بن مُعْيا وغيرهم [٢٢٣].

ثمّ دخل الباشا محمود ديارهم ورفع جميع ما فيها من الأموال والمتاع والأثاث، ونهب أتباعه ما اتّصل بهم، وكشفوا عوراتهم وجرّدوا حرائرهم وفعلوا بهنّ الفواحش، ثمّ جمعوا كبار فقهاء تُنْبُكْتو وأخذوهم مصفّدين بالأغلال إلى مُرّاكش، منهم أحمد بابا والفقيه والقاضي أبو حفص عمر بن محمود، دخلوها أوّل شهر رمضان، وعندما رأى القاضي عمر بن محمود مدينة مُرّاكش دعا عليهم، وقال : " اللّهمّ كما شوّشونا وأخرجونا من بلادنا فشوّشْهم وأخرجْهم من بلادهم" [٢٢٤].

---

[٢٢٢]– انظر: **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج ٥ ص ١٢١ وما بعدها.

[٢٢٣]– انظر: **تاريخ السّودان**، ص ١٦٩.

[٢٢٤]– انظر: نفسه، ص ١٧٣.

-محنة آل أقيت:

نستطيع اعتبار أسرة آل آقيت المسوفية الصنهاجية نواة الحياة الاجتماعية والسّياسيّة والدّينية لمدينة تُنْبُكْتو، فأجدادهم مسوفة هم من بنوا هذه المدينة، وقد توارثوا العلم أزيد من قرنين، وكانوا أهل اليسار والسّؤدد لا يبالون بالسّلطان فمن دونه، بل لا يقطع أمرا دون مشورتهم لإهم أهل القضاء والإمامة والفتيا ببلاد السّودان، ولما دخلها الباشا محمود أبقاهم على حالهم إلى أن كانت سنة ١٠٠٢ هـ، سئمت العامّة من الغربا ء وحاربوهم، فكتب المنصور إلى عامله محمود بالقبض على الفقهاء وأهل الرّأي فيهم، وقضى بتغريبهم إلى مُرّاكش، فألقى القبض على جماعة كبيرة منهم كان فيهم أحمد بابا[٢٢٥]، وحُمِلوا مصفّدين إلى مُرّاكش ومعهم حريمهم، وانتهبت ذخائرهم وكتبهم، وكان أحمد بابا أقلّ عشيرته كتبا نُهِب منه ألفٌ وستّمائة مجلّد[٢٢٦].

وأودعهم المنصور السّجن ولم يطلق سراحهم إلا في الحادي والعشرين من رمضان سنة ١٠٠٤ هـ بشرط بقائهم في مُرّاكش، وجرت بين أحمد بابا والمنصور الذّهبي معاتبة ومناظرة، قال النّاصري : "... ولما دخل الفقيه أبو العبّاس على المنصور بعد تسريحه من السّجن وجده يكلّم النّاس من وراء حجاب على طريقة خلفاء بني العبّاس ومن تشبّه بهم، فقال الشّيخ: إنّ الله تعالى يقول : "وما كان لبشر أن يكلّمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب "، وأنت قد تشبّهت بربّ الأرباب، فإن كانت لك حاجة في الكلام فانزل إلينا وارفع عنّا الحجاب، فنزل المنصور ورُفعت الأستار. فقال له الشّيخ: أيّ حاجة لك في نهب متاعي وتضييع كتبي وتصفيدي من تنبكتو إلى هنا، حتّى سقطت عن ظهر الجمل واندقّت ساقي؟ فقال له المنصور : أردنا أن تجتمع الكلمة، وأنتم في بلادكم من أعيانها، فإن أذعنتم أذعن غيركم . فقال الشّيخ أبو العبّاس: فهلا جمعت الكلمة بتُرْك تلمسان فإنّهم أقرب إليك منّا؟ فقال المنصور : قال النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم–: "اتركوا التّرك ما تركوكم"، فامتثلنا الحديث. فقال أبو العبّاس: ذاك زمانٌ وبعُد، قال ابن عبّاس : "لا تتركوا التُّرْك وإن تركوكم " فسكت المنصور وانفضّ المجلس "[٢٢٧]. ولما سُرّح أبو العباس تصدّر لنشر العلم وهرع إليه النّاس للأخذ عنه، وقد كان أبو العبّاس يتشوّق إلى بلده ويسكب العبرات عند ذكرها، ولما مات المنصور سنة ١٠١٢ هـ وخلفه ابنه زيدان سمح لأهل تُنبكتو بالرّجوع إلى وطنهم، ولما خرج أحمد بابا م ن مراكش قاصدا بلده شيّعه عيون طلبتها، فأخذ بعضهم بيده عند الوداع، وقرأ قوله تعالى: "إنّ الّذي فرض عليك القرآن لرادّك إلى معاد" على ما جرت

---

[٢٢٥]– انظر: **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج ٥ ص ١٢٩.

[٢٢٦]– انظر: **الفكر السّامي**، ج ٢ ص ٣٢٦.

[٢٢٧]– الاستقصا، ج ٥ ص ١٣٠.

به العادة من قراءتها عند وداع المسافر فيرجع سالما، فانتزع الشّيخ يده بسرعة، وقال : لا ردّني الله إلى هذا المعاد، ولا رجعني إلى هذه البلاد، ثمّ لحق بتنبكتو فاستقرّ بها إلى أن تُوُفّي سنة ١٠٣٦ هـ[٢٢٨].

نتائج البحث:

-ساهمت عدّة عوامل في تأسيس مدينة تُنْبُكْتُو، أبرزها العامل التّجاري حيث كانت معبرا للقوافل التّجاريّة، وموضعا هامّا للظّعن والرّعي بالنّسبة لقبائل صنهاجة، كما كان ل لظّروف السّياسية في القرن الخامس الهجري دور في نشوء تجمّع ديني بهذه المنطقة، ونقصد بالتّحديد دعوة المرابطين الّتي تبلورت وانطلقت من بلاد التّكرور اعتمادا على سواعد قبائل صنهاجة.

-شكّلت قبيلة مسوفة الصّنهاجية النّواة الأولى لهذا التّجمّع السكاني، وهم توارق إ مقشرن، فيما كان لأبناء عمومتهم من لمتونة وجدالة عصبُ تكوين دولة المرابطين في مُرّاكش، ولهذا يُرجّح أنّ بناء مدينة تُنبكتو كان بالموازاة مع بناء مدينة مرّاكش، وكان لهذا اللّفيف أيضاً صدى بعيد المدى من بلاد السّودان الغربي إلى طليطلة بالأندلس، شكّلت عصبيّة واحدة، كان من نتائجها بقاء المسلمين الأندلس لأربعة قرون أخرى بعد أن وصل الوهن إلى دويلاتها، وكان ذلك بالطّبع إثر معركة الزّلاقة سنة ٤٧٩ هـ/ ١٠٨٦ م.

-شكّل التنوّع الإيثني بتُنبكتو حركيّة هامّة لتكوين مناخ فكري وثقافي هامّ ظهر مع حلول القرن الثّامن الهجريّ، واكتملت أجزاؤه في القرنين التّاسع والعاشر الهجري، تمثّل في توارق صنهاجة وقبائل السّودان، وعرب الأزواد وبعض البيوتات من النّسب الشّريف والعترة الطّاهرة، بالإضافة إلى المهاجرين من مصر والحجاز والأندلس من الفقهاء والعلماء والتّجّار.

-بدأ الدّور العلمي والثقافي والدّيني لتنبكتو يبرز مع حلول القرن الثّامن الهجري، خصوصا مع بداية قدوم العلماء والأدباء إليها، كأبي الحسن الأندلسي النّحوي (ت ٧٢٤ هـ)، والأديب أبي إسحاق السّاحلي (ت ٧٤٧ هـ)، وأيضا رحلة طلبتها إلى الحجّ والمشرق والمغرب.

-وصلت مدينة تُنْبكْتو إلى دورها الرّ يادي في القرنين التّاسع والعاشر الهجريّين، وقد مثّلت مركزا علميا وتجاريا رائدا في منطقة التكرور، وهذا الدّور نافسها فيه مدينة ولاتة لكنها لم تبلغ مبلغها، كما مثّلت مدينة تنبكتو نقطة انطلاق ومركز إشعاع لنشر الإسلام في أعماق إفريقيا، ممّا جعلها تقع تحت أطماع الغزاة.

[٢٢٨]- انظر: نفسه، ج ٥ ص ١٢٩، ١٣٠.

-إنّ غالب مرجعيتهم العلميّة والدّينيّة كانت رواق المغاربة بمصر، وأنّ اللّقانيّين والسّيوطي والتّحوري والقلقشندي كانوا أهمّ أسانيد علماء تنبكتو ومنطقة السّاحل الإفريقي، ثمّ صار لهم في القرن العاشر شبه استقلالية فكرية إن صحّ التعبير، وقد اهتموا بالتّأليف ونسخ المخطوطات وشرائها التي ضاع الكثير منها بسبب الغزو السّعدي ثم الفرنسي.

-كان مسجدها سنكُري يمثّل جامعة حقيقيّة للدّراسات العليا آنذاك، تخرّج منها كبار الفقهاء والعلماء، مثل العلامة محمد بَغْيُع (ت ١٠٠٤ هـ) الّذي لقبه تلميذه أحمد بابا بمجدّد العصر، بقوله: [الرّجز]

وعاشر القرون فيه قد أتى محمّدٌ إمامنا وهو الفتى[٢٢٩].

-تعرّضت تنبكتو لنكبات عديدة؛ إذ كانت مستهدفة بسبب ثرائها وبسبب علمائها، كانت أهمّها نكبتان اثنتان؛ فتنة سلطان مالي سُنّي علي في نهاية القرن التّاسع الهجري الّذي تسلّط على علماء سنكُري تقتيلا وتشريدا، وحملة السّعديّين عليها سنة ٩٩٩ هـ.

-تعتبر حملة السّعديّين على تنبكتو محطة بارزة في تاريخها، والتي قضت على الحركة العلمية بها، وفتحت المجال واسعا للفوضى وعودة الوثنية إلى عموم السّودان، وهذه الحملة لم تضعف تنبكتو فحسب، بل أضعفت المغرب كلّه مما فتح المجال واسعا للأطماع الأوروبية بالمنطقة، وخصوصا إسبانيا وفرنسا.

-قائمة المراجع:

- **أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في حركة عثمان بن فودي الإصلاحية في غرب إفريقيا**، مصطفى مسعد، عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٢ – ١٤١١ هـ.

- **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، أبو العباس شهاب الدّين أحمد بن محمد المقري التلمساني، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد العظيم شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٩.

- **الاستقصا لأخباردول المغرب ا لأقصى**، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري الدرعي السّلاوي (ت ١٣١٥هـ)، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، د.ت.

- **إنباء الغمر بأبناء العمر** ، أبو الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، تح: حسن حبشي، لجنة إحياء التّراث الإسلامي، مصر، ١٩٦٩.

- **انبعاث الإسلام في الأندلس**، علي بن محمد الكتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥ .

- **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، أبو الحسن علي بن عبد الله ابن أبي زرع الفاسي، تح: كارل نونبرغ، مطبعة أوبسالة، ١٨٤٣.

[٢٢٩]- انظر: **أزهار الرّياض**، المقري، ج ٣ ص ٥٧.

- **البيان المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والأندلس والمغرب** ، ابن عذارى المراكشي، تح : إحسان عباس، دار الثقافة ، بيروت، ط٣، ١٩٨٣.
- **تاج العروس من جواهر القاموس**، أبو الفيض محمد بن محمد الحسيني المعروف بمرتضى الزَّبيدي، دار الهداية- بيروت، د.ت.
- **تاريخ السّودان**، عبد الرحمن بن عبد الله السعدي، تح: أوكتاف هوداس، مكتبة أمريكا والشرق، باريس، ١٩٨١.
- **تحفة النّظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة)**، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الطّنجي اللّواتي الشّهير بابن بطوطة (ت ٧٧٩ هـ)، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٤١٧ هـ.
- **حملة تيمير الطّوارق**، مجلة البيان، السنة الخامسة، ربيع الآخر ١٤١١هـ، العدد ٣٣.
- **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر** ، محمد أمين بن فضل الله بن محبّ الدّين المحبّي (ت ١١١١ هـ)، دار صادر، بيروت، د.ت.
- **دولة الإسلام في الأندلس**، محمد عبد الله عنّان، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط ٤ ، ١٩٩٧.
- **ديوان المبتدإ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشّأن الأكبر**، أبو زيد عبد الرّحمن بن محمد ابن خلدون، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٨٨.
- **الرّوض المعطار في خبر الأقطار**، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحميري (ت ٩٠٠ هـ)، تح: إحسان عبّاس، مؤسّسة ناصر للثّقافة، بيروت، ط٢- ١٩٨٠.
- **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور**، محمد بن أبي بكر الصديق الولاتي، تح: محمد إبراهيم الكتّاني ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨١.
- **الفكر السّامي في تاريخ الفقه الإسلامي**، محمد بن الحسن الحجوي، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط ١ ، ١٤١٦ هـ.
- **قصّة الحضارة**، وليام جيمس، ترجمة زكي نجيب محمود وآخرون، دار الجيل ،بيروت، ١٩٨٨.
- **قيام دولة المرابطين**، حسن أحمد محمود، مكتبة النهضة المصرية، ط١ ، ١٩٥٧.
- **معجم البلدان**، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرّومي الحموي (ت ٦٢٦ هـ)، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥.
- **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، أبو عبيد البكري، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة، د.ت.
- **الموسوعة القرآنية**، إبراهيم الأبياري، مؤسّسة سجل العرب، ط١، ١٤٠٥ هـ.
- **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الشّريف الإدريسي، عالم الكتب ، بيروت، ط ١ ، ١٤٠٩هـ.
- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدّين ابن الخطيب** ، أبو عبد الله أحمد بن محمد المقري التلمساني، تح : إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨.
- **نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج**، أحمد بابا التّنبكتي، منشورات كلية الدّعوة الإسلامية، طرابلس، ط١٩٨٩،١.
- **وصف إفريقيا**، الحسن بن محمد الوزان الشّهير بليون الإفريقي، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٣.

مظاهر الحضارة النيوليتية بمنطقة الطاسيلي ناجر

أ. بعيطيش عبد الحميد/ قسم التاريخ وعلم الآثار،جامعة باتنة ، الجزائر

ملخص:

تحتوي الصحراء الجزائرية على الكثير من الملامح الأثرية التي تؤكد العلاقة العميقة بين الإنسان والوسط الطبيعي الذي كان سائدا في الفترة النيوليتية، ولعل من بين هذه الملامح، تلك النقوش والرسومات الصخرية المنتشرة في أرجاء الصحراء خاصة بمنطقة الطاسيلي ، والتي يرجع تاريخها إلى آلاف السنين، فجميع الدراسات التي تناولت موضوع النقوش والرسومات الصخرية تُجمع على أن منطقة الطاسيلي مثلا كانت منذ القدم ملتقى الحضارات الإنسانية، بدليل وجود معالم أثري ة تدل على استمرارية حضارية بالمنطقة، ويعود تاريخ الاستيطان البشري بها إلى عصور ما قبل التاريخ، كما شهدت أوج ازدهار لها في مرحلة العصر الحجري الحديث أو "النيوليتي" (Néolithique)[1] حوالي ٨٠٠٠ ق.م، وهذا ما جعلها مركزا رئيسيا لحضارة كبيرة شملت الصحراء الوسطى وامتد إشعاعها إلى باقي أجزاء إفريقيا خلال فترة ما قبل التاريخ.

وهنا يذهب بنا التساؤل عن تصور الحياة اليومية لهذا الإنسان من خلال مشاهد الرسوم الصخرية التي خلفها لنا باعتبار أن الفن هو المعيار الرئيسي لتطور المجتمعات كونه نتاج تفتق الذهن البشري، ومقارنة هذه المشاهد بذهنية الشعوب البدائية في عصرنا للحصول على نتائج في هذا الشأن، وهذا ما سنجيب عنه من خلال هذه الدراسة.

مشكلة الدراسة :

كشفت الحفريات الأثرية في الصحراء الجزائرية على آثار مادية وكتابات صخرية يرجع تاريخها إلى فترة العصر الحجري القديم، مما أوحى إلى الباحثين بأن ذلك دليلا إما على كثافة نسبية في عدد السكان، أو أن أولئك الناس قد أقاموا لفترة طويلة من الزمن في ذلك المكان، ومن بين هذه الأماكن الصحراوية الهامة التي استوطن فيها الإنسان

[1] **النيوليتي** (néolithique) أو العصر الحجري الحديث مشتقة من الكلمة الإغريقية (nios) وتعني الجديد و (lithos) وتعني الحجارة ثم أصبحت بمعنى العصر الحجري الحديث.

البدائي منطقة الطاسيلي التي تقع في الجنوب الشرقي من الجزائر، والتي عرفت حضارة كبيرة شملت الصحراء الوسطى وامتد إشعاعها إلى أجزاء من إفريقيا.

فنحن إذا تحدثنا عن الوسط الطبيعي في الجزائر، فإنما نتحدث عن أكبر جزء منها وهي الصحراء، فمن الناحية الجيولوجية، لا نعلم عن الصحراء إلا القليل ، وذلك راجع إلى عدة أسباب منها:

أولاً: أن علوم الأرض نشأت في أوروبا، وهي القارة الوحيدة التي ليست فيها صحراء، لذلك لم يهتم العلماء الأوائل بتضاريس الأراضي الجافة، ومعظم من جاء بعدهم أخذ عنهم.

ثانياً: أن الصحراء واسعة ويصعب الترحال فيها، ولا يقصد دراستها إلا قلة من العلماء.

ثالثاً: يغطي سطح ا لصحراء خليط من فتات الصخور والرمال، ويصعب على الجيولوجي تحديد أصل الرواسب وتاريخ تطورها، وإن كنا نجهل الأحداث التي أثرت على حياة جماعات ما قبل التاريخ، فإن مساحة الموقع، ومكان تأسيسه، وطبيعة مختلف أجزائه المكونة، يمكن أن تعطينا مؤشّرات حول تركيبة الجماعة ا لتي سكنته وبنيتها الاجتماعية وعلاقتها بالطبيعة.

ولهذا فإن طبيعة قيام نمو حضاري في الصحراء الجزائرية وبالخصوص في منطقة الطاسيلي فيما قبل التاريخ مسألة يصعب أن نتتبعها بدرجة ملحوظة ، ذلك أن عملية تأريخ البقايا الأثرية الصحراوية المبكرة تثير إشكاليات متباينة، فالدورات المناخية الكبرى التي نتجت عنها العصور الجليدية الأوربية والفترات التي بين العصور الجليدية لم تُحدِث في شمال إفريقيا أكثر من مجرد تقلّبات في كميات سقوط الأمطار، كما أن التّغيّرات التي طرأت على الحياة الحيوانية كانت من التدرج بحيث لا تفيد الحفريات إلا فائدة قليلة في معرفة تاريخ ما يُعثر عليه.

ولما كانت دراسة التاريخ الحضاري من أعقد فروع الدراسات القديمة والحديثة، والمراجع لازالت قليلة وتفتقر في معظمها إلى التّعميق والتحليل، كما أن الآثار التي أُمكن العثور عليها كانت غالبيتها في حالة بالية بعد أن دمّ رتها وشوهتها عاديات الطبيعة.

الموقع الجغرافي والفلكي لمنطقة الطاسيلي نآجر([2]):

تقع **منطقة الطاسيلي ناجر** في الجنوب الشرقي من الجزائر، يحدها من الشمال العرق الشرقي الكبير(منطقة اساون نيغرغارن وبوراغت)، ومن الجنوب منطقة عيسو وإين الزوا المتاخمة للحدود ال نيجيرية، ومن الغرب عرق أمقيد، ومن الشرق إن أزاق ومنطقة فزان الليبية.[3]

أما فلكيا فقد اختلفت الأبحاث في تحديد حدودها الحقيقية بسبب الاختلاف في إدراج بعض المناطق ضمن منطقة الطاسيلي، فبينما نجد الباحث إبراهيم العيد بشي يحددها بين دائرتي عرض 21° و 28° شمالا، وبين خطي طول 5° و 20° شرق خط غرينيتش[4]، نجد الباحث جون دوبياف (J.Dubief) يحددها بين٢٣° و٣٠° شمالا بالنسبة لدوائر العرض، وبين ٥° و١٤° شرقا بالنسبة لخطوط الطول[5].

وتعتبر منطقة الطاسيلي هي نفسها إقليم الحظيرة الوطنية للطاسيلي التي أنشأت بموجب القرار الوزاري رقم 168 الصادر بتاريخ 26 جويلية 1972م الذي جاء في المادة الثالثة منه:

" تشمل – حظيرة الطاسيلي الوطنية – أراضي الهضبة التي تدعى – طاسيلي آزجر– وحدودها الجغرافية هي:

- من الشرق: الشريط الحدودي مع الجماهيرية العربية الليبية.
- من الجنوب الشرقي: الحدود مع جمهورية النيجر حتى وادي تافساست غربا.
- من الجنوب الغربي: إلى الشمال الغربي: يسلك حدها جبال ايدمبو حتى ▪تلتقي بالجرف في علوتين – نوار، ويمتد هذا الجرف إلى أمقيد.

---

(٢) تعني كلمة **الطاسيلي** السلسلة الجبلية التي يغطيها السواد، أما آجر فقد اختلفت الآراء حول معناها، فبينما يعرفا الباحث إبراهيم العيد بشي بجلد "الثور المسلوخ" أو "رأس الأقرع " نجد لها معنى آخر في الدراسات الأجنبية عند كل من لورد (Leredde) وهنري لوت (Lhote) وأقرنوها بالنهر أو البحيرة والمعنى الثاني هو المنتشر أكثر في، الدراسات أنظر كذلك :

Leredde (C), Etudes Ecologique et Phylogéographies du Tassili et Nil, Alger 1957, TII, p47; **Dubief (J)** L'Ajjer Sahara central, édition Karthala, France, 1999**; Lhote (H)**, A la découverte des fresques de Tassili, Paris, 1958.

(٣) محمد العيد بشي، **تاسيلي ناجر، البنية الجغرافية والحضارية**، دار الخبر، ج١، ٢٠٠٩ ، ص٨٢.

(٤) نفسه، ص ٨٢.

(٥)**Dubief** (J) , op cit, p 25.

– من الشمال : يكون حد الجبل هو منطقة التماس بين الهضبة والمكثبات يجسده طريق ▪إليزى– أمقيد ا لمعبد غربا، وطريق اليزى تارات غير المعبد شرقا.

- تشكل مكثبات ادمير وتيهوداين مناطق متاخمة وتدمج في الحظيرة "،[6] وهي تشكل بذلك مساحة مقدرة بثمانية مليون هكتار (أي ثمانين ألف كلم مربع)، وقد أدرجت في قائمة التراث العالمي عام 1982م.

جيومورفولوجية الطاسيلي:

وتميز منطقة الطاسيلي تضاريسيا بكتلها الصخرية من الحجر الرمادي، ترسّبت على قاعدة بلورية تسمى السهل ما تحت الطاسيلي (Pleine infratassilienne) ، ويعرف في دراسات أخرى باسم النجد الأرضي المتبلور (les Payes cristallien) ، هذه الجبال التي تتقاطع بها أودية كبيرة تشكل البطون الجافة لمجاري مائية قديمة، وهو تكوين جيولوجي يأخذ شكل نتوء يمتد من الشمال إلى الجنوب، ويتواجد في سهل غرب هضبة المسالك الليبية ويمكن رؤيته من خلال الأقمار الصناعية، ويبدو أن هذه المرتفعات تمثل حدود طبيعية وإثنية وثقافية بين سكان الطاسيلي وإقليم فزان الليبي.[٧]

ويذكر بعض الباحثين إلى أن منطقة الطاسيلي قديمة التكوين وأنها تعود إلى حقبة ما قبل الكامبري (قبل الزمن الجيولوجي الأول)، وهي مؤرخة بحوالي ٦٠ مليون سنة وتشمل مساحة واسعة من الجنوب الجزائري بما في ذلك منطقة الهوقار، وهو في منطقة الطاسيلي ممثل في سهول أمادرور (Amadror) وآدمير (Admer) ، كما أن هناك من الباحثين من يدرجها ضمن حقبة الباليوزويك (Paléozoïque) الذي يعود إلى الزمن الجيولوجي الأول بين ٥٥ مليون سنة و٣٧ مليون سنة. والمنطقة في العموم ثلاثة أقسام.[٨]

١- الطاسيلي الداخلي(Tassili interne): يعود تكوينه إلى حقبة الكامبري الأردوفيني (Cambro-Ordivicien) ، وهو واقع بين النجد المتبلور للهوقار والمنطقة السفلية لسهول الطاسيلي[٩].

٢- الطاسيلي الخارجي (Tassili externe) : يعود تاريخه ما بين حقبة السيلوري (Silurien) والدوفيني الأسفل (Dovonien inférieur) ، وهو يمتد بين الأخدود الداخلي للطاسيلي والمنطقة التي يقع فيها وادي إيغرغارن (Ighargharen).[١٠]

---

[٦] قرار ١٦٨ من الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية المؤرخ في ٢٦ جويلية ١٩٧٢.

[٧] **Dubief** (J), op cit, p 25.

[٨] Ibid, pp335-338.

[٩] Ibid. p331.

[١٠] Ibid. p332

٣- الأخدود أسفل الطاسيلي (Sillon intra Tassilienne):يعود تاريخه إلى حقبة السيلوري حوالي ٤٢ مليون سنة، وهو عبارة عن منخفض يقع في قاعدة الطاسيلي الداخلي وقاعدة الطاسيلي الخارجي وتصب فيه معظم أودية الطاسيلي الداخلي[١١].

منطقة الطاسيلي خلال العصر النيوليتي:

عرفت منطقة شمال إفريقيا تغيرات مناخية في عصور ما قبل التاريخ، وتميز العصر النيوليتي منها بالمناخ الرطب بعد مرحلة طويلة من الجفاف استمرت ربما إلى حدود ٨ آلاف سنة، وهي تختلف حسب المناطق، وهذه المعطيات والمعلومات حصل عليها العلماء من خلال دراستهم للترسبات النهرية والبحرية في العديد من مناطق شمال إفريقيا، وينظر الباحثون في عصور ما قبل التاريخ إلى هذه الفترة على أنها نقطة هامة وحاسمة في تاريخ الإنسان، وأنها بمثابة ثورة فنية وفكرية في حياته، بحيث بدأ إنسان هذا العصر يستقر في جماعات قريبا من موارد المياه، ثم سرعان ما فرضت عليه الضرورة إلى ضمان غذائه، فاستأنس الحيوان، وعرف الزراعة، واخترع الفخار، وأخيرا بدأ التطور الفكري والديني للإنسان[١٢].

وتعود فترة العصر الحجري الحديث في الصحراء الجزائرية من حدود الألفية الثامنة قبل الميلاد إلى غاية الألفية الخامسة قبل الميلاد، وقد أصبح المناخ مثاليا في هذه الفترة، باستثناء مرحلة صغيرة تعرضت فيها المنطقة مرة أخرى إلى الجفاف (ما بين ٥٥٠٠ و ٤٥٠٠ ق.م)، ثم تلتها مراحل مناخية متذبذبة، وعموما فإن هناك اختلاف بين الباحثين حول المراحل الرطبة والجافة في الصحراء الكبرى بصفة عامة، ولابد على الباحثين من مواصلة الدراسة والبحث في هذا المجال، لأننا لا نعلم إن كنا في قمة تدهور المناخ، أو أن ذلك قد مرّ أو لم يأت بعد، وأننا لا ندري بعد الكيفية التي بها طرأ التصحر.[١٣]

حيوانات الطاسيلي:

لقد اعتمد اقتصاد إنسان الطاسيلي في العصر الحجري الحديث بصفة عامة على الزراعة وتربية الحيوانات، فمعظم البقايا الحيوانية تنتمي إلى أنواع مستأنسة، ولا يُعرف حتى اليوم ما هي المراحل الأولى التي سبقت استئناس هذه

---

[١١] Ibid. p332.

[١٢] **Burroughs (W.J)**,op cit, p278; **Aumassip (G)**, **"la recherché Préhistorique en Algérie, but et méthodes"**, Revue de Préhistoire et d'Archéologie culturelle, N:01,CRAPE, Alger,1983, pp 29,30.

[١٣] **المنهجية وعصر ما قبل التاريخ في إفريقيا من كتاب تاريخ إفريقيا العام**، إعداد اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام اليونسكو ١٩٨٠م، ص٥٩١.

الحيوانات، وعلى أي حال هناك عدد من النظريات التي تنادي بأن الخطوة الأولى لاستئناس الحيوان أخذت مباشرة من ممارسة الصيد، هذه النظرية تعتمد على أن النساء أحدثن تقدما ملحوظا في الزراعة، الأمر الذي ترتب عليه وجود فائض من الطعام سمح بإطعام الحيوانات الجائعة، وبازدي اد اقتراب الحيوانات وملائمة حياتها للواحات الموجودة في الصحاري أعطت للرجال فرصة معرفة عاداتها، الأمر الذي جعلهم يحاولون ترويضها بدلا من قتلها ومن ثم بدؤوا يربونها.

وفي مجال دراستنا هذه لابد أن نبحث باختصار النواحي البيولوجية لاستئناس الحيوان، فالحيوانات التي كوّنت القطعان الأولى في مواطن الزراعة وتلك الحيوانات البرية التي دخلت إلى منطقة الطاسيلي كانت في العادة أصغر بكثير من الحيوانات المفترسة المنتشرة بجانب المنطقة، والتفسير المقبول الذي وضعه الباحثون، هو أنه مهما اختار الإنسان أقزام الحيوانات من بين المجموعات المتوحشة، إلا انه استطاع أن يستمر في تهجين حيوانات أصغر وأضعف وأكثر وداعة، ومعظم التغيرات الجسمانية التي طرأت على هذه الحيوانات عند استئناسها كانت راجعة لاختيار الإنسان سلالات معينة.

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة أن هناك ما يشير إلى أن الصحراء الج زائرية إنما كانت في العصر الحجري الحديث مسكونة بقوم من الرعاة، لهم قطعان من الخراف والماعز والثيران والبقر، فضلا عن الحصان والجمل والحمار، هذا وقد دلت الرسوم الصخرية مدى انتشار الحيوانات في هذه المنطقة.

ففي الفن الصخري جُسّدت أنواع من البقر وهي ذات قرون مختلفة، فأبقار لها قرون متوازية، وأخرى ذات قرون على الأمام، وعن هذه الأخيرة يشير هيرودوت إلى أن الجرامنت (Gramantes)[١٤] لهم أبقار ذات قرون متّجهة إلى الأسفل، بحيث تغرس في الأرض كلما حاولت السير إلى الأمام، لذلك فهي ترجع إلى الوراء في رعيها.

ومن بين الحيوانات الممثلة في المشاهد الصخرية نذكر الفيل، وهذا ما نجده في منطقة تيسالاتين (Tissalatine) بوادي جرات[١٥]، وفي نفس المنطقة عثر على رسومات لوحيد القرن بلغ عددها ٨٦ رسما أما بقاياه الأثرية فهي قليلة[١٦].

---

[١٤] كانوا متمركزين في المنطقة الممتدة بين جل نفوسة وجهات الفزان الحالية إلى الطاسيلي ويبدو أنهم أحفاد الشعب المحارب الذي استعمل العربات في تنقلاته وحروبه، أنظر:

Herodote, Histoire, IV, 183, texte trad. par: E. Legrand, ed- les belles lettres, Paris 1948

[١٥]**Sèbe (A), Tikatoutine 6000 ans L'art rupestre Saharien**, collection Tagoulmoust imprimé en Italie par: Antegraphica Silva, 1991, p 182.

[١٦]**Le Quellec (J.L),Symbolisme et art rupestre du Sahara**, ed- Harmattan, France,1998 p130.

أما فرس النهر فقد جُسّد في رسومات بمنطقة تين تزاريفت، وعثر على بقايا له في عرق أدمير (Admer) وعين قزام (In Guzzam) وإن زوا (In Azoua) وواد جرات.[١٧]

ومن الطيور لدينا مشاهد عديد للنعامة في العديد من مناطق الطاسيلي، ومن المشاهد الغريبة التي جُسّدت بها نجد صورة جسم نعامة ولكن برأس زرافة وكذلك صورة نعامة بأربعة أرجل، وصورة أخرى لنعامة بقرون كبيرة، ونفس التجسيد رسمت به حيوانات أخرى نذكر منها، الأبقار الثنائية الرؤوس وزرافات برأسين في تين تزاريفت وزرافات بثلاثة رؤوس في تيمنزوزتن (Timanzouzten) ولها قدمين فقط.[١٨]

إضافة إلى هذه الحيوانات المذكورة فقد جسدت حيوانات أخرى منها: الغزال، الأسد، الفهد، الحمار الوحشي، والقردة التي جسدت في كهوف تين تزاريفت (Tin Tzarift) والتماسيح المجسدة في كهوف إن إتينان (In Itinan) وواد جرات، وبقاياه التي عثر عليها في منطقة وان راشلة (Wan Rachla) جنوب الطاسيلي[١٩]، أما الأسماك فهي مجسدة في مشهد السباحين في تين تزاريفت ومنطقة صفار (Safar).

علاقة إنسان الطاسيلي ببيئته:

تركت الشعوب التي تعاقبت على منطقة الطاسيلي الكثير من الآثار منها مادة غزيرة من الفخار، غير أن الرسوم الملونة و النقوش الصخرية الكثيرة والمجسدة على جدران الكهوف هي التي صنعت الشهرة العالمية للطاسيلي ابتداء من عام ١٩٣٣ تاريخ اكتشافها من طرف الملازم الأول الفرنسي "برينانس" ، وهناك أكثر من ١٥٠٠٠ رسم و صورة تم إحصاؤها إلى يومنا هذا .

تمتد هذه الرسوم عبر الزمن حسب عدة فترات أو عهود تعكس كل واحدة منها حياة حيوانية معينة تتميز بن مط مختلف وهذه الفترات هي:

١- **الفترة الطبيعية (Naturiste):** وهي الأقدم وتعود إلى فترة العصر الحجري القديم:

٢- **الفترة المسماة بالقديمة أو العتيقة:** الحيوانات المرسومة في هذه الفترة كثيرة جدا وتتناسب مع مناخ رطب .

٣- **فترة رعاة البقر:** تمتد هذه الفترة من ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد إلى ١٥٠٠ سنة قبل الميلاد، وهي الأهم من حيث عدد الرسوم المحفوظة التي تتميز برسوم للأشخاص وقطعان الأبقار، ومشاهد من الحياة اليومية.

---

[١٧] **Le Quellec (J.L)**, 1993 p133.

[١٨] **Lhote (H),"les peintures parietal d'epoque Bovidienne du Tassili eléments sur la magie et la religion"** , J.S.A, 1966, vol 36, N1, p 17.

[١٩] **Le Quellec (J.L),** 1998 p144.

٤- **فترة الخيول**: تغطي الفترة نهاية العصر الحجري الحديث وهي تصادف اندثار العديد من الأنواع الحيوانية بسبب الجفاف كما تتميز بظهور الحصان(رسوم لخيول متوحشة وخيول مستأنسة موصولة بعربات).

٥- **فترة الجمال**: بدأت في القرون الأولى من العهد الميلادي تتصادف مع ظهور الجمل.

تملك الحيوانات والنباتات هنا خصائص تميزها عن غيرها وهي تعود إلى فترات ما قبل التاريخ عندما كانت منطقة الطاسيلي أكثر رطوبة بكثير مما هي عليه الآن ، ففي هذا الوسط عاش أناس وأنواع مرتبطة بالماء مثل الكركدن وأنواع مندثرة من المنطقة منذ بضعة آلاف من السنين مثل الجاموس، الفيل، وحيد القرن و الزرافة، كما تشهد وتدل على ذلك النقوش والرسومات.

كما أن هناك العديد من الرسوم الصخرية التي تدل على ممارسة الزراعة في منطقة الطاسيلي، ففي منطقة صفار (Safar) جسّدت الرسوم مجموعة من الأشخاص يحملون نوعا من القصب الطويل بشكل مذراة، وربما هم يقومون بذر الحبوب لأن أسفل هذا الرسم يوجد أشخاص كذلك جالسون يقومون بدرس الحبوب على أرجلهم[٢٠]، ومشهد ثاني يمثل رجلان منهمكان في خدمة الأرض،[٢١] علاوة على هذا هناك مشهد آخر في منطقة جبارين يمثل نساء يضعن أقنعة برؤوس الطير ويحملن سنابل، وهو مشهد ربما يوحي إلى تقديس الإنسان لربّات الزراعة[٢٢]، كما أننا نجد في منطقة أونرحات (Oinarhat) مشهدا آخر يبين أشخاصا يعملون في الزراعة، ومشهد آخر كذلك في نفس المنطقة يجسد أربعة أشخاص، ثلاثة منهم يعملون في الأرض والرابع يوضّح لهم طريقة العمل[٢٣].

ونجد في الفن الصخري الممثل في الرسومات العديد من المشاهد التي تعبر عن البيئة الطاسيلية نذكر منها :

–رسومات تمثل راقصين في منطقة جبارين ويضم المشهد ما يقارب من ٢٠ شخصا يضعون أقنعة وهم ينظرون إلى السماء، مما يدل على طقوس استدرار المطر واستعطاف الآلهة من اجل خصوبة الطبيعة واخضرار الأرض[٢٤].

---

[٢٠] **Lhote (H),**1958, p80.

[٢١] **Ibid,** p134 .

[٢٢] **Ibid**, p 80.

[٢٣] **Dieterlen (G)**, Hampaté (A)**,** Bâ, " **Les Fresques d'epoque Bovidienne du Tassili et les tradition des Paul**" ,J.S.A, vol, 36 n.1, p 149 .

[٢٤] تعد **منطقة جبارين** من أغنى مناطق الطاسيلي بالرسومات الصخرية، ذلك أنها تحوي أكثر من ٥٠٠٠ موضوع رسم في منطقة لا تزيد مساحتها عن ٦٠٠ متر مربع، أنظر:

Lhote (H), 1958, p82, 134

-مشهد في تين تتزاريفت (Tin Tazarift) ويجسّد ستة أشخاص يرقصون ويحملون أدوات يجهل حقيقتها، وفي أسفل المشهد تظهر صور حيوانات غير مكتملة[٢٥].

-مشهد في جبارين (Djebarine) يمثل محاربون يصطحبون قبيلتهم وماشيتهم في رحلة بحث عن الماء والكلأ[٢٦].

-مشهد في أوزيناري (Ozéneare) ، يمثل كذلك مجموعة من الرّماة في عملية بحث عن المراعي والعيون، حيث يشير الشخص الذي في المقدمة بيده إلى الأراضي من بعيد.[٢٧]

-مشهد في تمنزوزين (Timenzouzine) ، يمثل مشهدا لمجموعة من الصيادين يهاجمون الحمار الوحشي.[٢٨]

وكذلك الأمر بالنسبة لرسومات منطقة الفينوسات (Vénus) ، حيث يحلل الباحث مارسيا الياد علاقة إنسان الطاسيلي بالأرض من خلال هذه الرسوم بأنها علاقة مجسدة بالخصوبة، وأن خصوبة الأرض متضمّنة بالخصوبة النّسوية، فالحقل مثل المرأة، والعمل الزراعي أصبح يُمثَّل بالفعل الجنسي.[٢٩]

وتعبر بعض المشاهد عن تنقلات السكان بحثا عن الكلأ والماء لماشيتهم ومن بين هذه المشاهد نجد مشهد في منطقة جبارين يمثل مجموعة من المحاربين في وضعية حراسة لحماية قبيلتهم المتنقلة بحثا عن المراعي،[٣٠] ومشهد آخر في صفار يمثل مجموعة من المحاربين يقومون بحماية حيواناتهم ومراعيهم من الأعداء[٣١]، ومشاهد أخرى في كل من إيدو تيسوكاي،[٣٢] وإتينان، وتين أبنهر، وتين تزاريفت تمثل صراع بين الأشخاص.[٣٣]

أما الشواهد الصخرية المتعلّقة بالإنسان والحيوان فهي كثيرة، فرغبة الصياد في تكاثر الحيوانات دفعته إلى عبادة بعضها، وتدل مشاهد القطعان الكبيرة على النماء والزيادة، ومن بين هذه المشاهد رسومات منطقة تيكادودوماتين (Tekadedoumatin)، حيث جسد النحات مشهدا من الرّعاة يجتهدون في جعل الأبقار تأتي في خط واحد [٣٤] ، كما نجد رسومات لأبقار ذات أثداء كبيرة في تين تزاريفت تدل على الخصوبة، ومشاهد أخرى في إيهرن (Ihran) تمثل

---

[٢٥] **Le Quellec (J.L), Symbolisme et Art rupestre du Sahara**, ed- Harmattan, Paris, 1993,p187

[٢٦] **Lajoux (J.D), Tassili N Ajjer, Art rupestre de Sahara Préhistorique**, Ed- du Chêne, Paris 1977, p134.

[٢٧] Ibid. pp 126, 127.

[٢٨] **Lhote (H),vers d'autres Tassili, nouvelles découvertes au Sahara**, ed- Arthaud, 2eme édition. Paris, 1976, p144.

[٢٩] **Lhote (H),**1958 p134.

[٣٠] **Lajoux (J.D)**,op cit, 136.

[٣١] **Ibid,**,134.

[٣٢] **Lhote (H)**,1958,p70.

[٣٣] **Lhote (H)**,1962,p 112

[٣٤] p144. **Lhote (H),**1976,

قطعان كبيرة من الأبقار والأغنام، ورسومات أخرى تعبّر عن التكاثر الحيواني كما هو مجسّد في منطقة انالودمان وإيهرن.[٣٥]

وقد اصطاد صيادو الطاسيلي بعض الحيوانات البرية كالغزال والثيران وحيوانات أخرى بواسطة السهام والنبال، استطاعوا استئناس بعض منها، فمعظم البقايا الحيوانية التي عثر عليها في المنطقة تنتمي إلى أنواع مستأنسة من الأغنام والثيران والكلاب، غير أننا لا نستطيع أن نجزم أن جميع هذه الحيوانات قد استأنست استئناسا كاملا.

كما طور رعاة البقر الطاسيلي طريقة لتربية الماشية، كانت تدهش دائما من لا يعرفها، إذ يبدو أن الحضارة البقرية قد بلغت في ذلك العهد أوجها فاكتسبت فنا راقيا يتعلق بطرق تربية الماشية التي تتطلب تعلما طويلا[٣٦].

كما تطلع إنسان الطاسيلي إلى تامين حياته الاقتصادية فتّطلع إلى القوى الطبيعية التي تتحكم في إنتاج محصوله الزراعي فاتجه إلى تجسيم هذه القوى في صورة جديدة من الآلهة كآلهة الأمومة التي كانت رمزا لفكرة الخصوبة والإنتاج.

وقد كان تشييد القرى الثابتة هو إحدى المظاهر المميزة في المرحلة الأولى من العصر الحجري الحديث الذي يتميز بالاقتصاد الزراعي، وهناك ما يشير إلى أن الملاجئ والمباني الطينية لم تتغير في الصحراء أثناء هذه الفترة، غير أنها توسعت وانتشرت حول موارد المياه، وهو توسع لم تعرفه الصحراء طيلة عصورها السابقة.

ملامح الفكر الديني لانسان الطاسيلي من خلال الفن الصخري:

عرف الإنسان العبادة والدين منذ القدم، فأخذ يبحث عن آلهة تحميه وتقيه شر المخاطر وتجلب له المنافع، يلجأ إليها عند الشدائد والمحن، فكان لا بد له من استرضائها وتقديم القرابين لها، وقد عثر الباحثون في منطقة الطاسيلي على العديد من الآثار التي تعطي دلائل واضحة على وجود نوع من الفكر ديني، تمثله آلهة وحيوانات مقدسة وكائنات أسطورية وطقوس وفكر سحري روحاني أيضا، فقد عثر الباحثون على العديد من الآثار الممثلة في الرسومات والتماثيل الحيوانية التي تدل على العبادة ومن بين المعبودات نجد:

-**آلهة ذكرية:** منها مشهد الإله الكبير في صفار الذي يبلغ علوه ٣.٢٥ متر ويغطي مساحة تقدر ب ٣٠ متر مربع ويحيط به شخصيات صغيرة وحيوانات.[٣٧] ويظهر جليا أن المشهد كله يدور حول الشخصية المركزية (الإله الكبير) والعديد من النسوة يطلبن منه أن يمنحهن أولادا، فأيديهن مرفوعة بالدعاء، أما الحيوانات التي تظهر في المشهد فتمثل القرابين التي تقدم للإله الكبير، كما أن الجدار المنقوش تم اختياره بعناية فائقة ليكون بيتا للإله.[٣٨]

---

[٣٥] p120. **Lhote (H)**,1958,

[٣٦] **المنهجية وعصر ما قبل التاريخ في إفريقيا**، المرجع السابق، ص ٦١٢.

[٣٧] Lhote (H),1958, p20.

[٣٨] Ibid, p 192.

ومن بين المعبودات الإله الكبير الصياد في من طقة صفار كذلك، وهو ذو قرون وزوائد مع وجود حلقات حول الذراعين والساقين يحمل في إحدى يديه عصى طويلة وفي يده الأخرى سمكة، وهي من المشاهد التي تمثل الخصوبة الذكرية،[٣٩] وتعد منطقة وادي جرات من المناطق الهامة على غرار منطقة صفار وأونرحات التي تنتشر فيها المشاهد الجنسية،[٤٠] وتتضح من مشاهد صخرة أهانا (Ahana) مشهدا جنسيا تشترك فيه شخصيات عديدة تدور حول شخصية مركزية، تمثل كائنا أسطوريا يمكن أن يكون إله القوة الذكرية أو إله الخصوبة.[٤١]

-**الآلهة الأنثوية مثل مشهد السيدة البيضاء في أونرحات** : يمثل امرأة عملاقة تضع قناعا ولها قرنان عظيمان تشرف على المشهد كله، والشخصيات الأخرى الصغرى هي امرأة ذات قرون وأشخاص يعملون في الأرض وآخرون يشجعونهم، فوجود القرون دليل على أن المرأة من الآلهة الكبرى لأن القرون تدل على السلطة والقوة .[٤٢] كما أن هناك العديد من المشاهد والتماثيل التي تم ثل نساء وتقديس الخصوبة والمرأة، منها مشهد في منطقة تامريت (Tamrit) شرق جانيت يمثل امرأتان عاريتان،[٤٣] ومشهد آخر في جبارين يمثل أربعة نسوة يرقصن وامرأة جالسة في نسق معين.[٤٤]

-**الحيوانات والكائنات الأسطورية المقدسة:**

ومن ضمن هذه الكائنات نجد الأبقار في العديد من المناطق خاصة فيلا منطقة ايهرين تاهيلاهي (Ihren Tahilahi) ومنطقة المسالك وموقع تين هنكاتن (Tin Hinkaten)، وأصبحت قرونها رموزا للآلهة الأنثوية مثل السيدة البيضاء التي تحمل فوق رأسها قرنين كبيرين وتعتبر بمثابة ربة الخصب.[٤٥]

ومن بين الحيوانات الممثلة في المشاهد الصخرية نجد الفيلة في وادي جرات طوله ستة أمتار، وفيلا آخر في منطقة تيسالاتين (Tissalatine)، وفيلة بيضاء اللون قد تكون من الحيوانات الأسطورية،[٤٦] كما يوجد حيوان وحيد القرن وهو بكثرة في وادي جرات حوالي ١١٩ مشهد، ويبدو أن لهذا الحيوان دور في الجان ب الأسطوري بدليل وجود كائنات إنسانية

---

(٣٩) **Hachid (M), Tassili Najjer Au Source de l'Histoire il ya 50 siecle avant les Pyramides**, ed-Mediterranean.Paris 1998, p297.

(٤٠)Ibid, p 266.

(٤١)**Lhote (H), Les Gravures Rupestre de sud Oranais**, mémoire de C.R.A.P.E, N°16. Paris,1976,p 101.

(٤٢)**Sèbe (A),Tikatoutine 6000 ans ,l'Art rupestre Saharien**, collection Tagoulmouste, Silva, 1991,p 26.

(٤٣)**Lhote** (H),1958,p 56.

(٤٤)p116. **Lajoux** (J.D), op cit,

(٤٥)**Hachid** (M), Op cit, p 146.

(٤٦)Ibid, p 211.

برؤوس وحيد القرن في منطقة رهينوا (Rhino) في عرق إمريتن بفزان الليبية، والمشهد يمثل مصليا جالسا رافعا يديه مقابل هذا الحيوان.[٤٧]

الطقوس الدينية من خلال مشاهد الرسومات الصخرية:

للطقوس الدينية مكانة هامة في حياة المجتمعات البدائية وهذا ما نجده بكثرة لدى إنسان الطاسيلي أين تكثر المشاهد المعبرة عن هذه الطقوس نذكر منها:

مشهد في تين تاكلت (Tin Tekelt) يبين مجموعة من الراقصين يدورون حول شخصية غامضة ذو بطن كبير ورأس صغير وقرون ويديه مرفوعتين إلى السماء.

مشهد في تين تزاريفت (Tin tzareft) يبين راقصين مقنعين يحملون رؤوس السهام، والمشهد غني بالرموز تمثل خيوطا وأنصاف دوائر تعطي طابعا سحريا.[٤٨]

مشهد في منطقة صفار (Safar) يمثل مجموعة من الرجال والنساء يقومون برقصات طقوسية.[٤٩]

مشهد في منطقة أوان تاماوت (Uan Tamouat) في الأكاكوس وتمثل رجلين يبدوا أنهما ساحران يدفعان فتاة إلى عجوز كبير ربما توضح تعلم الأسرار الدينية من هذه العجوز، ومشاهد أخرى تمثل شخصيات تلمس حيوانات برية قد تكون معبرة عن طقوس التلقين (Initiation) لإعطاء الشباب الشجاعة أمام الحيوانات.[٥٠]

مشهد في أونرحات (In Awanrhat) وماتالان أمازار (Matalan Amazar)، يمثل رقصات سحرية ورموزا وأقنعة تدل على طقوس يقوم بها السحرة، ومشهد آخر في نفس المكان يمثل شخصية قضيبية (Personage Ithyphalique) يضع قناعا وله آذان كبيرة وقرونا، ساقاه منفرجتين يبدو أنه في وضع طقوسي.[٥١]

الرمزية في الفن الصخري:

ظهرت الرمزية منذ القدم أين قام الإنسان الأول بالتعبير عن آرائه برموز معينة، فالرمز علامة عن شيء ما، وجوهره غير واضح بالنسبة لغيره، فهو قد يحمل معاني وتفسيرات مختلفة تبعا لنظرة الباحثين وقراءاتهم للرموز، [٥٢] ففي المشاهد

---

[٤٧] **Sèbe** (A), Op cit, p182.

[٤٨] **Hachid** (M), Op cit, p 214.

[٤٩] **Dieterlen** (G) et Hampaté (A), Bà" **les Fresques d'epoque Bovidienne du Tassili et les tradition des Paul**" , J.S.A, vol: 36.N: 01.

[٥٠] **Hugot** (H.G), **Le Sahara avant le Désert**, ed- Héspérides. Paris, 1974, p159.

[٥١] **Lajoux** (J.D), op cit, p 55

[٥٢] **Gourhan** (A.L), **Les religionsde la Préhistoire (Paleolithique)**, presses universitaire de France, 1964, p148.

الصخرية للطاسيلي نجد رموزا تعبر عن مظاهر دينية وأساطير، وبعض من هذه الرموز يمكن تفسيرها بسهولة لوضوحها، بينما رموزا أخرى تبقى غامضة لعدم معرفة الباحثين بمعتقدات ونمط تفكير الإنسان في تلك الفترة، ولم تكن رسوماته عملا تلقائيا بل كانت تتم وفق طقوس معينة نابعة عن معتقداته الروحانية، وم ن بين الرموز والصور ذات الدلالات نجد:

استعمال الألوان: فاللون الأحمر مثلا كان يرمز إلى استمرارية الحياة، وهذا ما نلاحظه في العديد من رسوم الحيوانات مثل الظباء العملاقة والأروية والزرافات .[٥٣] واستعمل كذلك اللون الأبيض بارتباطه بالشخصيات الأسطورية والآلهة والأرواح مثل مشاهد الشخصيات السابحة في أونرحات، ومشاهد أخرى لحيوانات وكائنات أسطورية باللون الأبيض في صفار.[٥٤] اظافة إلى اللون الأصفر الذي له علاقة بطقوس الدفن كما هو واضح في موقع تين هناكتن .

استعمال الأقنعة: فالعديد من الرسوم الصخرية تعبر عن الرأس المقنع، فهناك أقنعة برؤوس الحيوانات (Théranthropes) بحيث يعطي للشخص لنفسه مظهر يشبه الحيوان أو الكائن الأسطوري.[٥٥] وربما يمكن أن يعطي انطباعا مغايرا مثل حماية المقنع من القوى أو الأرواح الشريرة أثناء الطقوس أو الحصول بشكل مؤقت على صفات الكائن الذي يمثله القناع.[٥٦]

خاتمة :

دلت الأبحاث الأثرية ولا تزال على أن الشمال الإفريقي من أقدم المناطق التي استقر فيها الإنسان ومارس مختلف الأنشطة التي تلبي حاجياته وفي احتكاكه الطويل ببيئته، فتشير المعطيات الأثرية انه تجاوز مرحلة القنص والقطف إلى استئناس الحيوان ثم الزراعة في وقت مبكر، وقد استطاع إنسان الطاسيلي في التكيف المدهش مع شروط البيئة المتقلبة والقاسية فنحن لازلنا بعيدين عن إدراك ضغط تلك البيئة الحاسم كقوة مؤثرة في التطور الإنساني، هذا الإنسان الذي استطاع التكيف وعاش وتطور عبر التحولات المناخية الكبيرة، ومن الواضح أن كل ذلك قد حصل بفعل قدرات فكرية استثنائية تماما،حيث تعتبر نقوشه التي خلفها خطوة هامة في تطور قدراته التعبيرية سرعان ما وصلت إلى التعبير بالرموز والكتابة قبل العصر التاريخي، وهي على أية حال مصدر رئيسي للتعرف على الفكر الإنساني وقتذاك .

---

[٥٣] **Hachid** (M), Op cit, p 148.
[٥٤] Ibid, p 218..
[٥٥] Ibid, p 200.
[٥٦] **Le Quellec** (J.L), Op cit, p 269.

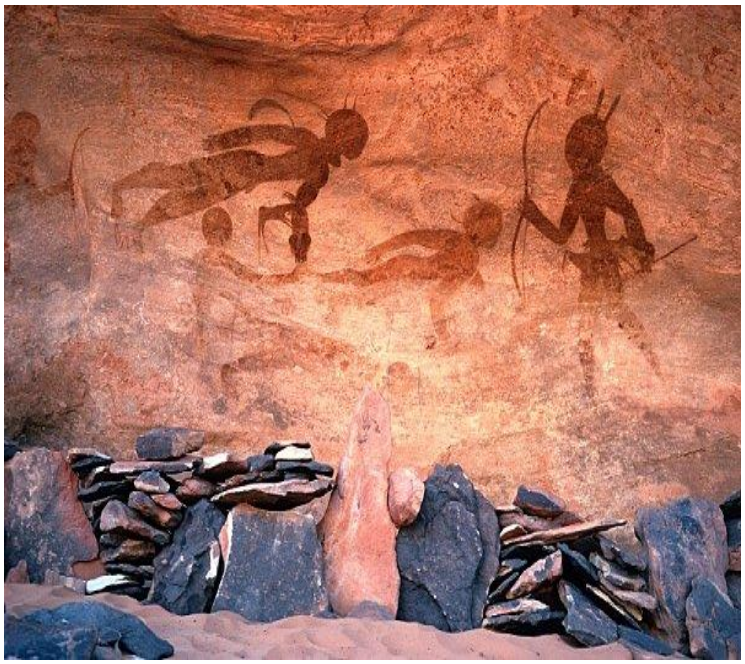

مشاهد من الرسومات الصخرية بمنطقة الطاسيلي ناجر

قائمة المراجع :

(١) **النيوليتي** (néolithique) أو العصر الحجري الحديث مشتقة من الكلمة الإغريقية (nios) وتعني الجديد و (lithos) وتعني الحجارة ثم أصبحت بمعنى العصر الحجري الحديث.

(٢) تعني كلمة **الطاسيلي** السلسلة الجبلية التي يغطيها السواد، أما آجر فقد اختلفت الآراء حول معناها، فبينما يعرفا الباحث إبراهيم العيد بشي بجلد "الثور المسلوخ" أو "رأس الأقرع " نجد لها معنى آخر في الدراسات الأجنبية عند كل من لورد (Leredde) وهنري لوت (Lhote) وأقرنوها بالنهر أو البحيرة والمعنى الثاني هو المنتشر أكثر في، الدراسات أنظر كذلك :

Leredde (C), **Etudes Ecologique et Phylogéographies du Tassili et Nil**, Alger 1957, TII, p47; **Dubief (J)** L'Ajjer Sahara central, édition Karthala, France, 1999**; Lhote (H)**, A la découverte des fresques de Tassili, Paris, 1958.

(٣) محمد العيد بشي، **تاسيلي ناجر، البنية الجغرافية والحضارية**، دار الحبر، ج٩، ٢٠٠ ، ص٨٢.

(٤) نفسه، ص٨٢.

(٥) **Dubief** (J) , op cit, p 25.

(٦) قرار ١٦٨ من الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية المؤرخ في ٢٦ جويلية ١٩٧٢.

(٧) **Dubief** (J), op cit, p 25.

(٨) Ibid, pp335-338.

(٩) Ibid. p331.

(١٠) Ibid. p332.

(١١) Ibid. p332.

(١٢)**Burroughs (W.J)**,op cit, p278; **Aumassip (G)**, "la recherché Préhistorique en Algérie, but et méthodes", Revue de Préhistoire et d'Archéologie culturelle, N:01,CRAPE, Alger,1983, pp 29,30.

(١٣) **المنهجية وعصر ما قبل التاريخ في إفريقيا من كتاب تاريخ إفريقيا العام** ،إعداد اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام ،اليونسكو، ١٩٨ ص٥٩.

(١٤) كانوا متمركزين في المنطقة الممتدة بين جل نفوسة وجهات الفزان الحالية إلى الطاسيلي ويبدو أنهم أحفاد الشعب المحارب الذي استعمل العربات في تنقلاته وحروبه، أنظر:

(١٥)**Sèbe** **Herodote**, Histoire, IV, 183, texte trad. par: E. Legrand, ed- les belles lettres, Paris 1948

(A), **Tikatoutine 6000 ans L'art rupestre Saharien**, collection Tagoulmoust imprimé en Italie par: Antegraphica Silva, 1991, p 182.

(١٦)**Le Quellec (J.L),Symbolisme et art rupestre du Sahara**, ed- Harmattan, France,1998 p130.

(١٧)**Le Quellec (J.L)**, 1993 p133.

(١٨)**Lhote (H),"les peintures parietal d'epoque Bovidienne du Tassili eléments sur la magie et la religion"** , J.S.A, 1966, vol 36, N1, p 17.

(١٩)**Le Quellec (J.L),** 1998 p144.

(٢٠)**Lhote (H),**1958, p80.

(٢١) **Ibid,** p134

(٢٢) **Ibid**, p 80.

(٢٣) **Dieterlen (G)**, Hampaté (A)**,** Bâ, " **Les Fresques d'epoque Bovidienne du Tassili et les tradition des Paul**" ,J.S.A, vol, 36 n.1, p 149

(٢٤) تعد **منطقة جبارين** من أغنى مناطق الطاسيلي بالرسومات الصخرية، ذلك أنها تحوي أكثر من ٥٠٠ موضوع رسم في منطقة لا تزيد مساحتها عن ٦٠ متر مربع، أنظر: **Lhote (H),** 1958, p82, 134.

(٢٥) **Le Quellec (J.L)**, **Symbolisme et Art rupestre du Sahara**, ed- Harmattan, Paris, 1993,p187

(٢٦) **Lajoux (J.D), Tassili N Ajjer, Art rupestre de Sahara Préhistorique**, Ed- du Chêne, Paris 1977, p134.

(٢٧) Ibid. pp 126, 127.

(٢٨) **Lhote (H),vers d'autres Tassili, nouvelles découvertes au Sahara**, ed- Arthaud, 2eme édition. Paris, 1976, p144.

(٢٩) **Lhote (H),**1958 p134.

(٣٠) **Lajoux (J.D)**,op cit, 136.

(٣١) **Ibid,,**134.

(٣٢) **Lhote (H)**,1958,p70.

(٣٣) **Lhote (H)**,1962,p 112

(٣٤) p144. **Lhote (H),**1976,

(٣٥) p120. **Lhote (H)**,1958,

(٣٦) **المنهجية وعصر ما قبل التاريخ في إفريقيا**، المرجع السابق، ص٦١٢.

(٣٧) Lhote (H),1958, p20.

(٣٨) Ibid, p 192.

(٣٩) **Hachid (M)**, **Tassili Najjer Au Source de l'Histoire il ya 50 siecle avant les Pyramides**, ed- Mediterranean.Paris 1998, p297.

(٤٠) Ibid, p 266.

(٤١) **Lhote (H)**, **Les Gravures Rupestre de sud Oranais**, mémoire de C.R.A.P.E, N°16. Paris,1976,p 101.

(٤٢) **Sèbe (A)**,**Tikatoutine 6000 ans ,l'Art rupestre Saharien**, collection Tagoulmouste, Silva, 1991,p 26.

(٤٣) **Lhote** (H),1958,p 56.

(٤٤) p116. **Lajoux** (J.D), op cit,

(٤٥) **Hachid** (M), Op cit, p 146.

(٤٦) Ibid, p 211.

(٤٧) **Sèbe** (A), Op cit, p182.

(٤٨) **Hachid** (M), Op cit, p 214.

(٤٩) **Dieterlen** (G) et Hampaté (A), Bà" **les Fresques d'epoque Bovidienne du Tassili et les tradition des Paul**" , J.S.A, vol: 36.N: 01.

(٥٠)**Hugot** (H.G), **Le Sahara avant le Désert**, ed- Héspérides. Paris, 1974, p159.

(٥١)**Lajoux** (J.D), op cit, p 55

(٥٢)**Gourhan** (A.L), **Les religionsde la Préhistoire (Paleolithique)**, presses universitaire de France, 1964, p148.

(٥٣)**Hachid** (M), Op cit, p 148.

(٥٤)Ibid, p 218.

(٥٥)Ibid, p 200.

(٥٦)**Le Quellec** (J.L), Op cit, p 269.

الحيوان في التفكير الأسطوري العربي

أ. مصطفى بوخال / كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان.

ملخص:

لقد شغف العرب منذ القدم بالحيوان و ضجت به أشعارهم و أمثالهم و تشبيهاتهم حتى أصبح عنصرا هاما في بنية التفكير الاسطوري العربي. فلا يتحدث العربي عن الشجاعة دون ذكر الأسد و لا يتطرق الى أساليب المكر و الخديعة بدون التفكير في الثعلب. و المخيال العربي ساهم في بناء نماذج حيوانية شكلت مادة خصبة للأمثال والحكم و الحكايات كما رفع الحيوان الى مرتبة الآلهة في العصورالغابرة .

و هذه المحاولة تتجه الى بحث العلاقة بين العقل العربي و الحيوان من خلال مساءلة اللقاءات الاولى في تاريخ البشرية حيث يتتلمذ الانسان على يد الحيوان، بالاضافة الى حضور الحيوان على متن سفينة نوح – عليه السلام- و أثره في مخيلة الانسان و وعيه ثم بداية التأريخ للانتاج الخرافي و الأسطوري العربي وذلك بمحاورة المقول العربي القديم

الكلمات المفتاحية:

الأسطورة ، الرمز،الحيوان، المعنى، التأويل،المثل، الخرافة، الحكاية، الدلالة، التناص،المقارنة.

توطئة:

استطاع الحيوان أن يشغل مخيّلة الإنسان منذ العصور الغابرة، ولعلّ أوّل محطّة تستوقفنا في مسيرة الحياة البشرية هي مشهد من مشاهد بداية الخليقة، يشاء القدر فيها أن يتتلمذ الإنسان على يد الحيوان ويفقه التعامل مع جسد فارق الحياة، وقد صورت هذه الحادثة في أجمل معانيها منبئة بهول الموقف الذي واجهه الإنسان أمام ظاهرة الموت وسلوك الغراب اتجاه هذه الظاهرة، في قوله عز وجل :"... فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه قال: يا ويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي؟ فأصبح من النّادمين ..."[٢٣٠]

ويأبى هذا المجتمع الحيوانيّ أن يغادر سفينة نوح –عليه السّلام- في حادثة الطّوفان قبل أن يترك بصماته على نفسية الإنسان وتفكيره حتّى غدا يواجه الطّبيعة وأسرارها متوسّلا بالحيوان ليفسّر ما خفي عليه من معانيها إلى درجة أنّه وهب لهذه الحيوانات في خضم مغامراته التّخيّلية الأولى أوصافا و قوى خارقة ارتقت إلى مراتب الآلهة على مرّ العصور .

[٢٣٠] – سورة المائدة، الآية ٣١.

١ –العقل العربي في مرحلته الأسطورية:

لم تنج البيئة العربيّة من الممارسات الطفولية للعقل البشري في ساحة الخيال وميدان تفسير الظواهرالطبيعية، شأنها في ذلك مثل نظيرتها **اليونانية، الهندية** و **الفارسية**، فقد عرفت أنواعا شتى من الأساطير والخرافات نال **الحيوان** فيها السّهم الأكبر إلاّ أنّنا نواجه صعوبات جمّة لتأكيد هذا الطّرح خاصّة أمام باحثين متعصّبين يزعمون " **أنّ العرب لم يعرفوا الأساطير، ذلك أنّهم لم يكونوا من أصحاب الملكات الخلاّقة التّي تعتمد الخيال الواسع** "[٢٣١]، مع أنّ إطلالة سريعة على جواهر الشّعر الجاهليّ تنسف هذا الموقف من أساسه، ولعلّ السّبب في هذا الموقف الشّاذّ هو عدم فهم طبيعة العقلية العربية ومقارنتها بما أبدعه اليونان والفرس من خيالات وقد ردّ الأستاذ أحمد أ مين على هذه الشّبهة بقوله : " أمّا ضعف الخيال فلعلّ منشأه أنّ النّاظر في شعر العرب لا يرى فيه أثرا للشّعر القصصيّ ولا التّمثيليّ، ولا يرى الملاحم الطّويلة التّي تشيد بذكر مفاخر الأمّة كإلياذة هوميروس وشاهنامة الفردوسيّ ... ونحن مع اعتقادنا قصور العرب في هذا النّوع من القول نرى أنّ هذا الضّرب أحد مظاهر الخيال، لا مظهر الخيال كلّه . فالفخر والحماسة والوصف والتّشبيه والمجاز، كلّ هذا ونحوه من مظاهر الخيال"[٢٣٢].

والمعوّق الآخر الذّي يواجهنا فيما طرحناه سابقا هو شحّ المصادر التّي تنير مغارات الخرافات وبقايا للأساط ير التّي دوّنت سواء على الصّخور والألواح عن طريق النّقوش أو في بطون الصّحف و الكتب، فأمّا الأولى فترجع ندرتها في قلّة البحوث والدّراسات ا **لأ**نتروبولوجية الخاصّة بالجزيرة العربية، وأمّا الثّانية فسبب قلّتها ضياع الكثير منها ونخصّ بالذّكر كتاب "الإكليل" لمحمّد الحسن بن داوود المشهور بالهمذاني الذّي ضاعت منه ثمانية أجزاء كاملة وقد اكتشف الجزء الثّامن منه و "الذّي يصف فيه قلاع اليمن القديمة وقصورها وجانبا كبيرا من حياتها الاجتماعية ومعتقداتها "[٢٣٣] والجزء العاشر من نفس الكتاب "يتحدّث فيه الهمذاني عن قبائل اليمن مملكة سبأ وحمير التّي دان لها العالم أجمع منذ الألف الثّالثة قبل المسيح" [٢٣٤] ويذكر أنّ الجزء السّابع من بين الأجزاء المفقودة يتناول فيه الكتاب الأساطير والخوارق – الحكايات المستحيلة – لليمن الغابرة.

---

[٢٣١] – أحمد كمال زكي: **الأساطير – دراسة حضارية مقارنة**، دار العودة، بيروت، (١٩٧٩)، ط ٠٢، ص ٧٨.

[٢٣٢] – أحمد أمين: **فجر الإسلام**، دار الكتاب العربيّ، بيروت، لبنان ،(١٩٦٩)، ط ١٠، ص ٣٦.

[٢٣٣] – شوقي عبد الحكيم: **الفلكلور و الأساطير العربية**، دار ابن خلدون، بيروت ١٩٨٣، ط ٠٢، ص ٢٢.

[٢٣٤] – نفسه، ص ٢٢.

وبهذا فنحن أمام فقدان حلقات كثيرة من التّراث الخرافيّ والأ سطوريّ العربيّ. من أجل ذلك ولّى الباحثون وجوههم شطر الحضارتين اللّتين تماسّتا مع جزيرة العرب ونعني بهما مدنيّة الفرات ومدنيّة النيل، ولاشكّ أنّ العرب اختلطوا بهذه الشّعوب منذ غابر الأزمان كما يشير " المؤرّخون في أنساب العرب إلى أنّ العربيّ والفينيقيّ والأشوريّ والبابليّ من أب واحد يؤيّد ذلك التّشابه في تركيب أجسادهم وعاداتهم "[٢٣٥] ومن ثمّ كان اللّجوء إلى "التّفتيش عن جذور الأساطير العربيّة عند هؤلاء الشّعوب – البابليين، الأشوريين، الكنعانيين – التّي توافرت عنهم بعض النّصوص والنّقوش"[٢٣٦] . "فالجسم الأكبر من أساطيرن ا وفلكلورنا أمكن العثور على قنوات منابعه الأولى عند السّومريين اللاّساميين الذّين توارثهم الأوائل من بابليين وأشوريين وسوريين وفينيقيين لبنانيين وعبريين وعرب من شبه الجزيرة من شماليين وجنوبيين"[٢٣٧]

وبهذا فنحن نغرف من معين أساطيرنا وفلكلورنا العربي مما كتبه "ورواه العلماء والكتاب والرواة من العرب وغير العرب، مثل وهب بن منبه، والآلوسي، وعبيد بن شرية الجرهمي، وكعب الأحبار، ومحمد بن إسحاق، والدميري، والأزرقي، والبلخي، والقزويني، والهمذاني، والطبري، وابن قتيبة، وابن النديم وغيرهم ..."[٢٣٨] ومن الكتب التي حفظت لنا تراثا هائلا من الحكايات والخرافات : البيان والحيوان للجاحظ، والتيجان لوهب بن منبه، والإكليل للهمذاني وحياة الحيوان الكبرى للدميري وبلوغ الإرب للأوسي و"كتاب الأيام الذي ألفه أبو عبيدة معمر بن المثنى –وهو مليء بالأساطير والحكايات الخرافية– ثم نثره في مجموعة النقائض بين جرير والفرزدق"[٢٣٩] .

٢ –الحيوان في الأساطير العربية القديمة:

إن المتتبع لجل الأساطير والخرافات العربية يجد أنها كانت على اتصال بالحيوانات، وهذا ليس بالغريب، إذا أمعنا النظر في طبيعة حياة العربي الاجتماعية في حله وترحاله وبيئته الصحراوية المفتوحة و الموحشة التي جعلته يألف حيوانات فيحبها ويصفها في شعره، وأخرى يستوحش منها فيتوهم وجودها ثم يضفي عليها أوصافا وأشكالا غريبة تناثرت أخبارها في الشعر الجاهلي والمدونات العربية المذكورة آنفا.

---

[٢٣٥] – عبد المعيد خان:**الأساطير العربية قبل الإسلام**، مطبعة لجنة التّأليف و التّرجمة، القاهرة، ١٩٣٨، ص ١٥.

[٢٣٦] – طلال حرب : **أوّلية النّصّ**– نظرات في النّقد و القصّة و الأسطورة و الأدب الشّعبيّ، المؤسّسة الجامعيّة للنّشر و التّوزيع، ط١، بيروت ، لبنان، (١٩٩٩) ص ١١١.

[٢٣٧] – شوقي عبد الحكيم، المرجع السابق، ص ١٢.

[٢٣٨] – نفسه، ص ٢٢.

[٢٣٩] – أحمد كمال زكي، المرجع السابق، ص ٧٦.

ومن الأساطير العربية أسطورة الخلق القريشية نسبة إلى قبيلة قريش في مكة، فهي تقول: "إن الله خلق الأرض على حوت ، والحوت في الماء ، والماء على ظهر صفاة ، والصفاة على ظهر ملك ن والملك على صخرة والصخرة في الريح..."[٢٤٠].

والملاحظ أن العرب الأوائل استهوتهم الحيوانات الضخمة والوحشية الخارقة فانطبع ذلك في مخيلتهم وطقوسهم وانبنت على ذلك بعض معتقداتهم وأساطيرهم، ففي "خرافة قريشية متأخرة أن إبليس تغلغل إلى الحوت الذي على ظهر الأرض، فوسوس إليه، وقال : أتدري ما على ظهرك يا لوتيا من الأمم الدواب والشجر والجبال وغيرها، انك لو نفضتها أو ألقيتها عن ظهرك، لكان ذلك أريح لك "[٢٤١] وقد نطق الحيوان بما حبلت به مخيلة العرب ومعتقداتهم حول قضايا وجودية طالما أعيت العقل البشري مثل الموت والقضاء، ويشبه ذلك "ما فسر به سليمان –عليه السلام– حديث الهدهد حين يقول: "إذا نزل القضاء عمي البصر" والنسر يقول:" يا بن آدم عش ما شئت فإنك ميت "[٢٤٢]، ويتواتر ذكر الهدهد في المأثور العربي لارتباطه بحادثة بلقيس ملكة سبأ مع النبي سليمان –عليه السلام– ولقب بذلك أبو الأخبار، وزعموا "إنّ القنزعة التي على رأسه ثواب من الله تعالى ما كان من برّه لأمه لما ماتت جعل قبرها على رأسه، فهذه القنزعة عوض عن تلك الوهدة"[٢٤٣] وفي ذلك يقول الشاعر أمية بن أبي الصلت:

غيم وظلماء وغيم سحابة أزمان كفن واستراد الهدهد

يبقى القرار لأمة يحبها فبنى عليها في قفاه يمهد

مهدا وطيئا فاستقل بحمله في الطير يحملها ولا يتأود

من أمه يجزى بصالح حملها ولدا وكلف ظهره لا تفقد

فتراه يدلح ماشيا بجنازة فيها ما اختلف الجديد المسند[٢٤٤]

ومثل هذه الخرافة ذكرت قبل ألف عام على لسان إيزوب في مسرحيات أريسطو فانيس[٢٤٥] حين قال: "لأنّ عقلك أعمى لا يسال عن شيء لم يتعود التفكير في إيزوب إذ يقول عن القبرة: ولدت قبل الأرض ثم مرض أبوها ومات ،

---

[٢٤٠] – شوقي عبد الحكيم، المرجع السابق، ص ١٤٤.

[٢٤١] – نفسه، ١٤٤.

[٢٤٢] – نفسه، ص ١١١.

[٢٤٣] – الجاحظ، **الحيوان**، دار صعب، بيروت لبنان، بدون تاريخ، مج ٠١/ج ٠٣، ص ٥٩٤.

[٢٤٤] – نفسه، ص ٥٩٤.

فقامت بكل الفروض الممكنة لإرقاد جثته ،ولكنها لم تستطع أن تقدّم له قبرا في أي مكان، لأنّ الأرض لم تكن قد وجدت حتى ذلك الوقت، وأخيرا ساقتها الحاجة الملحة عندما جاء اليوم الخامس إلى أن تدفن أباها في رأسها، فيا لها من مخلوقة مسكينة ..."[٢٤٦].

ويرجع الباحث الأستاذ **داود سلوم** هذا التشابه بين أرسطو فانيس وأمية بن أبي الصلت والجاحظ إلى أصل عراقي قديم استقى منه كل منهم والعجيب إن البيت الأول من نصّ أميّة بن أبي الصّلت يحيل إلى عوالم أسطورية تذكرنا بالنصوص اليونانية التي تحكي بدايات الوجود الأولى وهو يتوحد معها ليمنح الهدهد رمزية إيجابية لا نجدها في المأثور الشعبي الفرنسي حيث "يرمز للطائر الأبله في القرون الوسطى و العبارة الفرنسية "طائر الهدهد **OISEAU D' HUPPE**" كانت في القرن الخامس عشر تعني "غر **DUPE**" حيث كانت كلمة عامية قبل أن تدخل في اللغة الدّارجة."[٢٤٧]

والنسر ككل طائر هو رمز الإعلاء الروحي وهو مثل "العقاب موقع سكناه عال جدا ويطير في الأعالي ويحلق بسمو، وفي العديد من مناطق العالم ...، يعتبر العقاب طائر الرعد، وعقاب "زيوس[248] ZEUS" هو الرعد الشافي"[249]، وتحكي أسطورة أسطورة يونانية "أنّ غيمز الساقي ابن طرطوس ملك طروادة ، كان بديع الجمال فخرج يوما للقنص على جبل فنزل زيوس –رب الأرباب – بهيئة نسر فاختطفه إلى السماء ، فأقام في أولمب واتخذه زيوس ساقيا له ، ولهذا سمي الدلو " [٢٥٠] و في نفس هذه الأجواء يحلق التفكير الأسطوري العربي ليحكي لنا "أن " الغميصاء " كانت هي و "سهيل " و"الشعرى" في مجرة واحدة ، فانحدر سهيل و الشعرى وعبر المجرة إلى اليمن، وبقيت الغميصاء وحيدة تبكي حزنا على فقدها سهيل —التي كانت تعشقه— حتى غمصت عيناها وكذا تبدو دائما في السماء أسيفة موجعة "[٢٥١]

---

[٢٤٥] – أريسطوفانيس– أو أريسطوفان : شاعر يونانيّ (٤٤٥–٣٨٦) ق.م لمع اسمه في الشعر المسرحيّ حيث اتّخذه سلاحا رهيبا في النّقد السّياسيّ و الاجتماعيّ. (ينظر جبّور عبد النّور: المعجم الأدبيّ، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، (١٩٨٤)) ط ٠٢، ص ٦٢٠.

[٢٤٦] – داوود سلوم، **الأدب المقارن في الدّراسات المقارنة التّطبيقية**، مؤسسة المختار، القاهرة ،(٢٠٠٣م)، ط١، ص٨٥.

[٢٤٧] – فيليب سرينج: **الرّموز في الفنّ والأديان والحياة**، ترجمة عبد الهادي عبّاس، دار دمشق، سورية، ١٩٩٢، ط ٠١، ص ٢٠٢.

[٢٤٨] – زيوس– ZEUS – كبير الآلهة في الأولمب، و إله السّماء في الأسطورة اليونانية (Myriam Philibert: Dictionnaire des Mythologies, Ed maxi livre, France 2002, P 280)

[٢٤٩] – فيليب سرينج، المرجع السابق، ص ١٧٧.

[٢٥٠] – عبد المعيد خان، المرجع السابق، ص ١٢.

[٢٥١] – أحمد كمال زكي، المرجع السابق، ص ٤٩.

وتنزل هذه الأسطورة من مستوى النجوم وأعالي الجبال إلى مضرب الأمثال حين يقال: "قد يقع بين الأخوين من الخلصاء ما وقع بين الشعريين العبور و الغميصاء ..."[252] ومثل ما حدث لغيمز السّاقي اليونانيّ، تشير المصادر الأسطورية العربية أنّ الزّهرة كانت امرأة حسناء فصعدت إلى السماء ومسخت كوكبا"[253]، وتدل الأبحاث الحديثة التي عرضت للفكر المبكر للإنسان أنّ مدى التّشابه في عمليات العقل البشري –هنا وهناك– إنما يظهر في مثل هذه الرمزية الأسطورية التي عرضناها[254]، فحينما يتعالى النسر إلى أعالي الجبال ويتوحد بزيوس كبير آلهة الإغريق في الأسطورة اليونانية، تتوحد رمزية النسر مع الدهر في الأسطورة العربية والتي كان بطلها الحكيم لقمان بن عاد الذي سبق ذكره في مدخل هذا البحث بوصفه مؤلف خرافات –fabuliste- وقد وردت " قصته في كتاب التيجان لوهب بن منبه بتفصيل مثير، حيث يدعو لقمان ربه أن يهبه طول العمر بقوله :

اللّهم يا ربّ البحار الخضر والأرض ذات النبت بعد قطر

أسألك عمرا فوق عمر"[٢٥٥]

واستجاب الله لدعائه إذ سمع يوما هاتفا يناديه "أن قد أعطيت ما سألت، ولا سبيل إلى الخلود فاختر إن شئت سبعة بقرات من ظبيات عفر، في جبل وعر، لا يمسها قطر، وإن شئت بقاء سبعة أنسر، كلما هلك نسر أعقبه نسر. فكان اختياره بقاء النسور "[٢٥٦] وكان سابع النسور يدعى "لبد" وفسر راوي هذه القصة "لبد" بمعنى الدهر، بل أن لقمان نفسه عرف "لبد" بالأبد ،ومازال هذا المعنى متواتر إلى الآن على شفاه سكان المناطق الريفية من الغرب الجزائري تحت لفظ "لبدة" بمعنى "دائما". " فحين وافت المنية ذلك النسر السابع، وسقط مشرفا على الموت، ولم يطق أن ينهض، وتفسخ ريشه، هال لقمان هولا عظيما، ووقع موته منه موقعا جسيما، وناداه :انهض لبد أنت الأبد "[٢٥٧].

---

[252] – الزمخشري جار الله، **أساس البلاغة**، دار الفكر، بيروت ، لبنان، (٢٠٠٤م)، ص ٤٦٦.

[253] – أبو زيد البلخيّ: **البدء و التاريخ**، مج ٣/ ص ١٤، عن عبد المعيد خان، المرجع السّابق، ص ١٣

[254] – ينظر: أحمد كمال زكي، المرجع السابق، ص ٥٠.

[255] – ينظر عبد المالك مرتاض: **الميثولوجيا عند العرب**، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر ١٩٨٩، ص ٥٣.

[256] – نفسه، ص ٥٣.

[257] – شوقي عبد الحكيم، المرجع السابق، ص١١٤.

وتزداد أحوال الحيوانات وأوضاعها وثاقة بتفكير وم عتقدات العرب قديما، فطائفة منهم تزعم أن النفس طائر ينبسط في جسم الإنسان "فإذا مات أو قتل لم يزل مطيفا به متصورا له صورة طائر يصدح على قبره، فإن كان قتل ولم يؤخذ بثأره، نادت الهامة على قبره: اسقوني فإني صدية، وفي هذا قال شاعر جاهلي:

يا عمرو إلا تذر شتمي و منقصتي أضربك حتى تقول الهامة اسقوني"[٢٥٨]

٣ -الغول والسعلاة وإبداعات أخرى للمخيلة العربية:

ومن تصوّراتهم التي ملأت أشعارهم وأخبارهم، الجن والهواتف والغول والسّعلاة، والباحث **عبد المعيد خان** يقرر أن الجن والغول وأشباه ذلك ما هي إلا صنف من الحيوان في تصور العر ب القدماء ويعزز هذا الرأي صاحب معجم الحيوان الذي يرجع كل هذه المخلوقات العجيبة التي سلبت عقول العرب إلى قرود حين يقول:

" للقرود في أساطير العرب شأن كبير ، فكانوا يروون عنها الرّوايات الغريبة وعدّوها من الجنّ أو المتشيطنة وما الغول والسّعلاة، والقطرب والبعبع إلاّ قرودا .." [٢٥٩]

وارتبطت الغول في التفكير العربي القديم بالتغول أي التلون والتغير مما يؤدي إلى الخوف والتوهم لذلك يذهب الجاحظ إلى أنه "اسم لكل شيء من الجن يعرض للسفار، ويتلون في ضروب الصور والثياب ، ذكرا كان أو أنثى"[٢٦٠] وفي هذا يقول كعب بن زهير :

فما تدوم على وصل تكون به كما تلون في أثوابها الغول

والغول مصدر الشر والفناء كما قال شاعر مجهول :

لا بأس بالبيت إلا ما صنعت به تبني وتهدمه هدما لك الغول [٢٦١]

" وعامة الأعراب يزعمون أن الله تعالى قد ملك الشياطين والعمار أن يتحولوا في أي صورة شاءوا، إلا الغ ول فإنها تتحول في جميع صورة المرأة ولباسها إلا رجليها فلابد أن يكونا رجلي حمار"وفي هذا المعنى يقول شاعر مجهول:

وحفر العنز في ساق مدملجة وجفن عين خلاف الإنس في الطول [٢٦٢]

---

[٢٥٨] – عبد المعيد خان، المرجع السابق، ص ٤٦.

[٢٥٩] – أمين معلوف: معجم الحيوان، دار الرّائد العربيّ، بدون ت/ط، بيروت ، لبنان، ص ١٣.

[٢٦٠] – عبد المالك مرتاض، المرجع السابق، ص ٢٣.

[٢٦١] – الجاحظ، المرجع السابق، مج ٠٢/ ج ٠٦، ص ٤٥٥.

[٢٦٢] – عبد المالك مرتاض، المرجع السابق، ص ١٣٠.

ولهذا التصور نظير في البيئة الأسطورية اليونانية تحت ما يسمى "بالمينوطور[263] "MINOTAURE" ذلك الحيوان الخرافي الذي نصفه الأسفل نصف عجل ونصفه الأعلى نصف رجل .

وقد فرقت الأساطير و الخرافات العربية بين الغول و السعلاة على نحو ما قال الشاعر :

وساخرة مني ولو أن عينيها

رأت ما رأت عيني من الهول جنت

أبيت بسعلاة وغول بقفرة

إذا الليل وارى اللحن فيه أرنت [٢٦٤]

فكان ممّا زعموا أن " السعلاة نوع من المتشيطنة مغايرة للغول وأكثر ما تكون السعلاة في الغياض وهي إذا ظفرت بإنسان ترقصه وتلعب به كما يلعب القط بالفأر " [٢٦٥].

وأعجب ما أبدع العقل الأسطوريّ العربيّ ما توارثته الأخبار و المدونات العربية عن الشق و النسناس ، فكان ممّا زعموا "أن الحيوان النّاطق ثلاثة أجناس : ناس وبنتاس ونسناس ، وقالوا وجوههم على نصف وجوه النّاس "[٢٦٦]، و الشّقّ من المتشيطنة صورته نصف آدمي يظهر للإنسان في الأسفار فيفزعه وربّما يقتله كما هو مشهور في الأشعار والمرويات أنّ علقمة بن صفوان[٢٦٧] نازل شقّا منازلة شديدة بعد أن خاطبه الشّقّ قائلا :

"علقم إنّي مقتول وإنّ لحمي مأكول

أضربهم بالمسلول ضرب غلام مشمول

رحب الذّراع بهلول

فردّ عليه **صفوان** بقوله :

يا شقّ ها ما لي و لك اغمد عنّي منصلك

---

[٢٦٣] – المينوطور: حيوان خرافيّ ولد نتيجة لقاء الجميلة باسيفاي مع عجل عشقته، و هي زوجة مينوس – Minos – ابن كبير الآلهة زيوس. (ينظر: Dictionnaire de Mythologie ، مرجع سابق، ص١٨٧).

[264] - أحمد كمال زكي، المرجع السابق، ص٨٧.

[265] - أمين معلوف، المرجع السابق، ص ١٥.

[٢٦٦] – شوقي عبد الحكيم، المرجع السابق، ص ١٤٥.

[٢٦٧] – هو علقمة بن صفوان بن أميّة بن حرب الكنتيّ جدّ مروان بن الحكم في الجاهلية (ينظر قصّة مقتله في:الجاحظ، الحيوان، المرجع السّابق، مج ٢/ ج ٠٦، ص ٤٥٨).

تقتل من لا يقتلك

فضرب كلّ واحد منهما صاحبه ، فخرّا ميّتين."[٢٦٨]

و من جانب آخر يرد ذكر الشق في " كتاب التاريخ الطبيعي لبلنيوس الروماني وسماه MONOCOLUS" من لفظين يونانيين معناهما شق أي من" MONO" واحد و "COLUS" عضو"[269] وسمى بلنيوس الرسناس" SATYRUS"أي السطر، و نلحظ جليا تناصّ هذه الأوصاف مع جاء في حيوان الجاحظ أو غيره ممن دون إبداعات المخيلة العربية القديمة.

إنّ منتهى القول في الغول والسّعلاة والجنّ أنّها من حيوان بحسب التّفكير الخرافيّ العربيّ ، لذلك "نرى الباحثين عن معنى الجنّ عند العرب أدخلوه في نوع من الحيوان متأثّرين بفكرة البادية وقالوا: إنّ الغول حيوان شاذّ"[٢٧٠].

وقد شغف العرب القدامى بظاهرة المسخ حتى قيل : إن بعضهم لا يأكل الضب معتقدين أنه شخصا مسخ، كما روى أن أحد الخلفاء رفض أن يأكل ضبا قدم له والضب محلل أكله ، " وقال : لا أدري لعله من القرون التي مسخت ..."[٢٧١] والظاهر أن فكرة المسخ كانت منتشرة في جزيرة العرب ويؤيد هذا ما يرويه المقريزي من مشهد خرافي يليق بالأجواء الأسطورية اليونانية حين يتحدّث عن قوم في بوادي حضر موت " يقال لهم " الصيعر " يسكنون القفر في أودية ، وفرقة منهم تنقلب ذئابا ضارية أيام القحط، وإذا أراد أن يخرج أحدهم من مسالخ الذئب إلى هيئة الإنسان وصورته تمرغ بالأرض وإذا به يرجع بشرا سويا " [٢٧٢].

وهكذا غدت مثل هذه الأخبار والاعتقادات مواد لحكايات وقصص امتازت بالمتعة والجمالية على نحو ما نلفيه في مشاهد ألف ليلة وليلة من خلال حكاية "التّاجر والعفريت" [٢٧٣] في الليلة الأولى من كتاب الليالي.

٤-الطوتمية في المخيال العربي القديم:

اكتسب الحيوان عند العرب القدامى قداسة جعلت بعض الباحثين يؤمنون بوجود " الطوتمية" [٢٧٤] في وجهتها الدينية وفي بعض مظاهرها على الأقل وهي:

---

[٢٦٨] – الجاحظ، المرجع السابق، مج ٠٢/ج ٠٦ ، ص ٤٥٩.

[٢٦٩] – أمين معلوف، المرجع السابق، ص١٦.

[٢٧٠] – عبد المعيد خان، المرجع السابق، ص٧٣.

[٢٧١] – شوقي عبد الحكيم، المرجع السابق، ص١٢٨.

[٢٧٢] – عبد المعيد خان، المرجع السابق، ص٥٠.

[٢٧٣] – ألف ليلة و ليلة، دار الفكر، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ج ٠١، ص٠٩.

-القبيلة تتسمى باسم الحيوان .

-القبيلة تتخذ حيوانا أبا لها وتعتقد أنها سلالة منه .

ومن المشهور أن العرب كانت تتسمى بأسماء الحيوانات سواء الأشخاص أو القبائل، و قريش أشهر قبائل العرب بمعنى " الحوت " ويقال أن "طوتمها الحوت" [٢٧٥] ومن القبائل :بنو أسد، بنو ضب، بنو فهد، بنو كلب ،بنو حداء، بنو نعامة وغيرهم كثير، وفي تأويل هذه الأسماء رأيين على حد قول الباحث عبد المعيد خان، الأول أن هذه الأسماء هي ألقاب لأشخاص تاريخية معروفة، " مثال ذلك أن بني كلب اتخذوا لقبهم عن شخص تاريخي معلوم وهو كلب بن وبرة بن ثعلبة جد قضاعة "[٢٧٦]. والرأي الثاني مفاده أن لهذه الأسماء معاني دينية لها علاقة بعبادة الحيوانات، وفي دلالة هذه الأسماء فإنهم كانوا يسمون الأولاد باسم الحيوان ظنا منهم أنه يحفظهم من أعين الإنس و الجن ، وهذا ما يسمونه " بالنقير " فقد قيل لأعرابي " لم تسمون أبناءكم بشر الأسماء نحو كلب و ذئب ، وعبيدكم أحسنها نحو مرزوق ورباح ؟ فقال :إنما نسمي أبنائنا لأعدائنا ، وعبيدنا لأنفسنا " [٢٧٧].

وتأكيد للرأي الثاني فإن بعض قبائل العرب تسمت بأسماء آلهة كبني هلال وشمس وبدر و الحيوانات التي تسمى بها البعض الآخر هي في الأصل كانت معبودة عندهم.

يروي الجاحظ حادثة تشير إلى الاعتقاد بالعلاقة بأب حيواني كما هو معروف في الطوتمية حين يقول : " قلت مرة لعبيد الكلابي وقد أظهر من حبّ الإبل والشّغف بها ما دعاني إلى أن قلت :أبينها وبينكم قرابة ؟ قال نعم، خؤولة، إني والله ما أعني البخاتي ولكنّي أعني العراب التي هي أعرب. قلت له : مسخك الله تعالى بعيرا ، قال: الله لا يمسخ الإنسان على صورة كريم، وإنما يمسخه على صورة لئيم ..." [٢٧٨] هذا و يزداد تضخم الاعتقاد الأسطوريّ العربيّ بالقول بوجود نسب مع الجنّ الذي وصفوه وصفا حيوانيا فقالوا عن بلقيس ملكة سبأ أنها من نسل الجن، ك ما أن حروبا طويلة دامية وقعت بين قبائل الجنّ وقبائل الإنس من العرب، "منها حروب بني سهم الذين كانوا قد قتلوا ابن امرأة من الجن، عقب حجه و طوافه بالبيت فوقعت الوقيعة ، وقتل الجن من بني سهم خلقا كثيرين، وكان أن نهضت

---

[٢٧٤] – الطوتم كلمة يراد بها كائنات تحترمها و تقدّسها بعض القبائل المتوحّشة، و قد يكون الطّوتم حيوانا أو نباتا . (ينظر: عبد المعيد خان ، الأساطير العربية، ص ٥٥).

[٢٧٥] – شوقي عبد الحكيم، المرجع السابق، ص١٤٤.

[٢٧٦] – ينظر، عبد المعيد خان، المرجع السابق، ص٦٧.

[٢٧٧] – نفسه، ص ٦٩.

[٢٧٨] – عبد المعيد خان، المرجع السابق، ص٠٧.

بني سهم وحلفاؤها ومواليها وعبيدها، وركبوا ر ؤوس الجبال وشعابها ، فما تركوا حية ولا عقربا ولا خنفساء ولا هامة تدب على الأرض، إلا قتلوها ..." [٢٧٩] وقيل أن الجن ضجت بما حدث فطلبت وساطة قريش وانتهى النزاع .

الخاتمة:

بعد هذه الجولة في فضاء المخيال العربي، نلاحظ حضورالحيوان بقوة في التفكير الأسطوري العر بي، تشهد بذلك جل أشعار العرب وأمثالهم وحكاياتهم، كما أن هذا الارث الأسطوري الحيواني انتقل من العصر الجاهلي إلى العصور الاسلامية التالية، اذ ساهم في اثراء الرمزية الحيوانية للمخيلة العربية وأغنى أدب الحيوان في المراحل التي أعقبت عصر البداوة العربية الأولى.

وبما أن المخيال العربي تربى وتطور في بيئة مفتوحة، فكان من الطبيعي أن يكون التراث الأسطوري والخرافي العربي قد تشكل نتيجة تداخل البيئة العربية مع بيئات أخرى مثل اليونانية، الفارسية والهندية. ونحن نلحظ ذلك جليا في بعض الأمثال والحكايات والاعتقادات التي نلفيها تتناص في أكثر من صعيد مع نظيراتها في البيئات الأخرى، مثل ظاهرة الشق في الأسطورة العربية و Monocolus في الميتولوجيا اليونانية.

إن ضخامة المنتج الفولكلوري والأسطوري الذي خلفه العقل العربي والذي دون في الأشعار والأمثال والحكايات ورسم على الصخور وفي المغ ارات يؤكد على حيوية العقل وسعة الخيال العربي، كما يوحي أن العربي عاش مرحلته الأسطورية الخاصة به والتي تتميز عن الأجواء الأسطورية اليونانية أو الخرافات الهندية . كما أن الحيوانات التي تربت في حظيرة التداول في الأداب الشعبية عبر الأمثال والحكايات قد أعطت صبغة الأصالة للأسطورة العربية رغم مشاركتها في بناء أساطير وخرافات عالمية بفعل التأثير والتأثر، ويمكننا أن نقرأ ذلك بوضوح في حكايات ألف ليلة وليلة التي تعد نص أسطوري عالمي بامتياز تتواجد فيه البصمة الخرافية العربية وهي ضاربة في جذور التفكيرالأسطوري العربي القديم .

قائمة المراجع:

١ –أحمد أمين،**فجر الإسلام**، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ، ١٩٦٩م.

٢ –أحمد كمال زكي،**الأساطير**– دراسة حضارية مقارنة – ، دار العودة، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٩.

٣ –أمين معلوف،**معجم الحيوان**، دار الرائد العربي، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ .

٤ –**ألف ليلة وليلة**،دار الفكر، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ.

[٢٧٩] – شوقي عبد الحكيم، المرجع السابق، ص١٤٢.

٥ –الجاحظ،**الحيوان**، دار الجيل، بيروت ، لبنان، ١٩٦٨م.

٦ –داوود سلوم،**الأدب المقارن في الدراسات التطبيقية المقارنة**، مؤسسة المختار، القاهرة ،٢٠٠٣.

٧ –الزمخشري جارالله، **أساس البلاغة**، دار الفكر، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٤م.

٨ –شوقي عبد الحكيم،**الفلكلور والأساطير العربية**، دار ابن خلدون، بيروت ، لبنان، ١٩٨٣.

٩ –طلال حرب،**أولية النص – نظرات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبي** – ، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٩م.

١٠ –عبد المالك مرتاض،**الميتولوجيا عند العرب**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائ١٩٨٩م.

١١ – عبد المعيد خان،**الأساطير العربية قبل الإسلام**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٣٨م.

١٢ – فيليب سرينج،**الرموزفي الفن**، الأديان والحياة، دار دمشق ، سوريا ، ١٩٩٢م، ت/عبد الهادي عباس.

مركز جيل البحث العلمي

قسم العلوم الإنسانية والاجتماعية

مسابقة جيل اقرأ السنوية

لأفضل بحث علمي حول موضوع : " القراءة "

إشراف : د. سرور طالبي - إعداد: أ. جمال بلبكاي

للتسجيل يرجى زيارة موقع المركز: jilrc.com

تمهيد :

تعتبر القراءة من أهم ميادين التعلم إن لم تكن أهمها على الإطلاق ذلك أنها تمثل إحدى نوافذ ا لمعرفة ، و أداة من أدوات التثقيف التي يقف بها الإنسان على نتاج الجنس البشري، ولا عجب - مع هذه الأهمية - أن يكون الأمر الأول من الله عز وجل لرسوله الأمين و أمته بعده موجها نحو القراءة،حيث يقول عز من قائل":اقرأ باسم ربك الذي خلق،خلق الإنسان من علق،اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم،علم الإنسان ما لم يعلم". الآيات١-٥ سورة العلق. (1).

فالقراءة تمثل عماد العلم والمعرفة والوسيلة الأساسية للإحاطة بالمعرفة والمعلومات، فقد جاءت عناية المربين بالتركيز على إتقانها منذ بداية الأمر. إذ لا تزال القراءة الصحيحة أنبل الفنون، لأنها استمدت نبلها أولاً وأخيرًا من القرآن الكريم.

إن الغرض الأساس من العلم هو العمل، والقراءة و المطالعة هي أحد قنوات تحصيل العلم، فالمطالعة عبارة عن عملية فكرية، يتفاعل القارئ معها، فيقرأ بشكل سليم، ويفهم ما يقرأ، وينقده، ويستخدمه في حل ما يواجهه من مشكلات، وينتفع به في مواقف حياته.

ومن هذا المنطلق ينظم مركز جيل البحث العلمي، مسابقة أفضل بحث علمي حول موضوع: القراءة وفقاً للمحاور التالية :

- ماهية القراءة و تعليمها.
- طرق تعليم القراءة.
- أهمية القراءة.
- أساليب تنمية مهارات القراءة (المطالعة) .
- فوائد المطالعة والقراءة.
- أسباب العزوف عن القراءة
- دور المطالعة في بناء الفرد والمجتمع.

• للراغبين في المشاركة تقديم أبحاثهم وفق الشروط العلمية المتعارف عليها و في التواريخ المحددة:

١- شروط الأبحاث المقدمة ومواصفاتها :

- أن يكون البحث في موضوع المسابقة باللغة العربية أو الفرنسية.
يجب أن يكون البحث المقدم بحثًا أصيلا لم يسبق نشره بأي شكل من الأشكال.

- تقبل المشاركات الفردية فقط .

– أن يذكر الباحث المعلومات التالية بعد عنوان بحثه مباشرة (الاسم واللقب، الرتبة العلمية، المؤسسة الجامعية، البريد الإلكتروني، رقم الهاتف).

–أن يرفق الباحث سيرته الذاتية العلمية مع البحث.

–أن يرفق الباحث ملخصين للبحث أحدهما باللغة العربية والآخر بلغة مغايرة (فرنسية أو انجليزية)، بحيث لا يتعدى كل ملخص ثمانية أسطر كحد أقصى.

–مراعاة المنهج العلمي في كتابة المقالات والبحوث العلمية.

– أن لا يتجاوز عدد صفحات البحث (٢٠) صفحة بما فيها قائمة الملاحق، ولا يقل على (١٠) صفحات.

–أن يكون نوع الخط (Traditional Arabic)، بمقياس (14) في المتن، و (11) في الهامش، وبحجم ١٢ Times New Roman إذا كان باللغة الأجنبية. وأن تكون هوامش الورقة من جميع الجهات (٢سم) وتباعد بين الأسطر(١سم).

- ترسل الأبحاث بالمواصفات المذكورة أعلاه حصرا على البريد الالكتروني التالي:

competitions@jilrc.com

٢- التواريخ:

تسجيل المشاركة وإرسال البحث في التواريخ المحددة أدناه:

- آخر مهلة للتسجيل في المسابقة: ١٦ – ١٢ - ٢٠١٤

- آخر مهلة لإرسال الأبحاث ١٦ – ٠٢ - ٢٠١٥

- تاريخ الإعلان عن النتائج: ١٦ – ٠٤ – ٢٠١٥

٣- الجوائز:

يقدم المركز للمشاركين الفائزين بالمرتبة الأولى

المشاركة مجانا في مؤتمراتنا وتظاهراتنا العلمية المقبلة.

الحصول على شهادات مشاركة.

الحصول على رسائل تزكية

أسماء الفائزين بالمسابقة خلال سنة 2014

د.إدريس جرادات، من فلسطين والذي شارك ببحث تحت عنوان : دور غرف المصادر-التربية الخاصة-في المدارس الحكومية الفلسطينية في تأهيل الطلبة ذوي صعوبات التعلم وقد تحصل على المرتبة الأولى/ فئة الأساتذة

الباحث عيسى ماروك من الجزائر والذي شارك ببحث تحت عنوان : العنونة في رواية حنين لعفاف السمعلي : حنين للوطن ... حنين للشعر وقد تحصل على المرتبة الأولى/ فئة الطلاب

"Physicalism: a critical approach"

Abla Hasan PhD Department of Modern Languages & Literatures
University of Nebraska-Lincoln USA

Abstract

Mind-Body problem has been considered for so long a puzzle in the philosophy of mind. Out of the many answers Modern Philosophy provided for the question concerning the ways the mental world and the physical world can be related came the answer provided by the physiclists. Very soon, the distinguished answer provided by physicalism immerged not only as a replacement to dualism but also to be viewed as one of the most reliable approaches to Mind-Body problem. In this paper, I call into question the credibility of the answer provided by physicalism. I argue that philosophical physicalism gained credibility and common acceptance from outside reasons related to epistemological and historical concerns more than being related to the philosophical merit per se.

ملخص :

لطالما اعتبرت علاقة العقل بالجسد أحد الألغاز الفلسفية الأكثر اشكالية في فلسفة العقل . ولعل أحد أهم الأجوبة المقترحة لحل هذا اللغز و لكيفية التواصل بين العالم العقلي و العالم الجسدي كان الجواب الذي قدمته المدرسة الفلسفية الفيزيائية . سريعا اعتمدت الأوساط الأكاديمية هذا الحل و الذي ما لبث أن تطور لا ليلغي القول بثنائية العقل و الجسد فحسب بل ليحتل مكان الصدارة بوصفة الحل الأمثل و الأكثر جدارة. هذا البحث محاولة للبحث عن حقيقة الجدارة الفلسفية لعلاقة العقل و الجسد من منظور النزعة الفيزيائية الحديثة و محاولة للكشف عن العوامل التاريخية و الابستمولوجية التي ضمنت للنزعة الفيزيائية الشعبية في الأوساط الفلسفية و الأكاديمية على حد سواء.

الكلمات المفتاحية : المدرسة الفلسفية الفيزيائية، علاقة العقل بالجسد، فلسفة العقل، ثنائية العقل و الجسد

Physicalism provides a widely accepted answer to the mind-body problem. It is the answer that simply "reduces everything to interactions amongst elementary ‘particles" ((Richard J. Campbell and Mark H. Bickhard, p10). In fact, Modern philosophy of mind is known for making this dramatic shift from dualism to physicalism. For the majority of philosophers of mind, dualism is an old dated

fashion that doesn't fit any more our contemporary image of the world. In his paper, "Physicalism and human sciences", David Papineau wrote:

A hundred years ago most educated thinkers had no doubt those non-physical processes occurred within living bodies and intelligent minds. Nor was this an anti-scientific stance: the point would have been happily agreed by most practicing scientists of the time. Yet nowadays anybody who says that minds and bodies involve non-physical processes is regarded as a crank. This is a profound intellectual shift. (Papineau, David,2009).

However, despite the popularity of physicalism; simplest observations can be good enough to raise suspicions and questions whether physicalism can be the final answer one can provide to the mind-body problem. In their paper, "Physicalism, emergence and downward causation", Richard J. Campbell and Mark H. Bickhard refer to the following simple observation :

Just a little reflection on the differences between a living body and a dead corpse calls into question this lumping together of everything non-mental as 'physical'. We all know that right from the time of death (whatever are the criteria for determining that time, and whether or not death is instantaneous or occurs over a shortish period) the corpse begins to disintegrate. It literally disappears, unless the natural process of disintegration is artificially suspended – by freezing, embalming, or placing in formalin. Obviously, there is something to being a living organism that is more than the assemblage of atoms and molecules.(Richard J. Campbell and Mark H. Bickhard)

But, if this was the case, and if our simple observation can't guarantee any specific physical assertion, what reasons do we have to adopt physicalism? What made physicalism that popular? First and in order to be able to answer this question I will start by explaining physicalism itself.

i.What is physicalism?

Physicalism is defined as the thesis that the mental facts depend on the physical facts. Roughly speaking, when the talk is about physicalism, we should expect the mention, explicitly or implicitly of two levels of entities and properties: mental and psychical. Barbara Montero defines physicalism as the following,Physicalism is typically thought to tell us what the fundamental properties of the world are like as well as tell us how all higher level features of the world relate to such properties: the fundamental properties are physical, according

to physicalism, and all other properties are determined, in some significant sense, by the fundamental physical properties. (Montero, Barbara, 2006)

Physicalism then, in a way or another, has been one of the dominant views in metaphysics and philosophy of mind in the latter part of the 20th century. According to this view, mental phenomena were interpreted as being identical with states and processes in the brain. But as Richard J. Campbell and Mark H. Bickhard make clear, the tricky part about physicalism was to explain how can mental properties be dependent on physical properties without being simply reducible to them,to explain how it is that mental properties and events are not reducible to physical properties and events, but are nevertheless dependent upon them. Mental concepts may not be able to be defined in terms of physical concepts, but what might look like an emergent, causally efficacious property at the mental level actually 'supervenes' on a person's physical properties and powers. (Richard J. Campbell and Mark H. Bickhard).

ii.Physicalism as viewed by physiclists:

In this section I explain why do physiclists believe in physicalism, and what are the main arguments in favor of physicalism:

1. The scientific argument (the completeness of physics):

With no doubt the scientific explanation has dominated all other kinds of explanations. With the advent of our new scientific theories we have excluded all kinds of magical and supernatural causes and there is no more room left for explaining any phenomenon by appealing to unknown or mysterious reasons. More importantly, as a result to this scientific tendency, metaphysics like any other academic approach started to increasingly borrow its methods as well as its primacies from natural science. Eventually, the result was the advent of physicalism as the most plausible thesis amongst all the other competing ones. Many nowadays argue that metaphysics should not be approached in a way different from science but should rather be thought of as continuous with it. This is what Daniel Stoljar calls "*The Argument from Methodological Naturalism"*.The argument which concludes by the assertion that it is rational to believe in physicalism.

Peter Slezak describes Physicalism today as the following,

Although Dualism is certainly the most widely held view laymen, it is nowadays dismissed by most philosophers as not merely implausible, but utterly without scientific merit and, therefore, no longer deserving to be taken seriously among the contending theories of mind. (Slezak,2000)

However, this is still a general argument; to be more specific, the scientific argument in favor of physicalism has taken the name of what was called "the completeness of physics": the claim that physics forms a closed system, more precisely, the claim that when we start by a physical effect, we never have to leave the realm of the physical explanation to find a fully sufficient cause for that effect. David Jon Spurrett wrote,

The history of science since the nineteenth century shows clearly that the empirical credentials of the view that the world is causally closed at the level of a small number of purely physical forces and types of energy is stronger than ever, and the credentials of emergent is correspondingly weaker. (Spurrett,1999)

As he explains "The Completeness Thesis is one of a small number of things about which those who call themselves physicalists are in broad agreement" (Spurrett,1999). The notion of the completeness of physics goes back to Papineau. This notion served physicalists as the following: as I have mentioned before, physicalism includes the epistemic division of entities and properties in to two levels; the level of the physical ones, and the level of the non-physical properties, including the mental ones. The later are considered to be determined by physical ones. But this requires the physical properties to be themselves determined by any mental ones. Therefore, as David Jon Spurrett puts it, "The 'best case scenario' for the set of determining properties is that it be causally self-sufficient, that is to say 'complete'" (Spurrett,1999)

In fact, the relation between the notion of the completeness of physics and physicalism is strong that we can even claim that the primary asset to physicalism came from this notion. David Jon Spurrett observed this connection, where he wrote,

If the Completeness Thesis turns out to be indefensible, then, this would do serious damage to the credibility of any form of physicalism. If on the other hand it turns out to be strongly justifiable this fact would be a source of support for the wider physicalist project, no matter what outstanding problems remained to be solved for that project. (Spurrett,1999)

To elaborate more what we mean by argument of the completeness of physics let's see the following formulation was offered by David Jon Spurrett, which I found to be quite useful, "A science **X** is complete iff **X** is capable of fixing the likelihood of **X**-type events solely by reference to prior **X**-events and **X**-laws"(Spurrett,1999). But if this is the main thesis of the completeness of physics, how does it assert physicalism? David Papineau, in an attempt to answer this

question, refers to the need for an argument, which can enable us to get from the completeness of physics itself to the imperialist physicalist conclusion that everything is physical. However, the general shape of such an argument as he puts it is something like the following,

if the completeness of physics is right, and all physical effects are due to physical causes, then anything that has a physical effect must itself be physical. Or, to put it the other way round, if the completeness of physics is right, then there is no room left for anything non-physical to make a difference to physical effects, so anything that does make such a difference must itself be physical. (Papineau, The rise of physicalism,2000)

As Papineau makes clear, the rise of physicalist doctrines in the second half of this century "is due to contemporary agreement on the completeness of physics" (Papineau, The rise of physicalism,2000). However, for this main reason –I argue- we can doubt the originality of the answer physicalism provides to the mind-body problem. The completeness of physics which become a fashion in today's academic research turned physicalism into the most appropriate most plausible candidate to solve the mind-body problem not because of what physicalism itself provided for the philosophy of mind but because of the domination of physicalism as a new fashion in our modern research.

2.The empirical argument :

This argument depends on the empirical observation that, all human mental phenomena are dependent on neural phenomena. Andrew Melnyk says,"we never catch the human mind at work without also catching the human brain at work" (Andrew, Melnyk, 2007). All mental states, processes and activities found to be accompanied by neural activity of that takes place simultaneously in the person's brain. As Andrew Melnyk explains, In the numerous studies that support this finding, a brain-imaging technique is applied to the brain of a human experimental subject who has been subjected to some stimulus (e.g., spoken words, objects placed in the hand) or instructed to perform some mental task (e.g., to read silently, to clench a fist). What is found in the studies is that in each subject distinctive regions of the subject's brain are especially active when a particular stimulus is presented or mental task performed. In addition, it is not controversial that Alcohol, narcotics, some drugs can affect, cripple, or even destroy one's capacity for rational thought and other brain activities. In fact, this empirically observed dependence of the mental on the neural was simply explained by Melnyk as many others as a physicalism about the human mind. These empirical evidences

turned what was once considered as immaterial mental phenomena to material phenomena that has basis in the nervous system, most notably in the brain and its complex array of interconnected neural networks. The main problem for such tendency in the behavioral and brain sciences is their calling into question the notion that we need appeal to anything beyond or above the brain and body – an immaterial soul, for instance – to explain behavior and experience, whether normal or abnormal.

3.The argument from simplicity :

Although the scientific tendency to prefer the simplest theory, when more than one is available, is a traditionally rooted tendency that can be traced back even to the very first beginning of the emergence of the scientific theories, when scientific explanation separated from magical, supernatural and even religious explanation, the strongest fortification for this tendency came from the later notable place occupied by the evolutionary explanation which in a way or another succeeded in eliminating the most of the other competing explanations –at least for a while - .

The primitive version of the scientific bias towards choosing the simpler, goes back the 14th century, with the formulation of Occam's Razor. Leibniz, referred to the elusive connection between simplicity and truth by means of a direct appeal to the grace of God, Since God is omnipotent and infinitely kind, it follows that the actual world is the most elegant truth.

Later on, the success of the Darwinian approach to explanation in biology formed the main support to the argument in favor of simplicity in science. Broadly speaking, the natural selection's main proposal was the claim of explaining the complex variety by the appeal to the simple idea of the natural selection. Darwinism as Rosenberg explains is simply,"the thesis that the diversity, complexity and especially the adaptatedness which organic phenomena manifest is solely the result of successive rounds of random variation and natural selection." (Rosenberg)

According to the theory of the natural selection, all the biological complexity and diversity can be explained by the struggle for survival which Darwin proposed in the "Origen of species" where we read;

A struggle for existence inevitably follows from the high rate at which all organic beings tend to increase. Every being, which during its natural lifetime produces several eggs or seeds, must suffer destruction during some period of its life, and during some season or occasional year, otherwise, on the principle of geometrical

increase, its numbers would quickly become so inordinately great that no country could support the product. Hence, as more individuals are produced than can possibly survive; there must in every case be a struggle for existence, either one individual with another of the same species, or with the individuals of distinct species, or with the physical conditions of life. (Darwin, The origin of species,p36)

In fact, simplicity played a double role in the natural selection proposal, first; this easily observed simplicity in which the explanation takes place in the natural selection theory, was one of the strongest claims of this theory's supporters in their debate with their main opponent theory, namely, the intelligent design theory, which on the other hand suspected in the first theory's ability to reduce the complicity of the biological phenomena level that can be as simple as the natural selection. On the other hand, the success of the evolutionary project as the main scientific project in the nineteenth the twentieth centuries backed up the notion that the answer to our main questions, even those metaphysical ones can be found in simplicity which turned to became the main scientific virtue that any scientific proposal should seek.

The echo of this tendency when applied on the main problem of the philosophy of mind; I mean the mind- body problem, was the bias towards choosing what can be interpreted as the simplest theory among other competing suggestions, and what can be simpler than physicalism!. As Kevin T. Kelly explains,

Simplicity" is understood in a variety of ways in different contexts. For example, simpler theories are supposed to posit fewer entities or causes, to have fewer adjustable parameters, to be more "unified" and "elegant", to posit more uniformity or symmetry in nature, to provide stronger explanations, or to be more strongly cross-tested by the available data. (Kelly,2007)

Now, obviously, the physical approach to the mind-body problem satisfies all these conditions more than any other candidate. Consequently, one way of explaining the tendency for preferring physicalism, I claim here is by reducing it to the organized as well as the justified scientific bias towards simplicity. In all cases, it is still worthy and somehow useful to refer to the problematic nature of using simplicity as an accredited ground for any justifiable preference for some theories over others when all are available .In his paper, "What is the Problem of Simplicity?" Elliott Sober correctly asks the following question, "If simplicity is used to justify choosing theory X over theory Y, then it must be shown that the greater simplicity of theory X makes it more plausible." (Sober, 2002)

Any ways, it seems as if something like preferring the simplest has in a way or another something to do with physicalism. Roughly speaking, and forgive me if it appears as a kind of an over implication to the whole body-mind problem, eliminating one of the both sides of the conjunction, I mean by reducing it to the other, will consequently be sufficient for the elimination of all the problems that are more related to the other part and in some since it can lead to the elimination to the problems that are more related to the connection between the two sides, namely, the body on the one hand and the mind on the other. But, solving the mind-body problem in favor of the simplest happens on the coast of the credibility of the answer physicalism provides. With no doubt physicalism guarantees a more accurate less tricky way of getting out of the problem. It can eliminate the possibility of drifting away with supernatural, spiritual and even magical proposals which threatens with no doubt the reliability of any scientific theory. But, unfortunately this elimination leaves us with the question what if the solution to the mind-body problem entails more than the limited circle of plausible answers entailed by physicalism?

Conclusion:

In sum, the main purpose of this paper was to answer the question regarding the physicalism observable dominance in philosophy of mind in the second half of the 20th century. For the purpose of answering the question three arguments were discussed. First; the scientific argument, more precisely; the completeness of physics, Second; the empirical argument and finally; the argument from simplicity.

References:

1- Richard J. Campbell and Mark H. Bickhard, "Physicalism, emergence and downward causation" , Available online at: http://www.lehigh.edu/~mhb0/physicalemergence.pdf
2- Papineau, David, “Physicalism and human sciences”, in C Mantzavinos (ed): Philosophy of the social sciences: Philosophical theory and scientific practice, 2009, available online at: http://www.davidpapineau.co.uk/articles-online.html
3- Richard J. Campbell and Mark H. Bickhard, "Physicalism, emergence and downward causation".
4- Montero, Barbara, "Physicalism in an infinity decomposable world", *Erkenntnis* Vol. 64, No. 2 (Mar., 2006), pp. 177-191, 2006, available online at http://barbaramontero.files.wordpress.com/2012/02/draft-of-physicalism-in-an-infinitely-decomposable-world.pdf
5- Richard J. Campbell and Mark H. Bickhard, "Physicalism, emergence and downward causation".

6- Slezak, Peter, "The mind-brain problem", Evian Gordon ed., *Integrative Neuroscience*, Amsterdam: Harwood Academic Publishers, 2000 49-63, available online at: http://citeseerx.ist.psu.edu/viewdoc/download?doi=10.1.1.110.895&rep=rep1&type=pdf
7- Spurrett, David Jon, "The completeness of physics", Submitted in fulfillment of the requirements for the degree of Doctor of Philosophy in Philosophy, University of Natal, 1999, available online at: http://cogprints.org/3379/1/DSTHESIS.pdf
8- Ibid, introduction.
9- Ibid
10- Ibid
11- Papineau, David, "The rise of physicalism", in J Wolff (ed), the proper ambition of science, 2000, available online at: http://www.davidpapineau.co.uk/articles-online.html : http://www.davidpapineau.co.uk/articles-online.html
12- Ibid
13- Andrew, Melnyk,"a case for physicalism about the human mind", 2007, avilable online at http://www.infidels.org/library/modern/andrew_melnyk/physicalism.html
14- Rosenberg, Alexander, "Darwinism in Contemporary Moral Philosophy and Social Theory", available online at: http://people.duke.edu/~alexrose/moral.pdf
15- Darwin, Charles, "The origin of species",struggle for existence C3 , P36 .
16- Kelly, Kevin T., "Simplicity, Truth, and the Unending Game of Science" (2007). *Department of Philosophy*. Paper 382. http://repository.cmu.edu/philosophy/382
17- Sober , Elliott , "What is the Problem of Simplicity?" from H. Keuzenkamp, M. McAleer, and A. Zellner (eds.), Simplicity, Inference, and Econometric Modelling, Cambridge University Press, 2002, pp. 13-32. available online at http://sober.philosophy.wisc.edu/selected-papers /articles-online.html in J Wolff .

جميع الحقوق محفوظة

لمركز جيل البحث العلمي © 2014

ISSN 2311-5181